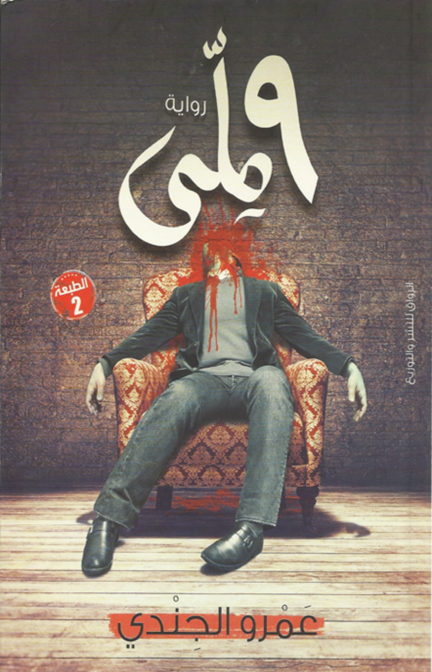

رواية
9 ملّي
الطبعة 2
الرواق للنشر والتوزيع
عَمْرو الجِنْدي



حينما يتحوّل الجَميع إلى مُجرّد ساقطين،

تصبح الجَريمة هى الفعل الطبيعى الوَحيد..

وحين يُصبح الدمّ هو المُنقذ من السقوط،

عليك أن تتوقع المزيد من الجرائم.



تصميم الغلاف أحمد مراد

للنشر والتوزيع

رواية
9 ملّى
عمرو الجندي
■ الطبعة الأولى.......... أبريل 2012
■ الطبعة الثانية.......... نوفمبر 2012

الغلاف: أحمد مراد
المراجعة اللغوية: محمد الكشك
رقم الإيداع: 8418 / 2012
الترقيم الدولي: 0 - 18 - 5153 - 977 - 978

للنشر والتوزيع
3 شارع إدريس - أول شارع الوحدة - إمبابة - الجيزة
هاتف وفاكس: 33100951 (202)
محمول: 01147379183
rewaq2011@gmail.com
facebook.com/Rewaq.Publishing

عمرو الجندي

9 ملّى

رواية

الرواق للنشر والتوزيع

الفصل الأول

- ١ -

في يوم ١٥ يناير، وفي هذه اللحظة كان المكان ممتلئًا بالمثقفين في مقهى ليالي المعروف في وسط القاهرة، وكان يجلس في ركن مميز وخاص جدًا الكاتب والصحفي الشهير عماد عز الدين، واثنين من أصدقائه، وكذلك كان الأستاذ يوسف أباظة صاحب دار نشر الكلمة الحرة على وشك الجلوس صائحًا بلهجة مرحة:

"زملاء المهنة هنا، يا هلا يا هلا.. ماكنتش متخيل إني كنت هالاقيكوا في الليلة البرد دي".

فالتفت إليه الجميع وقد ابتسموا مرحبين بصديقهم العزيز الذي لا تخلو كلماته من المرح، كان عماد عز الدين ومجدي الزيني وخالد مختار تجمعهم صداقة قديمة منذ أيام الدراسة، وقد تعرفوا إلى يوسف أباظة من خلال الحياة العملية.

عندما عاد كل شيء إلى هدوئه قال عماد عز الدين موجهًا الكلام إلى يوسف أباظة:

"أخبار روايتي الجديدة إيه يا يوسف؟ يا ترى زي الروايات اللي فاتت"؟ قالها بغرور وأنهى كلماته مبتسمًا باعتزاز وثقة.

فابتسم يوسف أباظة قائلًا:

"انت مغرور أوى يا عماد، ما انت عارف كويس أوى انها مكسّرة الدنيا.. دى ثمرة إنتاجك الأدبى والسياسى كمان".

فتململ خالد مختار فى مكانه موجهًا بصره إلى مجدى الزينى الذى كان يجلس فى مواجهته، وكانت نظراته تحمل العديد من المعانى، وقد لاحظ عماد عز الدين ذلك، وسرعان ما قال وهو يوجه حديثه لمجدى:

"أخبار روايتك الأخيرة إيه يا صديقى؟ ماسمعتش عنها حاجة يعنى"! وابتسم ساخرًا.

فابتسم مجدى الزينى ابتسامة عريضة وكأن طريقة عماد المستفزة، التى تعوّد استخدامها عند الحديث عن أعماله، لم تنل منه هذه المرة، ثم قال:

"سبتلك كل حاجة يا عماد.. الأدب، والسينما.. آه صحيح.. سمعت أن روايتك الأخيرة هاتتحول لفيلم سينما، مش كده برده"؟

فقال خالد مختار:

"آه ومش هاينتجها حد غيرى".

فضحك يوسف أباظة قائلًا:

"يبقى كده ضمنّا فشلها والحمد لله".

فضحك الجميع، وفى هذه اللحظات اقتحم جلستهم الكاتب والصحفى الشهير أشرف زيدان وهو لا يقل عن مجدى الزينى فى شىء؛ حيث يعتبر منافسًا قويًّا لعماد، وربما أكثر قوة من مجدى الزينى؛ وذلك لأن عماد يكرهه بشكل خاص ولا يكنّ له أى نوع من الاحترام، ودائمًا ما ينقلب ضده فى جميع البرامج التلفزيونية واللقاءات الأدبية التى يتم استضافته فيها موجهًا إليه الاتهامات المختلفة، ودائمًا ما يصفه بالكاتب الفقاعة الذى سيزول سريعًا.

فصمت الجميع وألقوا التحية عليه بكل احترام، عدا عماد الذى نظر إليه نظرة يملؤها الكره قائلًا:

"إزيك يا أشرف، يارب تكون بخير"، كانت لهجته وقحة وتحمل عكس ما يتمنى.

فابتسم أشرف ابتسامة باهتة قائلًا:

"أنا أحسن منك بكثير، المهم تكون أنت بخير".

فنظر إليه عماد وقد اقتضبت ملامحه، وامتلأت عيناه بالغضب ثم قال كاتمًا غيظه بصعوبة:

"إم.. وماله يا سيدى".

فقال أشرف بسخرية وقد بدا أنه يحاول أن يكظم عصبيته وهو ينصرف مبتعدًا:

"حبيت بس أقول لك إن روايتك الأخيرة ماعجبتنيش بس للأسف عاجبه اللى بوّظت عقولهم برواياتك".

ثم أدار ظهره موجهًا لعماد نظرة حادة بعد أن ابتعد خطوتين قائلًا بلهجة قوية:

"خليك متأكد يا عماد إن نهايتك قرّبت.. قرّبت أوى".

- إزاى تتجرأ؟! - قالها عماد وهو ينهض من مجلسه غاضبًا، بينما استمر أشرف فى طريقه غير عابث بغضب عماد الذي أمسك به الجميع محاولين تهدئته بقدر الإمكان، وقال يوسف أباظة:

"إهدى يا عماد.. إهدى شوية يا أخى.. ده بيحاول يغيظك، متحسسوش إنه قدر يستفزك".

بينما قال مجدى الزينى:

"ما انت استفزيته يا عماد من البداية.. ده غير انه بنى آدم بارد.. مش زيك بتتعصب من أقل حاجة".

بدأ عماد فى استعادة هدوئه وما زالت عيناه متعلقتان بأشرف الذى غاب

وسط زحام المقهى، وقال وكأنه يحدث نفسه "يقصد إيه بنهايتى قرّبت؟! الكلب ابن الكلب ده! بيهددنى أنا سيده وتاج راسه"؟!

ثم ارتفع صوته قائلًا بحدّة وهو يقف مرة أخرى:

"والله ما انا سايبك فى حالك يا أشرف الكلب وهاتشوف هاعمل فيك إيه يا جبان.. يا وسخ"، كانت كلماته غاضبة تحمل الوعيد والتهديد.

فأجلسه خالد مختار وهو يقول بعتاب واضح:

"كفاية بقى يا أخى واقعد، الموضوع مش مستاهل ده كله".

فحاول يوسف أباظة ترطيب الجو قائلًا:

"يا أخى.. الروائى الأولى فى مصر.. وسينما.. والشهرة والأضواء، كل ده وكمان مش عايزه يفضفض عن نفسه، يا أخى دى ضربتين فى الراس بتوجع".

فابتسم عماد ابتسامة باهتة قائلًا وهو يحاول لملمة نفسه:

"وهو مين أساسًا الحيوان ده علشان يتحدانى"؟!

بعد أن عاد الهدوء اعتدل خالد مختار فى جلسته، ونظر إلى مجدى الزينى قائلًا:

"مش هاتتجوز بقى يا مجدى؟! انت دلوقتى ٣٨ سنة، يا أخى اللى فى سنك عندهم عيال فى إعدادى".

فتململ مجدى فى مكانه وهو يلمس نظارته بأصبع السبابة الأيمن وكأنه يحاول التفكير فى الهروب من السؤال ثم قال:

"كل شىء نصيب يا خالد".

– أيوه، أيوه.. كل شىء نصيب، حتى العنوسة نصيب.

قالها يوسف فضحك الجميع، بينما ظل مجدى الزينى على هيئته ممتعضًا، وابتسم ابتسامة باهتة وظهرت فى عينيه لمحة من الذكريات، وفى هذه اللحظة

مال يوسف أباظة على عماد الذى كان هائمًا فى عالم آخر وكأنه لم يخرج بعد من المشادة التى دارت بينه وبين أشرف زيدان، وهمس له قائلًا:

"انت ماصالحتش هند لسه"؟!

– هند، هند مين يا عم؟! دى لسه عايشة فى دور الزعلانة والمجروحة والكلام اللى بالك منه ده.. دى حتى يا أخى ماحاولتش تطّمن عليّا من يوم ما راحت لأهلها من عشر أيام.

– كفاية عجرفة بقى يا أخى، مش انت اللى زعّلتها.. يبقى انت اللى لازم تصالحها.

فضحك عماد ساخرًا وهو يقول:

"وهو فى ستّ فى الدنيا دى كلها يا يوسف تستحق اننا نترجّاها علشان ترضى علينا"؟!

فنكس يوسف رأسه ثم نظر إلى عماد نظرة عتاب على قوله هذا ثم قال وهو يرفع رأسه:

"بس هند طيبة يا عماد، واتحمّلت غباوتك وعجرفتك كتير أوى، وماتستحقّش منك كده".

– يا عم بطّل كلام فى الفاضى بقى وانسى، إحنا هنا علشان ننسى همومنا.. ننسى شوية أرف الشغل، مش هانقعد بقى نتكلم عن الستات الخاينة – قالها بنوع من القرف والاشمئزاز.

فحدجه يوسف بنظرة ثاقبة وغاضبة وهو يقول:

"هند أشرف منك يا عماد، عار عليك لما تقول عنها كده.. دى مراتك.. حرام عليك".

فصمت عماد مبتسمًا بلا مبالاة ثم قال بعد وهلة قصيرة:

"ماتتعبش نفسك يا يوسف وانسى، الموضوع كله ولا على بالى".

كان صوت عماد عاليًا خلال المناقشة، وسمعه الجميع، فقال خالد:

"إزاى ولا على بالك يعنى؟! انت عايز تدمّر بيتك واستقرارك والسلام"؟!

– وهو من إمتى الاستقرار مرتبط بالست يا خالد؟!، بالله عليك يا أخى ركّز فى كلامك كده وشوف انت بتقول إيه.. وبعدين انت عارف رأيى كويس أوى فى الموضوع ده – قالها عماد بكلمات تملؤها المرارة.

فقال مجدى الزينى وهو يشير بيده:

"يا جماعة سيبوه فى حاله.. مش ده الوقت المناسب اللى نتكلم فيه عن أمور زى دى، وماتنسوش انه لسّه متضايق من اللى حصل مع أشرف زيدان".

فنظر إليه عماد عز الدين نظرة غاضبة قائلًا بحدّة وتعال:

"مايقدرش ابن الكلب ده حتى يضايقنى، لا هو ولا غيره".

فانحنى يوسف أباظة عليه قائلًا بهدوء:

"إهدى كده يا أخى.. واسمعنى بقى.. الأهم من ده كله.. مش هاتسمع الكلام بقى وتهدّى اللعب شويّة"؟

– لعب إيه؟

– مقالات اليومين دول وخصوصًا مقالك الأخير.. الناس دى مش سهلة، وأديك شايف كمية التهديدات اللى جتلك فى الفترة الأخيرة.

– ماتقلقش، وبعدين بقالهم فترة محدش بيكلمنى.. أقصد محدش منهم بقى بيهددنى – أنهى كلماته مبتسمًا بتعجب وتأمل.

– قصدك إيه؟!

– والله ما انا عارف.. خير ان شاء الله، وماتقلقش على اخوك.. أخوك جامد.. بس يا إما بيدبّروا حاجة جديدة يا إما زهقوا.

– والله أنا خايف عليك.. أهم حاجة خلّى بالك من نفسك وخِف اللعب شوية.

نظر إليه عماد عز الدين لوهلة سادها التأمل والتفكير، ثم قال وهو يهز رأسه:

"خير ان شاء الله".

وبعد وهلة عاد الجميع إلى حيويتهم وبدءوا فى مناقشة العديد من الأمور بجدية لا تخلو من المرح والضحك، ثم انصرفوا جميعًا؛ عماد عز الدين فى رفقة خالد مختار، ويوسف أباظة ومجدى الزينى كل إلى طريقه.

- ٢ -

فى التوقيت الذى غادر فيه عماد عز الدين وخالد مختار المقهى كان محمد عطية البالغ من العمر ٢٨ عامًا يجلس على جانب أحد الشوارع فى إمبابة بصحبة عدد من الأصدقاء، كان طويل القامة، متوسط البنية، أسمر الوجه، له ملامح جذابة تتخللها علامات الشقاء والبؤس، وكان شابًا متعلمًا من أسرة فقيرة.

فى تلك اللحظة كان حزينًا ومسطولًا، يتشارك لفافة "حشيش" مع أصدقائه محاولًا تناسى الظروف الصعبة التى تقتل حياته كل يوم؛ فلديه من الأخوات ٦ جميعهم يصغرونه وفى مراحل تعليمية مختلفة، ووالده متوفٍ، ووالدته مريضة، وكان ملزمًا بتوفير المال لمساعدتهم على قضاء حاجاتهم المختلفة من طعام وشراب وملبس ومصاريف للتعليم، نعم كان محمد عطية هو العائل الوحيد لأسرته.

وفى هذه اللحظة كان صامتًا للغاية و لم يحوّله تأثير الحشيش كالعادة إلى مهرج يضحك بلا انقطاع، وممثل بارع يستطيع تقليد كل الفنانين المعروفين، ولاحظ أحد أصدقائه ذلك فهمّ قائلًا بمرح:

"مالـك يا فنـان؟! باين الدمـاغ ماطلعتش الماركة البريمو يـا جدعان"!

وضحك الجميع.

فنظر إليه دون أن يتكلم، فأردف صديقه قائلًا بجدّية:

"مالك يا محمد؟! خير.. فى حاجة ولّا إيه"؟!

لم ينظر إليه محمد، لكنه بعد برهة من الصمت قال:

"أمى تعبانة أوى ومحتاجة لعملية فى أسرع وقت، وانت عارف الحالة ماتسمحش".

فقال أحدهم:

"لا حول ولا قوة إلا بالله".

فردّ صديقه:

"ولا يهمك يا محمد. إن شاء الله خير".

فصاح محمد فجأة قائلًا:

"إزاى؟!.. إزاى بس"؟!

– روّق يا أخى كده، وخليك مؤمن بالله، وخدلك نفَس من السيجارة بالراحة كده وانت تنسى كل حاجة.

فنكس رأسه حزينًا حيث علم أن أصدقاءه فى حالة نصف يقظة، ولكن سرعان ما قال أحدهم وقد بدا فى لهجته كأنه تذكر شيئًا:

"محمد"!

فالتفت إليه محمد قائلًا بلهفة:

"نعم".

– إنت عارف الكاتب المشهور اللى اسمه عماد ولّا إياد.. مش فاكر.. الكاتب ده يا أخى اللى كلّمتنا عنه قبل كده؟

– تقصد عماد عز الدين؟!

– مش عارف.. تقريبًا هو.. المهم يعنى انت حكيت لنا على ما افتكر انه راجل طيب وابن ناس.. ده غير ان باين من كلامك إنه بيعزّك.. ما تروحله.

فنكس محمد رأسه وهو يرمش بعينيه سريعًا، وبدا نوع من المرارة على ملامحه و لم يتكلم، بينما سمع صديقه يقول:

"يا أخى روحله وكلّمه عن ظروفك.. مش هاتخسر حاجة يعنى، مش يمكن يساعدك؟ الراجل ده غنى زى ما قلتلنا، وعملية أمك مش هاتكلفه كتير، وبعدين دى هاتزود من حسناته".

فقال محمد وكأنه يحدث نفسه:

"إنت مش فاهم حاجة".

– إيه؟

– مافيش حاجة.. مافيش حاجة.

– أمك بتموت وانت لسه بتفكر، أنا مش فاهمك!

فأخذ محمد نفسًا عميقًا من السيجارة، ثم رفع رأسه وهو ينفخ الدخان بهدوء مفكرًا بعمق، فسمع أحدهم يقول:

"أنا علشان امى ممكن أقتل.. هو فى بعد الأم يا جدعان؟!.. ها"؟!

فالتفت نحوه محمد عطية فجأة وظل ينظر إليه طويلًا بنظرات متأملة ونافذة وقد بدأت الأفكار تتخبط فى رأسه، وشرع تأثير الحشيش يتملك منه، وظهرت في عينيه لمحة من الذكريات، ثم انطلق يمشى بعيدًا عنهم فصاح أحدهم قائلًا:

"إنت رايح فين فى الساعة المتأخرة دى يا فنااااان"؟!

فقال بلهجة غامضة وحادة وهو يبتعد مسرعا دون أن يلتفت إليهم:

"رايح ألحق أمى وآخد حقى.. ولو ماكنش بالذوق يبقى بالعافية".

وانطلق سريعًا حتى غاب عن أعينهم.

-٣-

كان المكان هادئًا فى العجوزة حين وصل عماد عز الدين إلى منزله، وكان النور خافت يغطى المنازل حيث كانت الأشجار تحيط بكل العمارات فى المنطقة، خرج من سيارته ودخل إلى العمارة التى يسكن فيها، ولاحظ عدم وجود البواب فقال لنفسه مستنكرًا:

"راح فين الحيوان ابن الكلب ده؟! أكيد نايم ولّا تلاقيه فى القهوة.. فلاح ومتخلف.. مش فالح غير انه يطلب منى فلوس عمّال على بطّال وبسبب ومن غير سبب.. البلد كلها بقت بتاخد وماتشتغلش.. حاجة تقرف..".

دخل إلى منزله الخالى تمامًا من أية روح بشرية فدار فيه بعينيه بعد أن أناره كاملًا وكأنه يتفقده، ثم هزّ رأسه مستنكرًا وحدته ولكنه سرعان ما قال "احسن" وكأنه يعزّى حاله، ثم ذهب إلى غرفته وكان على وشك تبديل ملابسه لكنه سرعان ما عاد فى قراره قائلًا "مش دلوقتى.. بعدين"، ثم اتجه إلى غرفة مكتبه وجلس على كرسيه الوثير خلف المكتب وأشعل سيجارًا وشرع فى قراءة كتاب ملقى على مكتبه.

بعد ثلث ساعة تقريبًا وصل محمد عطية إلى العمارة التى يسكن فيها عماد عز الدين، وما كان منه إلا أن دخل و لم يجد البواب أيضًا فاتجه مسرعًا إلى

المصعد ومنه إلى شقة عماد عز الدين، وظل يدقّ الجرس بلا مجيب، فشعر بأنه لا يوجد أحد على الإطلاق، فقرر أن يعود من حيث أتى، لكنه سرعان ما تذكّر باب المطبخ الذى يتركه الكاتب الشهير مفتوحًا فى أغلب الأوقات، ورغم استبعاده لهذه الفكرة إلا أنه قرر أن يتقصى أمر الباب، وبالفعل ذهب إلى هناك فوجده مواربًا جدًّا بحيث يبدو للمار وكأنه مغلق، ففتحه وانسل داخل المنزل ولكنه لم يغلقه خلفه، و لم يجد شيئًا غريبًا فذهب مباشرة إلى غرفة النوم وفتحها بهدوء جدًّا، وشعر بأن أنفاسه فى هذه اللحظات قد أوشكت على النهاية وبأنه سيموت لا محالة من شدة الخوف لو مر فأر من جانبه؛ فلم يكن محمد تلك الشخصية التى يمكنها أن تقتل أو حتى ترتكب أى نوع من الجريمة؛ فهو مسالم بطبعه، ولكن للشيطان دائمًا آراء أخرى؛ فهو يعلم فينا دائمًا الجانب الذى لا نعلمه عن أنفسنا.. الجانب المظلم.

فى هذه اللحظات كان يلعن الحماس الذى ظهر فجأة عليه عندما سمع كلمات صديقه بأمر القتل لأجل الأم، فأحيانًا يجرفنا الحماس إلى نهايتنا.

وشرع ينظر يمينًا ويسارًا، والغريب أنه وجدها فى حالة فوضوية ولكنه لم يكترث كثيرًا، انتظر للحظات وهو يحاول جمع رباطة جأشه، وبعد أن تأكد من عدم وجود أحد فى الشقة فتح الدولاب فوجد مبلغًا كبيرًا من المال وصندوق مجوهرات، وبمجرد أن مدّ يده سمع صوت أحدهم يمشى فى الشقة فأصيب بالهلع، فأسرع بأخذ صندوق المجوهرات، ووقف خلف الباب يستمع بهدوء إلى الصوت الذي اختفى بعد دقيقة تقريبًا، فشعر بأن هذا الصوت لم يكن إلا من وحى خياله المصاب بالهلع هو الآخر، ولكنه وارب الباب بهدوء لكى يستطيع أن ينظر إلى الخارج، وبعد أن شعر بأن كل شيء هادئ خرج على أطراف أصابعه والخوف يتملك منه، وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا بسرعة والرعب يقفز من عينيه.

وفى طريقه إلى الهروب سمع صوت ارتطام شيء فى المطبخ فارتجف من شدة الخوف وانطلق مسرعًا نحو باب الشقة ودعا الله ألا يكون مغلقًا بمفتاح وهو يلهث وبالفعل وجده كما توقع، ففتحه بالقدر الذى استطاعه من الهدوء، وبعد أن خرج وأغلق الباب خلفه حاول أن يأخذ نفَسه ولكن بلا جدوى؛ حيث شعر بأن الأرض تميد من تحته، فهبط السلم مسرعًا ودون أن يحدث جلبة بقدر الإمكان، وأثناء خروجه من باب العمارة اصطدم بقوة بالبواب، ولكن لم يكن حظه مشئومًا بالكامل، و لم يقع منه صندوق المجوهرات الذى أخفاه تحت سترته، فنظر إليه البواب دون أن يتكلم وكأنه مصاب بالصدمة، ولكن محمدًا حاول جمْع شتات نفسه وابتسم قائلًا له:

"مساء الخير ، مش تخلّى بالك.. كنت هاتوقعنى".

فقال البواب وهو يرفع يده محييًا ومازالت علامات التعجب واضحة على وجهه والشرود فى لهجته:

"آسف يا أستاذ.. ماقصدش".

- حصل خير

وانطلق محمد فى طريقه وهو يلهث، ثم لمس الصندوق بيديه من فوق السترة وهو يقول "غبى.. متخلف، ده انا أفقر خلق الله، إزاى اعمل كده؟! إزااااى؟!.. إزاى أسيب الفلوس وآخد صندوق مجوهرات مش عارف هيودينى على فين؟! يا ترى هاعرف اتصرّف فى الدهب اللى فيه؟.. أكيد عماد عز الدين هايبلغ عن السرقة وهايرفعوا البصمات..".

ثم قال وكأنه يطمئن نفسه:

"عادى المهم امى.. أنا ممكن ابيع الدهب ده.. حتى لو هابيعه بنص التمن لأى تاجر من اللى شغالين فى الدهب المسروق.. ودول كتير.. وإن شاء الله الفلوس هاتكفى.. أهم حاجة انقذ امى..".

-٤-

قبل ذلك بنصف ساعة كانت هند الألفى زوجة عماد عز الدين تجلس أمام التلفاز تشاهد أحد الأفلام العربية الكلاسيكية فى صمت وقد وضح عليها الحزن والقلق معًا، كانت متوسطة القامة، نحيلة إلى حد ما، صاحبة وجه فاتن، وكانت تميزها عيناها العسليتان الواسعتان الجميلتان اللتان تغطيهما أهداب طويلة ورقيقة، وكان يجلس فى مواجهتها والدتها وأختها، ولاحظت والدتها شرودها فقالت لها بنبرة حنونة:

"إنتى بخير يا هند"؟

و لم تسمعها هند حيث كانت شاردة، فرفعت والدتها من نبرتها أكثر لكى تنبهها مكررة السؤال مرة أخرى، فما من هند إلا التفتت بهدوء قائلة:

"فى حاجة يا ماما"؟

– بسألك.. إنتى بخير؟

– آه.. أنا بخير يا ماما.

– مش باين يعنى يا هند.

فتنهدت هند بضيق قائلة:

"يا ماما أرجوكى، كام مرة سألتى السؤال ده وفى كل مرة بكرر نفس

الإجابة.. ماتشغليش بالك وسيبينى فى حالى لو عايزانى اكمل معاكوا هنا.. الله يخليكى".

فصمتت أمها وهى تنظر إليها نظرة شفقة، وبعد وهلة قصيرة قالت أختها دعاء، وكانت تشبهها كثيرًا:

"لازم تحطّى نهاية للى انتى فيه ده، بطّلى هبل بقى وبلاش السلبية اللى انتى فيها دى".

– أنا مش مجنونة ولا سلبية يا دعاء..

– لأ.. إنتى أكتر من كده يا هند، وبجد مش فاهمة ليه بتعملى فى نفسك كده!، حرام عليكى، إنتى لسه صغيرة وحلوة وألف مين يتمناكى.. مش فاهمة بجد.. ليه مصرّة تكمّلى مع البنى آدم الغريب ده – قالتها باستنكار حاد.

– ماتنسيش انه لسّه جوزى وإهانته إهانة ليا.

– والنبى بلاش شوية الإخلاص والهبل بتوعك دول وفوقى.. ده مغرور ومتخلف.. أنا مش فاهمة بتحبيه على إيه!

و لم تردّ هند على أختها بل ظلت تنظر إليها نظرة غريبة وغير مفهومة، وبعد لحظات أردفت أختها تقول:

"إنتى نسيتى عمل فيكى إيه من كام شهر؟! وكان مع مين؟ ده إيه الخِسّة والدناوة اللى هو فيها دى؟! وكمان لسة بتدافعى عنه!.. السؤال اللى بجد مش لاقياله إجابة هو.. إنتى بتحبيه بجد يا هند، ولّا إيه بالظبط اللى مخليكى تكمّلى معاه؟!.. أنا مش عارفة انتى خايفة من إيه ولّا باقية على إيه؟! ولّا تكونى خايفة على المظاهر الاجتماعية الكدابة اللى فى المجتمع الرخيص اللى احنا عايشين فيه؟!.. المجتمع اللى بيبيح كل حاجة للرجالة والست تبقى ساقطة لو عملت أقل حاجة؟! أنا مش فاهمة مجتمع إيه ده اللى احنا عايشين

فيه!.. بلا أرف.. ماتبصّليش كدا.. مش عارفة بجد بتحبيه ولّا فى حاجة تانية أنا مش فاهماها!.. أصل ده بالنسبالى مش حب.. ده تخلف.. وانتى عارفة كويس أوى انى عندى حق فى كل كلمة بقولها بس طبعًا مش عايزة تصدقى زى كل ست غبية".

- كفاية بقى يا دعاء أرجوكى، أعصابى ماتتحلمش ده كله.. وبعدين احنا مش ملايكه، إحنا كلنا بنغلط يا دعاء.. فاهمة.. كلنا بنغلط.
- فيه فرق بين الغلط والخطيئة.. الغلط نقدر نسامح عليه، أما الخطيئة بقى فاللى بيسامح عليها ربنا، واحنا مش ربنا يا هند.

فصاحت هند فى أختها بحدة وغضب وهى تهم من مجلسها:

"إنتى قليلة الأدب والذوق، وماتعلمتيش ازاى تتكلمى مع اللى أكبر منك حتى لو ماكنوش فى مستوى تفكيرك اللى بيديكى الحق فى إنك تجرحي مشاعرهم".

صاحت أمهما وهى توجه حديثها لدعاء:

"بس بقى يا دعاء واخرسى خالص.. سيبى أختك فى حالها"، ثم بهدوء قالت لهند:

"ماتزعليش من حد غيرى يا هند.. معلش بقى انتى عارفة اختك وقلة ذوقها"، ونظرت لدعاء بحدة.

فأمسكت دعاء بالمجلة التى تقرأ فيها وهى تتمتم:

"عيلة غريبة ومتخلفة".

أغلقت هند باب غرفتها وجلست خلفه على الأرض، ثم أسندت صدرها إلى ركبتيها وأخذت تبكى بشدة وبصوت مكتوم وهى تقول لنفسها "حرام.. والله حرام".

الفصل الثاني

- ١ -

فى صباح اليوم التالى القارس البرودة، وعندما كانت الساعة تدق التاسعة صباحًا، كان خالد مختار فى هذه اللحظة يحكم إغلاق سيارته أمام منزل عماد عز الدين، وظل واقفًا للحظة ينظر إلى العمارة التى يسكن فيها الأخير، وبدا عليه أنه يراجع ذكرياته ويرتبها بشكل يسمح له بتذكر شيء ما ربما نسيه أو خاف أن ينساه، هذا ما بدا عليه فى هذه اللحظات، وبعد وهلة قصيرة هز رأسه من أعلى إلى أسفل وكأنه تأكد أن كل شيء على ما يرام ثم انطلق تجاه مدخل العمارة، ورأى البواب وهو يعنّف أحد أولاده، فظلت عيناه متعلقتان بهذا المشهد حتى دخل المصعد ومنه إلى شقة عماد عز الدين.

كان المكان هادئًا للغاية، بل كان باردًا وجامدًا كالموت، فدقّ جرس الباب بهدوء ولكن أحدًا لم يجب، فحاول مرة أخرى بلا مجيب، استرسلت أفكاره بسرعة وتهكم فى نفسه على ذلك الموقف السخيف الذى يتعرض له فى هذه اللحظات، وسرعان ما انتشل هاتفه من أحد جيوبه وشرع يدق على عماد وهو يتمتم "اصحى يا كسلان ورانا مواعيد مهمة"، ولكن بلا ردّ، فوضع أذنه على الباب يسترق السمع محاولًا أن يتأكد من عدم وجوده، وبالفعل كان يسمع صوت الهاتف الذى يدق عاليًا وكأنه يدق فى الخلاء، ولكن كان الجرس ينتهى بلا شيء.

سرت قشعريرة فى جسده، ولكن هذا لم يمنع أفكاره من رسم خطة للدخول، فدخل من باب يؤدى إلى السلم ومنه إلى باب الخدمة حيث يمكنه أن يرى باب مطبخ شقة صديقه عماد، وبالفعل وجده مفتوحًا على مصراعيه، فتعجب للحظات ثم دخل بهدوء إلى المنزل وهو ينادى بحذر "عماد"، ولأنه يعرف البيت جيدًا اتجه أولًا نحو غرفة النوم التى وجدها فى حالة فوضى عارمة؛ فأبواب الدولاب جميعها مفتوحة، والملابس ملقاة على الأرض بشكل فوضوى، والأدراج أيضًا جميعها مفتوحة، فانطلق مهرولًا والفزع والقلق يتملكان منه نحو غرفة مكتب عماد الواقعة فى آخر الطرقة التى توجد بها غرفة النوم، وحينما دلف إلى الغرفة جحظت عيناه واصفر وجهه فجأة، وذهبت كل صور الحياة من ملامحه، وظل جامدًا فى مكانه وهو ينظر إلى عماد عز الدين الذى كان فى وضع مرعب للغاية؛ فقد كان جالسًا على كرسى مكتبه ورأسه إلى الخلف والدماء تغطيها، وقد بدا أن شيئًا قد اخترقها حيث توجد آثار دماء على الحائط الخلفى له، بينما كانت يداه متدليتين على جانبيه، وفمه مواربًا قليلًا.

تراجع خالد مختار خطوتين للوراء غير مصدق ما يرى، وحاول بكل الطرق أن يستفيق من الصدمة ولكن بلا جدوى، دارت بعقله العديد من الأفكار الغريبة والمتناقضة، وكلما حاول التقاط إحداها تبخرت وتركته وحيدًا كالصنم، وبعد وهلة قصيرة نظر خالد حوله بلا هدف وكأنه يستنجد بأى شيء، ثم هرول فجأة نحو السلم ونزل بسرعة وكأنه نسى أمر المصعد ليستنجد بأى أحد، فرأى البواب ما زال منشغلًا بتوبيخ ولده فقال له وهو يحاول تجميع أنفاسه التى ذهبت من شدة الخوف والهلع:

"ق.. قتلـ.. قت..".

فنظر له البواب متعجبًا وقال بقلق:

"فى حاجة يا أستاذ"؟

وفجأة قالها كاملة بصوت عال وكأنه يدفعها خارجًا:

"قتلوا.. قتلوا عماد عز الدين".

بعد ٢٠ دقيقة تقريبًا طوّقت الشرطة العمارة بالعديد من أفراد الأمن، وكانت شقة عماد عز الدين تعج بالعديد من الأشخاص من رجال شرطة إلى فريق البحث الجنائى وفريق الطب الشرعى، وكذلك خالد مختار الذى كان شاردًا ومذهولًا، والبواب الذى وقف فى أحد الأركان يبكى ويوبخ نفسه قائلًا "أنا السبب.. أنا السبب".

كان فؤاد الأسيوطى رئيس المباحث فى هذه اللحظات واقفًا يوجه رجال الأمن لما يجب أن يفعلوه، وفى هذه اللحظة نظر إلى خالد مختار نظرة ثاقبة، لم يكن فؤاد الأسيوطى كبيرًا فى السن بل كان أقرب ما يكون صغيرًا بالمقارنة مع عمله؛ فقد كان حاد الذكاء مجتهدًا مما جعله جديرًا بهذا المنصب، ورغم كل ذلك فقد كان يعيش حياة شخصية أقرب ما تكون مؤسفة؛ فإن طلاقه من زوجته التى جمعته بها قصة حب من تلك القصص التى يمكن وصفها بالقصص الخالدة جعلته مدمنًا لعمله بلا طلب لشفاء، وربما كان ذلك سر نجاحه، أحيانًا وراء كل رجل عظيم جرح أعظم، كان فؤاد الأسيوطى شخصية محترمة تتحلى بالقيم والمبادئ على عكس العديد من رجال الشرطة الآن، وكان وحيدًا يقضى أوقاته بين شقته وعمله، نعم لم يكن هناك شيء آخر.

وضع سيجارة فى فمه دون أن يشعلها واتجه نحو خالد مختار قائلًا:

"معاك..؟" وأشار بيده وكأنه يعنى كبريتًا أو ولاعة.

فأومأ خالد مختار برأسه بالإيجاب ودسّ يده فى أحد جيوبه وأخرج له ولاعة، فأخذها منه وأشعل السيجارة وهو ينظر إليه بتأمل وكأنه يفحصه ويدرسه، ثم أعطاه الولاعة وهو ما زال ينظر إليه ثم قال:

"شكرًا".

فأومأ خالد مختار برأسه دون أن يتكلم حيث كان الذهول مازال مسيطرًا عليه، وأدار فؤاد الأسيوطى ظهره وفجأة التفت مرة أخرى إلى خالد مختار قائلًا:

"خالد مختار المنتج السينمائى.. مش كده.. أنا عارفك.. أنا آسف على اللى حصل للكاتب عماد عز الدين.. كان صاحب قلم مميز وخاص الحقيقة، وخسارته خسارة لينا كلنا.."، ومد يده قائلًا:

"أنا فؤاد الأسيوطى رئيس المباحث".

فانتبه خالد وصافحه بهدوء وشرود قائلًا:

"أهلًا وسهلًا".

– أهلًا بيك بس قول لى انت هنا ليه من بدرى أوى كده؟! يعنى إيه اللى جابك بدرى للمجنى عليه؟!

– كان فى ميعاد بينى وبين عماد.. كان ورانا كام مشوار.. شوية أمور كنا لازم نخلصها.

– إم، مفهوم.. مفهوم.

وصمت للحظات ثم قال وهو يتنقل فى الشقة بعينيه:

"واضح انها جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد.. مش بعيد يبان بعد كده انه قتل بغرض السرقة.. ده الواضح من الفوضى اللى فى الشقة.. مش عارف!.. بس أعتقد ان القاتل يعرفه كويس".

فنظر إليه خالد مختار بتعجب لهذا الاستنتاج، وقد وضح أن فؤاد الأسيوطى لم يكن مهتمًا كثيرًا بما يقول، حيث ما زال ينظر إلى الشقة ويتأملها، وفجأة سمع صوت خالد يقول بتردد:

"وليه.. وليه بتعتقد ان القاتل يعرفه كويس"؟!

و لم يلتفت إليه فؤاد الأسيوطى ولكنه قال بلا مبالاة:

"ها.. مش عارف.. ده مجرد تخمين مش أكثر.. مافيش فى الشقة أى أثر لاقتحام لحد دلوقتى، ولو افترضنا ان القاتل دخل من باب المطبخ اللى لقيناه مفتوح، فأكيد كان على علم من قبل كده انه مفتوح.. أو يمكن متساب له مفتوح.. إم ليه لأ؟!.. قليلين أوى اللى بيسيبوا باب المطبخ مفتوح.. أظن ان القاتل عارف المعلومة دى كويس.. أقصد موضوع باب المطبخ.. أظن انه عارف، ولو ماكانش.. ده يبقى قاتل عنده إصرار لتنفيذ مهمته، وعنده خطة بديلة مسبقة ومدروسة كمان كويس.. باعتبرهم بؤساء.. بؤساء اللى قرروا انهم ينهوا كل شيء رغم أنف الظروف.. بس غريبة!.. إنت منزعج ليه كده ان القاتل على معرفة بالمجنى عليه"؟!

والتفت إليه قائلًا فجأة:

"هو انت قتلته"؟

فجحظت عينى خالد من السؤال قائلًا:

"إنت بتقول إيه"؟!– قالها بنفور وضيق.

– يبقى ماقتلتوش، ويبقى كده ممكن اكون غلطان فى ظنّى – كان يقولها بغموض.

وبعد وهلة من الصمت اتجه فؤاد الأسيوطى إلى البواب، وأجرى معه محادثة قصيرة، وكان يوجه نظراته من وقت لآخر إلى خالد مختار الذى كان يتابع حديثه مع البواب بشغف، وما كان يشد انتباه خالد بتعجب عندما كان فؤاد الأسيوطى يشير إليه من لحظة لأخرى وهو يتحدث إلى البواب، وبعد دقائق اتجه فؤاد الأسيوطى مرة أخرى نحو خالد وهو يقول:

"تقدر تمشى دلوقتى يا أستاذ خالد، إنت محتاج للراحة بس على شرط.. إنك تجينى النهاردة علشان آخد أقوالك"، ودسّ يده فى جيبه وأعطاه كارتًا قائلًا:

"وده الكارت الخاص بيّا، لو عايز تكلمنى فى التليفون فى أى وقت.. يمكن تفتكر حاجة ماتتحملش التأخير.. إنت عارف اننا فى عرض كل معلومة ممكن تفيدنا فى قضيتنا"، ثم أشار له على رقم فى الكارت قائلًا: "وده رقمى الخاص.. هستناك"، قال كلمته الأخيرة بغموض ولكن لهجته لم تخلُ من الود.

- ٢ -

كان محمد عطية يجلس فى غرفته مذهولًا أمام الصندوق الذى سرقه، لم يكن يتصور للحظة واحدة أن ما جازف من أجله لم يكن أكثر من صندوق مجوهرات ثقيل لا يحوى سوى بضعة أوراق، دار بعقله الكثير من التساؤلات، فابتسم ساخرًا من نفسه ومن حظه الأسود، واقتنع بأن القدر لا يخفى له سوى البؤس والعذاب ولا مفر من مواجهة مصير أمه المؤلم إن لم ينقذها قريبًا.. قريبًا جدًا.

بعد فترة من الهدوء والخوف الذى تسلل إليه أيضًا قرر أن يعود إلى شقة عماد عز الدين بأية طريقة ممكنة ليعيد الصندوق الفارغ من أية قيمة مادية إلى مكانه، ولكنه بعد وهلة قرر أن يُبقى على الصندوق خوفًا من أن يكون عماد عز الدين قد أبلغ عن سرقته، ولكنه قال لنفسه مهدئًا: "معقول يبلغ عن صندوق مالوش أى قيمة"؟!

****

ظلت هند تنظر إلى خالد مختار طويلًا وقد غابت عيناها عن الوعى فلا تكاد تراه أو ترى أى شىء آخر بمجرد أن سمعت خبر مقتل زوجها، وقد بدا خالد حزينًا للغاية وهو يحاول قدر الإمكان أن يمسك دموعه مترددًا

يبحث عن الكلمات بصعوبة بالغة، فياله من حظ سيئ الذى أوقعه فى هذا الموقف الصعب والذى لن ينساه طيلة حياته، وبعد برهة قصيرة سادها الصمت والأفكار المتناقضة والمختلطة والسريعة أيضًا وضعت هند يدها على صدرها وأطبقت بقبضتها بقوة على البلوزة التى ترتديها وظلت قابضة عليها، وانقبضت ملامحها وشرعت دموعها تنهمر وعيناها ترتجفان من هول المفاجأة؛ فلم تتصور للحظة واحدة أن يكون الخبر على هذه الشاكلة، نعم.. إنها الآن تقف وسط أشد كوابيسها.

وفى المساء كان خالد مختار يتوسط مجدى الزينى ويوسف أباظة فى مكتب الأخير وكان الصمت هو المسيطر الوحيد، ومازالت الصدمة تسيطر عليهم حيث قال يوسف أباظة الذى اصفر وجهه بعد لحظات طويلة من التفكير:

"أنا مش مصدق.. معقول عماد مات!.. فجأة كده"!!

فقال خالد مختار:

"قصدك قتلوه".

فقال مجدى الزينى:

"ومين دول اللى قتلوه؟! مين اللى ليه مصلحة فى قتله"؟!

فقال خالد مختار وهو يمسح بيده اليمنى على شعره وكأنه يستفيق:

"مش عارف، بس لحد دلوقتى مش مقتنع خالص انه اتقتل".

وعاد بذاكرته للحظة وهو يغمض عينيه وكأنه تذكر شيئًا مؤلمًا ثم قال:

"أنا شفته وهو قاعد على مكتبه وشفت المكان اللى دخلت منه الرصاصة.. منظر فظيع وبشع.. أنا ماكنتش متخيل ان المخ فيه كل كمية الدم دى!.. معقول يكون انتحر؟! ولو فعلًا انتحر.. طب ليه؟!.. إيه السبب اللى يخلي عماد ينتحر"؟!

– وإيه اللى خلاك تقول كده؟! مش انت قلت انهم لقيوا الشقة متبهدلة؟!– قالها مجدى الزينى.

فقال يوسف أباظة متهكمًا:

"عماد ينتحر؟!.. آخر واحد ممكن ينتحر فى الدنيا دى هو عماد عز الدين.. بسّ يا خالد وبطّل هبل".

فهز مجدى الزينى رأسه وهو يقول:

"بالظبط.. أنا موافقك يا يوسف.. عماد لا يمكن ينتحر..".

صمت خالد مختار للحظات وكأنه لم يسمعهم، ثم تنهد بعمق مرير وقال:

"ده كان سعيد ومرح جدًا فى آخر ايامه، وكان نشيط بشكل غريب ومقدم على العمل بشكل رهيب وفى نجاح مستمر، لا لا لا.. مستحيل يكون انتحر"– أنهى كلماته وهو يشير بيديه معترضًا.

فقال مجدى الزينى بهدوء:

"مش عايزين نسبق الأحداث.. المسألة كلها غامضة، ولازم نحط فى اعتبارنا ان عماد ماكنش من النوع اللى بيبين اللى جواه.. كان كتوم جدًا– الله يرحمه – وخصوصًا فى مسائل شغله، وكان دايمًا مابيتكلمش غير عن الظاهر منها، وبعدين احنا كمان مش عارفين إيه ملابسات الموضوع بالظبط.. أنا شايف اننا نستنى شوية قبل ما نحكم على أى حاجة".

– الظابط ده كان غريب.. غريب أوى – قالها خالد مختار بهدوء وكأنه يحدث نفسه.

– أى ظابط؟! – قال يوسف أباظة متعجبًا.

– الظابط اللى بيحقق فى القضية.. اسمه فؤاد الأسيوطى.

قال مجدى الزينى:

"هما حققوا معاك"؟

– مش بالظبط.

– غريب!

– وإيه الغريب فى كده؟!

- مش عارف، بس فى اهتمام سريع بالموضوع! - قالها مجدى الزينى متعجبًا.

- طبعًا دى جريمة قتل، وعماد شخصية عامة، وماتنساش انى أول واحد شفته مقتول - أنهى كلماته بمرارة وأسى.

- إم، فهمت بس إيه الغريب فى الظابط يعنى؟! - قالها يوسف أباظة بلا مبالاة.

- مش عارف، بس تحسه شخصية كلها على بعضها كده تركيبة غريبة.. مش زى بقية الظباط اللى طالعين فيها ومتسلطين.. أنا كنت عنده فى مكتبه بعد العصر بعد ما عديت على هند، واتكلمنا كتير، والغريب بقى انه مافتحش تحقيق معايا بشكل رسمى، ومعظم اللى اتكلمنا فيه حاجات بعيد عن القضية.. آه كنت هنسى.. أظن انه هيستدعينا كلنا للتحقيق بشكل رسمى.. مش بعيد تجيلنا الاستدعاءات بكرة.

قال يوسف أباظة:

"ده شيء طبيعى، هيسألنا طبعًا الأسئلة المعتادة عن حياته وشغله والكلام ده.. إنتوا عارفين ان المعلومات المهمة مش هيقدر ياخدها من حد تانى غيرنا.. ماتنسوش اننا صحابه".

فقال مجدى الزينى:

"إحنا آخر حد شافه على ما أظن".

هز خالد مختار رأسه قائلاً:

"أظن كده".

بدا يوسف أباظة شاردًا فى معظم الأوقات، ولكنه قال فى هذه اللحظة:

"أظن اننا نعرف القاتل.. ده مش بس نعرفه.. ده احنا نعرفه كويس أوى كمان".

فنظر له الاثنان نظرة دهشة، ثم قال خالد مختار متلهفًا:

"ومين هو يا ترى"؟!

"باشكّ فى شخص معين، لما اتأكد هقول لكم".

فقال مجدى الزينى:

"تقصد أشرف زيدان والخناقة اللى حصلت امبارح؟ معقول كان بيهدده بالقتل؟.. ماخطرش على بالى حاجة زى كده!.. مش عارف بصراحة"!

فقال خالد مختار:

"وليه لأ؟!.. كل شيء وارد فى الدنيا دى"!

و لم يعلق يوسف أباظة بكلمة على حديثهما، ولكنه قال وهو ينقل بصره بينهما بنظرة ذات مغزى:

"لما أتأكد هقول لكم".

-٣-

قبل المشهد التاني بساعات

جلس خالد مختار على كرسى فى مكتب فؤاد الأسيوطى الذى وصل للتو قائلًا بابتسامة:

"أهلًا يا أستاذ خالد، آسف انى اتأخرت عليك، إنت عارف طبعًا طبيعة شغلنا".

- ولا يهمك، وشكرًا على كل حال.
- تشرب إيه؟
- ولا حاجة شكرًا.
- أدينا مستنيين تقرير الطب الشرعى لّما نشوف الدنيا هتودّينا على فين.

هز خالد مختار رأسه دون أن يتكلم، بينما قال فؤاد الأسيوطى مسترسلًا في حديثه:

"قلت لك النهارده الصبح انى عايزك، والحقيقة انى عايز ادردش معاك شوية قبل ما افتح أى تحقيق رسمى" - قالها كمن يأمر ولا يطلب.

اندهش خالد مختار للحظة ثم قال:

"طيب ماكنش ممكن تأجلها شوية؟.. بصراحة حالتى النفسية ماتسمحش بأى دردشة، وانت فاهم..".

فقاطعه فؤاد الأسيوطى قائلًا بلهجة حادة بعض الشىء:

"عارف.. عارف ده كويس.. بس بما إنك هنا، خلينا مانضيّعش وقت، وانا مش هاخد من وقتك كتير، ودردشتنا هتكون فى صلب القضية.. إنت من إمتى تعرف عماد عز الدين"؟

فكر خالد مختار قليلًا ثم ردّ:

"من سنين طويلة، من أيام ثانوى تقريبًا".

- جميل جميل، إيه رأيك لو قلت لك ان عماد عز الدين مات مقتول فعلًا، والواضح لينا لحد دلوقتى إن القاتل استخدم باب المطبخ.. واضح ان المجنى عليه كان سايب الباب.. تقريبًا نسى يقفله.. إنت عارف ان الهفوات دى.. ساعات بتسبب كوارث زى ما انت شايف..
- بخصوص باب المطبخ هو دايمًا كان بيسيبه موارب.. أنا عن نفسى دخلت من باب المطبخ لّما لقيته مش بيردّ عليّا، ولما دخلت لقيته.. لقيته مقتول.. دى عادة عماد.. مابيقصدهاش طبعًا، بس فى الآخر هى عادة وحشة جدًا.
- هو عماد من النوع اللى ممكن ينتحر؟
- لأ طبعًا.
- وليه لأ طبعًا؟
- مش عارف.. بس عماد مش الشخصية اللى ممكن تعمل حاجة زى كده، وكمان عماد إنسان ناجح فى كل حاجة، فايه مبرر الانتحار؟!
- إم، مفهوم، بس ممكن يكون فى حاجة انت ماتعرفهاش؟
- لا ما اظنش.. بالرغم من إن عماد عنده أسرار كتير بس أيًا كانت الأسرار دى مش ممكن تدفعه للانتحار.. بس انت مش بتقول انه اتقتل؟!

- قصدك ليه حطيت احتمال الانتحار؟
- أيوه.
- يعنى تقدر تقول.. باتأكد منك - كانت نبرته تحمل المكر، ثم أردف بعد هدوء:

"قول لى بقى.. انت بتقضى وقت فراغك فين يا أستاذ خالد"؟
- مع صحابى.
- بسألك فين؟ مش مع مين!
- فى الغالب فى وسط البلد، بس ساعات بنروح مدينة نصر، هناك كذا مكان بنتردد عليه.. إحنا عمومًا دايمًا سوا.
- تقصد مين بإحنا؟
- عماد الله يرحمه، والأستاذ مجدى الزينى، والأستاذ يوسف أباظة، وأنا.
- إم، مجدى الزينى الكاتب والصحفى، ويوسف أباظة الناشر.. مش كده؟
- أيوه.. هو كده بالظبط.
- إم، ونعم الصحبة.. مش هسألك بتشكّ فى مين او مين ممكن يكون له يد فى قتل عماد؟ ده سؤال سابق لأوانه، بس انت شايف ان طريقة عماد فى شغله وحياته ممكن تخلّى حد يحاول يقتله؟.. الدافع هو مفتاح كل شيء زى ما انت عارف.

ظل خالد صامتًا يفكر في هذا السؤال الذى رآه غريبًا، بينما قطع صمته صوت فؤاد الأسيوطى وهو يقول:

"هما كتير أوى للدرجة دى"؟

فنظر إليه خالد متعجبًا ثم قال:

"أيًا كانت الخلافات فى أي بيئة عمل، ما اظنش انها هتأدى للقتل"

- إنت غلطان.. طبيعة العمل الصحفية - وخصوصًا الجريئة - ممكن تهلك صاحبها فى لمح البصر، وانت عارف ده كويس، مش دول الجنود اللى بتحارب الفساد بأقلامهم ومواقفهم اللى بتشيل الغشاوة من على عينين ناس كتير.. ده شغل الصحافة والأدب.. وبالتالى همّا معرضين دايمًا لردود قوية وعنيفة من الجانب الفاسد؛ لأن الفساد فى بلدنا معروف، وليه أنياب ممكن تنهش أى حد يحاول يفضحه.
- مش عارف بس معقول تكون الحكاية كده؟
- إنت شايف إيه؟

صمت خالد للحظة وقد بدت فى عينيه الحيرة، ثم قال:

"مش عارف بجد! عماد كانت بتجيله مكالمات كتير أوى كلها تهديد علشان يوقف حملاته الصحفية ضد بعض الناس الفاسدة طبعًا.. بس ماكانتش حاجة بتحصل.. يعنى فى الآخر كانت كلها مجرد تهديدات مالهاش اى هدف أكتر من إنهم يخوّفوه.. بس صدّقنى الموضوع كله بالنسبالى غامض ومش قادر استوعبه".

- يا ترى تعرف حد من اللى كانوا بيهددوه؟
- للأسف ماعرفش؛ لأن عماد ماكنش بيقول أى حاجة أكتر من إن جاله مكالمات تهديد.. عماد - الله يرحمه - ماكنش بيتكلم عن شغله كتير.. والمشكلة كمان ان عماد ماكنش بيخاف من حدّ ولا بيعمل حساب لحدّ..
- بس أكيد كنتوا - على الأقل كأصحاب - قريبين ليه، بتخمنوا مين أصحاب الاتصالات دى؟
- أكيد طبعًا.. غالبًا بيكون رجال الأعمال اللى بيكتب عنهم فى تحقيقاته ومقالاته، وخصوصًا رجال الأعمال اللى ليهم علاقات واسعة مع.. مع..

– رجالة الحكومة الفاسدة.

– بالظبط.

– عادى.. إممم.. طيب تعرف حد منهم؟

– رجالة الحكومة الفاسدة؟!

فابتسم فؤاد الأسيوطى قائلًا:

"لأ.. اللى كانوا بيهددوا عماد".

ابتسم خالد مختار ابتسامة باهتة ثم قال:

"هو فى كام رجل أعمال شريف فى مصر"؟!

أومأ فؤاد الأسيوطى برأسه متفهمًا ثم قال:

"تمام.. أنا مش عايز أكتر من كده دلوقتى.. هشوفك تانى إن شاء الله قريب.. هيجيلك الاستدعا على البيت.. بكره بالكتير".

نظر إليه خالد مختار للحظة ثم أومأ برأسه قائلًا:

"وليكن، شكرًا، مع السلامة".

– مع السلامة.

تأمله فؤاد الأسيوطى وهو يغادر المكتب، وابتسم ابتسامة ذات مغزى، وبعد أن خرج دوّن شيئًا على ورقة أمامه، ثم اعتدل فى جلسته وشبّك أصابع يديه الاثنتين ملقيًا بظهره للوراء على كرسيه، ومغمضًا عينيه، وأخذ يفكر بعمق..

"خالد مختار صاحب ملامح بريئة.. مش ماشية خالص مع جسمه الضخم.. شخصية مشهورة وغنيه وذكية جدًا علشان يوصل للى وصل ليه فى سنين قصيرة.. ممكن يكون هو؟!.. ليه لأ؟!.. مش عايز احكم بسرعة.. أنا لسه ماكوّنتش انطباعى عنه.. عمومًا انا مش هستثنيه واخرجه من دايرة الشك.. وبعدين لسه بدرى على ما اقدر أحدد خيوط الحكاية كلها.. شكلها حكاية طويلة يا فؤاد.. بس وجوده فى مسرح الجريمة كشاهد عيان أول بيثير

الشكوك حواليه رغم انه ممكن يبان عادى لأى ظابط تانى، بس اللى مش عادى انه آخر واحد شاف عماد حى وأول واحد شافه مقتول.. وكمان أنا لسه ماخدتش منه اللى انا عايزه.. واضح انه لسه تحت تأثير الصدمة.. بس رغم كده أقدر أقول انه شخصية متماسكة وقوية، ويمكن ده اللى مدعم شكوكى فيه".

-٤-

فى المساء كان محمد عطية يقاوم ضميره الذى غاب بالأمس عندما اقتحم شقة عماد عز الدين محاولًا أن يقنع نفسه بأن ما أقدم عليه لم يكن أكثر من محاولة شيطانية يائسة لإنقاذ أمه، ولكن هل تكمن كل الحقيقة فى هذه النقطة، وهل يعمل الشيطان فى الطريق الإيجابى؟!.. إنه – فى قرارة نفسه كان يسير – متجهًا لقتل عماد عز الدين وسرقته.. القتل والسرقة.. لا يبدو للمتأمل أنهما فعلان يعكسان البطولة أو النية السليمة بأى شكل من الأشكال؛ فالقتل لأجل الأم ربما يعتبره البعض نوعًا من البطولة، ولكن تظل الحقيقة ثابتة بأن كل الأفعال الشيطانية تظل شيطانية حتى وإن كانت تحمل فى ظاهرها أهدافًا سامية.. شعر محمد عطية فى هذه اللحظات بأن الأمر لم يكن فقط متعلقًا بأمه، ولكن كان هناك دافع آخر ليفعل ما فعل.. هل كرهه لعماد عز الدين هو الدافع الحقيقى؟! هل يكره عماد عز الدين إلى هذا الحد؟! ولكن امتلاك الدافع ليس كل شىء.. فقد يملك البعض الذكاء الإجرامى ولكنه لا يملك الشجاعة لتنفيذ ما وصل إليه ذكاؤه.. الأمر معادلة صعبة..

ظل يروح ويجىء فى غرفته، حيث تتكون الشقة القديمة الطراز من أربعة غرف، وتعدّ تلك الشقة هى الشىء الواسع الوحيد الذى يملكه فى حياته، فقد

كان كل شىء ضيّق فى حياته، الرزق والحياة والأمل، هكذا كان يرى محمد الأمر فى وسط ستة من الأخوة وأم مريضة.

جلس يستنكر ما فعله؛ ليس لكونه اقتحم شقة عماد عز الدين، ولكن استنكر الفعل نفسه أيًا كان المجنى عليه، فتبًا للمخدرات التى تبرز شيطان أنفسنا، وبعد لحظات من التفكير وقف أمام الصندوق ينظر إليه وكأنه يفكر فى حل يخلصه من آلام ضميره قائلًا لنفسه "ازاى بتمنى شفا أمى وأنا حرامى؟! ازاى أواجه ربنا واطلب منه ببجاحة بعد اللى عملته؟! وبأى وش ممكن أقابله؟!"، وشرع يبكى بقوة واضعًا وجهه بين كفيه وقد انحنى فى جلسته.

كان محمد شخصية طيبة تتمتع بجانب كبير من الفضيلة رغم أنف الظروف، والشىء الوحيد الخطأ الذى كان يفعله على سبيل التنفيس والهروب من بؤسه هو لفافة الحشيش التى يتشاركها مع بعض أصدقائه، وحاله حال العديد من الشباب الآن.. لم يكن مواظبًا على الصلاة كمعظم المسلمين، ولكن كان تمسكه بالله غريبًا إلى أبعد الحدود، فأحيانًا يكون الفقر أكبر نعمة حيث يستمر التمسك بالله هو الملاذ الوحيد لمثل هؤلاء، بعكس الطبقات الأخرى التى ربما لا تجد بينها ذكر الله إلا فى حالات استثنائية للغاية، وهكذا هى تلك الطبقة المصرية، قد تراهم بلا شىء، ولكنك حتمًا ستجد الإيمان، وربما تشعر أن الأمر قد يسير على هذا المنوال، ولكن هناك فلسفة أخرى قوية تدعم هذه الحالة الغريبة من التناقض لدى البعض.. حيث ينقسم الإنسان إلى جزأين: جزء يحب الله ويحاول إرضاءه، والجزء الآخر المتمثل فى الهروب واليأس من رحمة الله. فكيف تجتمع هذه الحالة الازدواجية فى شخص واحد؟! فى الظاهر قد يبدو الأمر عاديًا، ولكن فى عمقه.. يحتاج الأمر إلى تفكير عميق ودقيق، فكيف نعبده صباحًا ونتحول إلى العكس ليلًا

بحجة الهروب أو التنفيس؟!.. انا لا أرى أن هؤلاء من يدّعون حب الله ويرتكبون الاخطاء ليلًا يحبون الله بالفعل، لكنهم يعلقون كل أخطائهم على شماعة الفقر والبطالة وغيرها من المشكلات الاجتماعية الأخرى التى تخلق المجرمين على اختلاف أنواعهم، حيث يعودون إلى الله بأقنعة وقلوب زائفة.. فهم مع الله بقلوبهم ومع الشيطان بأفعالهم، فكيف يعقل هذا الأمر؟! إن الأمر كله يمكن تلخيصه فى الازدواجية الإجرامية، ولا يمكن استثناء محمد فى هذه الحالة من قائمة المجرمين.

بعد دقائق من البكاء الشديد على حاله وحال أمه قال وهو ينظر إلى السقف وكأنه يناجي الله "يارب إنت اللى عارف أد إيه أنا ضعيف.. والله أنا ما سرقت علشان السرقة والسلام.. أنا محتاج.. وأمى بتموت وعاجز عن مساعدتها ومش عارف اعمل إيه"؟!

بعد دقائق استعاد محمد هدوءه بصعوبة، وظل يمسح دموعه بكفيه، وأخذ نفسًا عميقًا وظل يتطلع إلى الصندوق بهدوء، وبعد لحظات فتح الصندوق ونظر إلى الأوراق التى بداخله وهو لا يعلم ما الدافع الذى دفعه ليفعل ذلك؛ فإنها أخيرًا مجرد أوراق، ولكن الأكيد انه كان مشتتًا لا يعى بالضبط تصرفاته من فرط حزنه وضيقه، وانتشل ورقة من الصندوق وفتحها وشرع فى القراءة بدون اهتمام كبير وكأنه يفعل ذلك بدون وعى، وفجأة اتسعت عيناه من مفاجأة قرأها، فظل يقرأ بنهم شديد حتى أنهاها كاملة، وشرد للحظة، ثم بلع ريقه وظلت عيناه تتحركان بشكل غير مستقر يمينًا ويسارًا، ثم بدأ بسرعة مجنونة ينتشل الأوراق واحدة تلو الأخرى من الصندوق ويقرأ ما فيها، وكلما شدت انتباهه ورقة التقطها ووضعها بجانبه، ويطوى أى ورقة أخرى تبدو بلا أهمية له ويرميها فى الصندوق، وظل هكذا لساعة تقريبًا وهو مندهش تمامًا مما يقرأ، فتظهر عليه علامات الفرحة تارة، وتارة أخرى تظهر عليه علامات

الحيرة والقلق، ولكنه كان دائمًا يفكر.

أشعل سيجارة بعد أن انتهى تمامًا وجمع الأوراق المهمة، ثم أفرغ الصندوق من الأوراق الأخرى ووضع ما هو هام بدلًا منها، وظل يفكر فى الأمر، وينفخ الدخان بهدوء ويهز رأسه برضى من وقت لآخر وكأنه قرر شيئًا، ثم سرعان ما يعود ويهز رأسه بالنفى وكأنه غير راضٍ عن قراره، وحينما شعر باستحالة التفكير فى الأمر فى هذا التوقيت، وضعَ الصندوق فى درج خاص له فى الغرفة ثم انطلق إلى غرفة والدته ودخل عليها قائلًا بوجه يحاول أن يبتسم:

"عاملة إيه النهاردة يا ماما"؟

فردّت بهدوء المريضة حيث كانت تلازم الفراش:

"الحمد لله يا حبيبى على كل حال، إنت اللى عامل إيه؟ طمّنى عليك".

- أنا بخير طول ما انتى بخير يا ست الكل.
- لا، لا يا محمد، أنا عايزاك أقوى من كده، ده حملك هيتقل قريب يا ابنى.

فارتعشت عينا محمد ورمش كثيرًا وهو يقول:

"تقصدى إيه يا ماما"؟

- يا حبيبى خلاص النهاية قربت.. وانا عايزة اطّمن عليك وعلى اخواتك قبل ما امشى.
- ماتكلميش كده الله يخليكى، إنتى هتعملى العملية وهتقومى بالسلامة إن شاء الله.
- يا محمد ماتتعبش نفسك وتحمّل نفسك زيادة عن طاقتك، فى النهاية كلنا هنموت وكل واحد بياخد نصيبه، أنا عايزة بس اكون مطّمنة عليك وعلى اخواتك.. وسامحنى يا ابنى ماكنتش اتمنى تكون دى حالتنا بس هقول إيه يا محمد.. آدى الله وادى حكمته.. ما باليد حيلة يا ابنى.

حاول محمد أن يمسك دموعه بلا فائدة، ثم أجابها والدموع تجرى فى صمت على خديه:

"ماتضعفيش أرجوكى، واوعدك انى هدبّر فلوس العملية قريّب أوى ان شاء الله، وهتخفّى وتبقى زى الفل.. أنا بجد ماقدرش اعيش من غيرك".

مسحت والدته على رأسه وهى تقول:

"ربنا يكون فى عونك يا ابنى ويعينك على حملك، وخليك متأكد يا حبيبى ان اللى مكتوب لازم نشوفه.. المكتوب مافيش منه هروب يا محمد.. ربنا معاك يا حبيبى.. ربنا معاك".

ظل محمد يقبّل يديها ووجهها بمشاعر جياشة وهو يبكى قائلًا:

"بحبك يا ست الكل، بحبك يا أمى.. ده انا افديكى بروحى".

خرج من غرفتها محاولًا التماسك، وبعد لحظات من التفكير ظهرت فى عينيه نظرات شيطانية، وفى عقله أفكار سوداء، فهل دخل محمد على امه ليلوذ بقلبها الذى يتوهج بحب الله وينسى همومه فى النظر إلى وجهها، أم دخل عليها فى هذه اللحظات بالذات ليشعل دافعًا جديدًا يحثه على عمل إجرامى آخر؟!

- ٥ -

فى اليوم التالى، وفى تمام الساعة الحادية عشرة صباحًا، ذهبت هند بأرجل مثقلة إلى شقتها بناء على طلب فؤاد الأسيوطى رئيس المباحث؛ لكى تتحرى عن ممتلكات الشقة، ورافقتها أختها دعاء، كانت هند ترتدى الأسود والحزن يعتصر وجهها، وكانت عيناها محمرتين من شدة البكاء، وكان وجهها ذابلًا كزهرة تقاوم الخريف، وحينما دخلت استقبلها فؤاد الأسيوطى بنفسه بشكل ودود وبعين دارسة متشككة أيضًا، وبعد الكلمات الاعتيادية قال لها:

"أهلًا يا مدام هند.. معلش بقى انى طلبتك فى الظروف دى، بس انتى أكيد مقدرة ظروفنا، وأدينا بنشتغل بإدينا وسنانا علشان نقبض على القاتل فى أسرع وقت، ومش هافتح أى تحقيق معاكى دلوقتى إلا لمّا تحسّى بتحسن إن شاء الله".

نظرت إليه هند نظرة حزينة وأومأت برأسها دون أن تنطق، فاسترسل في كلماته قائلًا:

"عايزك بس تبصى فى الشقة، يمكن تكون حاجة ضاعت.. حاجة ناقصة، واحنا عمومًا قمنا برفع البصمات، وإن شاء الله يوصّلنا الموضوع ده لطرف الخيط".

بدأت هند تتجول فى الشقة بمساعدة أختها، تنظر هنا وهناك دون أن

تتكلم، ثم وصلت إلى غرفة النوم وفتحت الدولاب، فوجدت مبلغ العشرين ألف جنيه كما هو، وتذكّرت حينما أعطاها عماد ذلك المبلغ وأخبرها بأن تتركه بالمنزل ولا تودعه البنك، ولكنها فوجئت باختفاء صندوق المجوهرات، فظلت تبحث عنه، وذهبت إلى غرفة المكتب ولكنها لم تجده أيضًا، وبعد أن تأكدت من اختفائه اتجهت إلى فؤاد الأسيوطى قائلة:

"كل حاجة فى مكانها تقريبًا، ومافيش أى شىء ناقص غير حاجة واحدة".

– إيه هى؟

– صندوق مجوهرات.

– إيه مواصفات المجوهرات التى كانت فيه؟

– ماكانش فيه أى مجوهرات؟

– ماكانش فيه أي مجوهرات!.. مش فاهم!

– عماد كان بيحطّ فيه أوراق مهمة.. كان شايف انه مكان أمين.. دى عادة عند عماد.

– غريبة جدًّا!.. لما الأوراق مهمة أوى كده.. ماحطهاش ليه فى أى بنك؟

– مش عارفة.. هو ماكانش بيأمن أى حد عمومًا، وشايف ان وجود الأوراق فى البيت أحسن من أى مكان تانى.

– إيه نوعية الأوراق دى؟ وتخص إيه؟

– مش عارفة.. عماد ماكنش بيتكلم أبدًا عن شغله ولا عن أى أمور تخص مصالحه الشخصية.

– إم.. مفهوم، ممكن تدينى مواصفات الصندوق؟

– صندوق مجوهرات زى أى صندوق مجوهرات، ودلوقتى لو سمحت ممكن تعذرنى.. أنا مجهدة جدًّا.. فيه أى حاجة تانية دلوقتى؟!

– آه.. حاجة أخيرة.. إحنا ماحركناش الفلوس اللى كانت فى الدولاب من مكانها.. هى كانت كده؟

صمتت للحظة وكأنها تتذكر ثم قالت:

"آه، ودى كمـان حاجـة غريبـة بصراحـة؛ لأن الصنـدوق كان جنب الفلوس، وواضـح ان عمـاد ماحاولش يشيلهـم من مكانهـم؛ لأن انا اللى حطّاهم بنفسى فى الدولاب بالشكل ده".

صمتت للحظة ثم قالت وقد فاض بها الكيل:

"حاجة تانية حضرتك"؟

أومأ برأسه ثم تنهد قائلًا:

"لأ.. وعمومًا ده الكارت الخاص بيا، لو افتكرتى أى حاجة تقدرى تكلمينى فى أى وقت، وان شاء الله هكون فى انتظارك علشان نفتح التحقيق بشكل رسمى".

– أكيد، شكرًا.

ظل يتابعها بعينيه مستغرقًا فى التفكير، وبدا وكأنه يكوّن فكرة أولى عنها، حيث بدت له رقيقة، ولكن عينيها تحمل هالة غريبة من الحزن، ليس حزنا من ذلك النوع الذى تراه عند فقدان أحدهم، ولكنه حزن صاحبها عمرًا طويلًا قد لا يقل عن عمرها كثيرًا، ولكنه ابتسم أخيرًا بريبة قائلًا فى نفسه "أحيانًا المجرمين بتبقى عندهم ملامح الملايكة".

كان من الصعب جدًّا أن يَخرج أحد من دائرة شك فؤاد الأسيوطى، فهو شخصية متشككة للغاية، ولا تعمل قاعدة الاستثناء لديه إلا فى ظل ظروف خاصة وخاصة جدًّا، ومن المستحيل أن يستثنى هند الألفى زوجة القتيل من دائرة الشك رغم ما تحمله من ملامح ملائكية؛ فأدواته فى فهم لغز الجريمة كانت قوية وكبيرة.

اتجهت هند نحو الباب ومنه إلى السيارة الخاصة بأختها دعاء، ولكن دعاء قالت لها:

" أو بس.. نسيت تليفونى فى الشقة، هروح أجيبه".

– روحى وهاتيه بسرعة.. ماتتأخريش يا دعاء.

– فى السريع.. ماتقلقيش مش هتأخر.

دخلت دعاء الشقة مرة أخرى وبدأت تبحث عن فؤاد الأسيوطى الذى كان جالسًا فى غرفة مكتب عماد عز الدين، وحينما رآها قال بدهشة لا تخلو من الريبة:

"فى حاجة"؟!

– حبيت بس أقول لحضرتك حاجة.

– إتفضلى.

– عايزة أقول لك إن فى ناس كتير أوى نفسها تقتل عماد.

فقال فؤاد الأسيوطى باهتمام وتشكك:

"ناس مين؟! وليه بتقولى كده"؟!

– عماد ماكنش زى ما هو ظاهر أدام الناس شخصية لطيفة.. عماد كان شخصية حقيرة.. ومعاملته لأختى كانت وحشة أوى.. حبيت بس أقول لك يمكن الموضوع ده يساعدك؛ لأن أكيد كل صحابه هيفهموك انه كان ملاك، وأكيد القضية متعبة زى ما كان هو كمان إنسان متعب لكل اللى حواليه.. أستأذنك لأن أختى بتستنانى.

أومأ فؤاد الأسيوطى برأسه بهدوء وريبة وقد شرد قليلًا ثم قال:

"إتفضلى".

ظل فؤاد الأسيوطى يفكر كثيرًا فى أمور متعددة بعد مغادرة دعاء التى

تشبه أختها كثيرًا، ولكن يقفز الذكاء من عينيها بشكل لافت، وهذا ما أثار ريبته؛ لأن الأذكياء لا يصدر منهم ذلك التصرف الأحمق فى مثل هذه الظروف وأمام الشخص الخطأ، فكيف يتجاسر أحدهم على التهليل وإظهار الفرح بمقتل أحد أمام رجال الشرطة؟! وسكن للحظات ثم حدّث نفسه "جايز تكون الحكاية غريبة شوية، بس هحطّها فى اعتبارى.. الذكاء اللى بينطّ من عنيها هيخلينى اتأنى فى الحكم عليها.. بس السؤال الحقيقى بقى: ليه كل الحماس اللى هى فيه ده؟!.. فى الآخر هو جوز اختها.. عمومًا الوقت هيبيّن كل شيء"، وحاول جاهدًا جمع الخيوط التى يستحيل تجميعها فى هذه اللحظات، ولكنه كان فطنًا ويعلم جيدًا أن هناك أمور لم تنكشف، وغرف مغلقة من الأسرار لم تفتح أبوابها بعد، وأن هناك الكثير من الحقائق التى لا بد لها أن تتفجر قريبًا، وخلال تفكيره دخل عليه أحد الضباط قائلًا:

"فؤاد بيه، تقرير المباحث الجنائية".

نظر فيه بهدوء وظل يتابعه ثم قال:

"ده اللى توقعته بالظبط، تلت أنواع من البصمات، واحدة للمجنى عليه وواحدة لخالد مختار والتالتة مجهولة".

ثم نظر إلى الضابط قائلًا:

"عايزك تقارن البصمات دى بكل المسجلين خطر فى الجرايم اللى شبه دى".

– حاضر يا فندم.

ظلت عينا فؤاد الأسيوطى زائغتين، ثم قال وكأنه يحدث نفسه:

"يا ترى بصمات مين دى"؟!

الفصل الثالث

- ١ -

فى صباح اليوم التالى وبعد ليلة طويلة هجر فيها النوم محمد عطية حيث استولى عليه القلق والتفكير والتوجس.. كان جالسًا على أحد مقاهى النت (سيبر) يتطلع فى صفحته الخاصة على الفيس بوك، وبينما يقلب الصفحات الإلكترونية فى شرود وتفكير عميق فى الأوراق التى وجدها فى صندوق المجوهرات، إذا به يجد أمامه خبرًا اقتلعه من مكانه وأصابه بالصدمة الشديدة؛ كان خبر مقتل عماد عز الدين يملأ صفحات الفيس بوك، وبعد لحظات من الشرود والذهول فتح محمد عطية الخبر وشرع فى قراءته حيث كان مكتوبًا "العثور صباح أمس على الكاتب والصحفى الكبير عماد عز الدين مقتولًا فى شقته بالعجوزة، ولم يتم القبض على القاتل حتى هذه اللحظة، وتشير التحريات إلى أنه قتل فجر الأحد، وقد رجحت المباحث الجنائية أن الجريمة تمت بغرض السرقة، ولكن حتى الآن يبقى سر مقتله غامضًا حيث.... إلى آخره"!!

ظل محمد عطية جامدًا فاقدًا للوعى، وقد غاب كل شيء عن عينيه، وذهب فى تفكير عميق غير مرتب، ثم بدأ يسترجع الأحداث بسرعة مشوشة: "لما كنت هناك، ماكانش فيه حد في البيت، معقول يكون الصوت اللى سمعته ده كان صوت القاتل؟!.. لا.. لا مستحيل.. طيب لو ماكانش صوت القاتل

يبقى صوت مين؟!.. أنا مالمحتش أى حد فى البيت، وبعدين الشقة كانت هادية أوى! يكونش عماد عز الدين نفسه؟!.. ليه لأ؟!.. ولو فعلًا كان صوت القاتل.. مين هو؟! وليه قتله؟!.. إيه بس الحظ الوسخ ده"؟! وبعد لحظة فكر وهو يتطلع فى الشاشة دون هدف "بصماتى... يا نهار اسود.. بصماتى.. ده بصماتى أكيد مغرقة الدنيا هناك.. أنا ازاى نسيت الحكاية دى؟! أنا على كده هلبس الليلة كلها وانا ماسرقتش غير شوية ورق ممكن يودينى فى داهية.. داهية إيه بس.. ده مش بعيد أتعدم ولّا اتقتل.. أنا فى مصيبة بجدّ.. يا نهار اسود!.. أنا نسيت كمان!.. ده البواب شافنى وانا نازل من عند عماد عز الدين، وأكيد هيدّيهم أوصافى... أيوه ما هى ناقصاه هو كمان البواب الزفت ده.. أنا كده رحت فى داهية رسمى".

نهض من مجلسه بسرعة منطلقًا خارج المقهى وهو يتلفت حوله يمينًا ويسارًا، شعر بأن الأرض تميد من تحته، وأصاب قلبه الانقباض والثقل الشديدين ولكنه تمالك نفسه محاولًا التحكم فى خوفه اللعين الذى يكاد يفضحه، ولكن خوفه لم يخلُ من الحذر وهو ينظر فى وجوه وأعين المارة، كان يشعر بين لحظة وأخرى بأن الشرطة ستقبض عليه فى أية لحظة، بل كان يشعر بأن كل من يمر بجانبه يعلم بجريمته التى لم يرتكبها.

وصل إلى منزله وهو يفكر فى أمور متعددة، واختلطت الأمور فى رأسه، وقف يراقب أمه من خلف الباب وهى ساكنة بلا حراك فى مكانها تنتظر رحمة الله.. إما بالشفاء وإما بالموت، وبدأت الهموم تعتصر قلبه، وانهمرت دموعه فى صمت غريب وثقيل، وشعر بأنه لا مكان للهروب ولا منفذ مما هو فيه، وتذكر أخوته وكيف سيعيشون بعدما يزج به فى السجن بتهمتى القتل والسرقة معًا، ولكن.. أى سجن؟!، إنهم بالتأكيد سيعدمونه، وستخسر عائلته عائلها الوحيد أيضًا من بعد أمهم، وليس بعيدًا أن تكون نهايته هو قبلها،

ظل يفكر بصعوبة وهو يقاوم الخوف، وفجأة تذكر الأوراق التى وجدها، وومضت عيناه، وشرع بعض الهدوء يتسلل إليه.. هدوء تصاحبه تأملات مريرة، أخذ يفكر في كل حرف قرأه فى كل ورقة، ثم نهض من مجلسه وفتح درجه الخاص بعد أن أحكم إغلاق غرفته عليه حتى لا يقطع خلوته أحد، وعاد يبحث بين الأوراق عن شىء معين بسرعة، يقلب فيها بجنون، ويعيد قراءة أجزاء منها بسرعة وكأنه يحاول أن يجد شيئًا أو يتأكد مما رآه سابقًا.. أهو حق؟! حتى وقف أمام اسم ما.. فلمعت عيناه، وردد الاسم وهو يهز رأسه بهدوء شديد حيث بدا عليه الانغماس فى التفكير:

"ادهم أبو العز".

وفجأة اقتلعه صوت يصيح عاليًا، كان الصوت يناديه، يبدو أنه صوت أحد أصدقائه، وضع الأوراق بسرعة فى مكانها وخرج إلى البلكون ووقف دون أن يتكلم فقال صديقه:

"صباح الفل يا فنان، ماتعرفش الأخبار ولّا إيه"؟

أخذ نفسًا عميقًا وكأنه يستفيق، ثم هزّ رأسه بالنفى قائلًا بريبة:

"أخبار إيه"؟!

– مش لقيوا صاحبك مقتول فى شقته.. عماد عز الدين يا جدع انت.. قريت الخبر النهاردة فى الجرنال.. ما انت عارف انى مثقف.. فقلت اعدى عليك أقول لك يمكن تكون ماعرفتش.

اصطنع محمد الحزن والدهشة حين سمع الخبر بشكل ملحوظ؛ فلم يكن يجيد التمثيل على الإطلاق، ثم قال:

"لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله".

– بيقولوا ان القاتل كان داخل يسرق.. أكيد هيقفشوه.. هو هيروح فين.. شكل الدنيا مقلوبة علشان صاحبك.. أيوه يا عم ما هو من الناس التقيلة حتى وهو ميت..

ارتجف محمد وابتسم ابتسامة باهتة وعصبية ثم قال:
"كويس.. كويس"، وفكر بسرعة ثم قال "بقول لك إيه.. أنا عايزك فى حاجة ضرورى.. استنانى خمس دقايق بس ونازل لك".

– قشطة.. فى السريع بقى علشان ورايا مصلحة عايز انجزها.
– مش هتأخر..

- ٢ -

فى هذه اللحظات كان البواب يجلس فى مواجهة فؤاد الأسيوطى فى شقة عماد عز الدين وهو يشرب فنجانًا من القهوة حيث قال له:
"ماتقلقش يا عم ابراهيم وجاوب على أسئلتى.. مش عايزك تخاف من أى حاجة ولا تتردد فى أى إجابة.. ممكن الحاجة اللى تشوفها انت تافهة تبقى مهمة بالنسبالى.. اتفقنا يا عم ابراهيم"؟!

– تحت أمرك يا بيه.
– إيه اللى حصل ليلة الحادث؟
– مش فاهم يا بيه!

فاحتدم وجه فؤاد الأسيوطى وقال بغضب:

– راجل انت.. فتّح مخك معايا شوية.. أقصد شفت إيه ليلة الحادثة؟ شفت حاجة فى العمارة مثلًا ماتعودتش تشوفها؟ حصل حاجة غريبة يعنى؟ جالك حد وطلب منك حاجة أو سأل على حاجة وماكانش من سكان العمارة؟.. الحاجات دى يا عم ابراهيم اللى بدوّر عليها.. يله.. ركّز كده وافتكر.

نظر إليه عم إبراهيم البواب القادم من الشرقية منذ سنوات حيث لم يعمل سوى بهذه العمارة من يوم مجيئه من بلده الأم إلى القاهرة.. كان قصير القامة،

هزيل البنية، لا يصلح حتى لحراسة نفسه، أصلع وأسمر البشرة، يحمل وجهه بلاهة تكفى خمسة أشخاص ليبدوا أغبياء، بدأ بفرك رأسه بيده اليمنى وكأنه يتذكر، ثم قال منفعلًا وكأنه تذكر شيئًا:

"آآآآه يا بيه، افتكرت.. أنا خبطّ فى شاب صغير كده كان نازل من العمارة أول ما جيت من بره".

– شاب..!
– أيوه يا بيه.
– مش من سكان العمارة؟
– لأ يا بيه.
– دى أول مرة تشوفه..؟
– لأ يا بيه..
– يعنى إيه؟
– أقصد شفته قبل كده بتاع مرتين تلاتة على ما افتكر يا بيه..
– وياترى المرات دى كانت قريب ولا من زمان؟
– لأ من فترة يا بيه.. مرة شفته من حوالى سنة، وآخر مرة شفته يطلع من شهرين كده.
– مش ممكن يكون عامل من اللى بيوصلوا الطلبات للبيوت يا عم إبراهيم؟
– لأ يا بيه.
– ممكن يكون قريب حد من سكان العمارة يا عم إبراهيم..؟
– كل شىء جايز يا بيه.
– يعنى إيه كل شىء جايز يا راجل انت؟!.. معنى كلامك انه ممكن يكون صاحب المجنى عليه، ولّا حتى من قرايبه؟

امتعض عم إبراهيم وسكن للحظات ثم قال:

– ممكن يا بيه..

قال فؤاد الأسيوطى بضجر من سلبية عم إبراهيم:

– مواصفاته إيه يا عم ابراهيم.. قول؟

شرع عم ابراهيم فى إعطاء التفاصيل لفؤاد الأسيوطى وهو يشير بيديه محاولًا وصفه بقدر الإمكان بينما كان فؤاد الأسيوطى يكتب كل حرف يقوله البواب بدقة متناهية، وبعد أن انتهى قال:

"إمتى رجع المجنى عليه من بره"؟

– مش عارف يا بيه..
– نعم!.. إزاى مش عارف؟!
– ما انا ماكنتش موجود لما رجع من بره يا بيه، بس لما رجعت شفت عربيته فى مكانها فعرفت انه رجع.
– لا والله أفدتنا يا عم ابراهيم كتر خيرك.. أم.. طيب قول لى انت غبت فى مشوارك كتير؟
– حوالى نص ساعة.
– حلو أوى.. يعنى الشاب ده خبط فيك أول ما رجعت؟
– أيوه بالظبط يا بيه.
– والساعة كانت كام وقتها.. ياترى تفتكر؟
– آه يا بيه فاكر.. حوالى الساعة اتنين بعد نص الليل.
– وممكن يكون المجنى عليه رجع من بره أول ما انت رحت مشوارك.. صح كده؟
– أيوه يا بيه.. ممكن.
– إم.. قولى لى يا عم ابراهيم.. ماحصلش أى خناقة قبل كده بين المجنى عليه وأى ساكن من سكان العمارة؟
– لا.. لا يا بيه.. أبدًا، إحنا سكّانا كلهم محترمين، ومافيش حاجة زى

دى بتحصل عندنا فى العمارة.

– طيب ماشفتش المجنى عليه متعصب ومترفز قبل كده؟

لم يتكلم البواب وكأنه يفكر ثم قال:

"الأستاذ عماد عز الدين الله يرحمه كان عصبى أوى، ودايمًا كان بيشتمنى بسبب ومن غير سبب، بس انا اتعودت على كده "– أنهى كلماته بمرارة.

– إم.. قول لى يا عم إبراهيم مافيش مرة من المرات.. مثلًا.. وأنت معدى من جنب باب شقة المجنى عليه.. بقول مثلًا مثلًا يعنى.. ومن غير قصد.. ها.. سمعته بيتخانق مع مدام هند مراته؟

رد البواب بسرعة قائلًا وهو يشير بيديه:

"إلا بيتخانق.. طبعًا يا بيه سمعته.. ما انا زى ما قلت لسيادتك انه عصبى.. ده غير انهم فى خناق علطول عمّال على بطّال.. ده حتى آخر مرة حصلت بينهم خناقة كبيرة وكان صوتهم موصّل لآخر الشارع.. ده حتى مدام هند سابت له البيت من قبل ما يتقتل بيجى عشر تيّام".

– إنت متأكد ان مدام هند ماجتش الشقة خالص من عشر تيّام؟

– أيوه يا بيه.. طبعًا.. متأكد.

– وجبت الثقة دى كلها منين يا عم ابراهيم؟!.. ده انت مش عارف مين بيدخل وبيخرج من العمارة يا راجل!

لم يتفوّه البواب بأية كلمة، ونكس رأسه للأرض قليلًا ممتعضًا ثم قال بعد برهة بلهجة تحمل العتاب:

"يا بيه ماكنتش غلطة يعنى.. وبعدين يعنى انا كنت بشمّ على ضهر إيدى وعارف ان الله يرحمه هيتقتل فى الليلة دى..".

– خلّينا فى الست هند يا عم ابراهيم.. ها؟

نظر إليه لوهلة ثم قال:

"الست هند ست طيبة أوى، وكل اما تشوفنى بتدينى فلوس، ولو

بالفتتيش بتدوّر عليّا أو على أى حد من العيال وتديله فلوس.. هيّا علطول كده بتحب تطّمن علينا.. ولو كانت جت يا بيه أكيد كنت هعرف".

نظر إليه فؤاد الأسيوطى وهو يمط شفتيه ممتعضًا، وزفر زفرة خفيفة ثم قال:

– إم.. عم ابراهيم؟

– نعم يا بيه.

– يا ترى المجنى عليه كان بيحب الستات؟

فابتسم البواب بخجل قائلًا وهو ينكس رأسه إلى الأرض:

"كلنا بنحب الستات يا بيه".

فابتسم فؤاد الأسيوطى ابتسامة عريضة ثم قال:

"أنا بسأل عن المجنى عليه يا عم إبراهيم"؟

– والله مش عارف يا بيه.. بس انا كنت بلمحه بيبص لأى ست بتعدى من جنبه من تحت لتحت كده.

– أي ست؟!

– أيوه يا بيه.

– ومن تحت لتحت.. تقصد من غير ما حد ياخد باله يعنى..؟

– أيوه يا بيه.. الله ينور عليك.

– طيب ماحصلش مرة يعنى قبل كده.. لمّا بتكون مدام هند مش فى البيت بسبب خناقة من اياهم.. وجاب ست الشقة؟

– مش عارف يا بيه – قالها ممتعضا وهو ينكس رأسه إلى الأرض بعد أن سكن للحظة.

– يعنى إيه مش عارف؟

– يعنى ممكن يكون ده حصل وانا ماشفتش.

– عم إبراهيم؟.. إنت بتكذب.. ولو ماكنتش بتكذب تبقى مصيبة أكبر.. أنا عايز افهم إنت بتشتغل إيه بالظبط فى أم العمارة دى؟ –

قالها صائحًا بحدة وهو يشير بيديه فى وجه عم إبراهيم بغضب.

لم يتفوه عم إبراهيم بكلمة، ثم قام فؤاد الأسيوطى من مجلسه وهو يزفر زفرة قوية محاولًا أن يكون هادئًا واقترب منه وربت على كتفه وقال:

"يا عم ابراهيم.. إنت عارف ان مافيش حد غيرك ممكن يفيدنا بالمعلومات دى بحكم شغلتك، وماتنساش ان حاجة زى اللى حصلت دى ممكن تتسبب فى قطع عيشك.. مش من العمارة بس.. ده من مصر كلها.. وعلشان كده لازم تساعدنى وماتخبيش عليا أى حاجة.. ده غير انك مش واخد بالك ان فى مصيبة بتستناك..".

نظر إليه عم إبراهيم نظرات فزعة بائسة، بينما استرسل فؤاد الأسيوطى فى حديثه قائلًا بلهجة الذى لا حيلة له:

"أيوه يا عم ابراهيم.. مصيبة ومصيبة كبيرة أوى كمان.. لو ماثبتش غيابك وقت وقوع الجريمة مضطر اوجّه لك تهمتين: القتل والسرقة.. شفت بقى انى خايف عليك وعايز اساعدك وانت اللى مش عايز تساعدنى".

فارتجف عم ابراهيم وشرع يبكى قائلًا:

"والله يا باشا ما عملت أى حاجة ولا سرقت ولا قتلت، واسأل الساكن اللى بعتنى مشوار وانت تتأكد.. والله ما عملت حاجة.. أبوس إيدك أنا عندى عيال.. حرام.. بجد والله حرام".

وأجهش بالبكاء واضعًا وجهه بين كفيه، فربت فؤاد الأسيوطى عليه وهو يقول بخبث وبرود:

"إهدا يا عم إبراهيم، أنا عايزك تهدا كده.. إنت راجل طيب.. وانا هساعدك.. المهم انك تساعدنى.. قول لى بقى شفت قبل كده أى ست مع المجنى عليه فى غياب مدام هند"؟

– أيوه يا بيه.. مرة واحدة.

– إمتى؟

– من يجى تلت شهور.

– ومدام هند كانت أكيد مش موجودة؟

– أيوه يا بيه كانوا متخانقين.. كانت سايبة البيت وقاعدة عند أهلها.. لكن أحلف لك بالله يا بيه انى ماشفتوش غير المرة دى بس.

– وماقلتش ليه كده بس من الأول يا عم ابراهيم؟

– دى أعراض ناس يا بيه، وانا قلت ان الحكاية مش مهمة يعنى.

– أى شىء مهم ليّا يا عم إبراهيم – قالها بحدة.

– حاضر يا بيه.. مش هتتكرر.

– بس أفهم من كلامك ان ممكن تكون جت له ستات تانى وانت ماتعرفش؟

– ممكن يا بيه.. أنا ساعات بخاف اسأل أى ست غريبة.. من اللى بييجوا العمارة.. لتكون جاية لأى حد من السكان وبعدين تعمل لى مشكلة.. والستات يا بيه ماعادتش زى زمان.. بقى صعب أوى تعرف مين بنت الناس من الستات إياهم.. أعوذ بالله.. من لبسهم وكلامهم الوسخ.. الواحد مابقاش قادر يميز.. فانا بقصر الشر والسلام.. عايز اعيش يا بيه.

– مفهوم، ودلوقتى تقدر تمشى، ومتشكرين يا عم ابراهيم.. هياخدك دلوقتى عسكرى هيوديك أوضه كده.. هتلاقى ظابط قاعد هناك عايزك تدّيله مواصفات الشاب اللى ادتهالى من شوية زى ما ادتهالى بالظبط.. ماشى يا عم ابراهيم؟

– تحت أمرك يا بيه – قالها وهو ينهض بسرعة حيث عادت الحياة إلى وجهه بعد أن كان مصفرًا ومقتضبًا.

زفر فؤاد الأسيوطى أول نفس من سيجارته مبتسمًا بعد أن أجرى هذا التحقيق وهو يقول بخفوت:

"إيه اللى بعد كده يا عماد؟!.. إيه اللى بعد كده؟".

-٣-

حمل محمد عطية ما يستطيع أن يحمله من ملابس فى حقيبة بالية ووضعها على ظهره واتجه سريعًا نحو الباب بعد أن ودع أمه والدموع تعتصر قلبه قائلًا لها إن الله وفقه في الحصول على عمل مجز فى دمياط وعليه أن يسافر فى الحال، ووعدها بأن تتم عمليتها قريبًا حيث إن صاحب العمل قد وعد بإعطائه المبلغ على أن يخصمه من مرتبه على أقساط، وأخبرها بأنه رجل ميسر ماديًا وطيب القلب، وحينما علم بظروفه وعده بمساعدته، ولكن كل ما قاله محمد لم يكن أكثر من تضليل وكذب ليقنع أمه ويهرب من أيدى الشرطة؛ فهو يتوقع مجيئهم فى أى وقت، فودعته أمه بعيون دامعة وهى تدعو له:

"تروح وتيجى بالسلامة يا ابنى، ربنا يسهلّ لك حالك ويبعد عنك ولاد الحرام".

قبّل يديها وانطلق والدموع تبلل وجنتيه، ثم ودّع أخوته سريعًا وهو ينظر إليهم وكأنها المرة الأخيرة التى سيراهم فيها، وبلع ريقه بصعوبة وحبس دموعه بمجهود عظيم وهو يوعد أخته الصغيرة وأخبرها أنه سيحضر لها كل ما تحب وتشتهى فى القريب العاجل؛ فقد كان يحبها كثيرًا بشكل خاص حيث كانت تعنى له الابنة لا الأخت.

كان فى انتظاره صديقه سعد درويش الذى أخبره عن مقتل عماد عز الدين، لم يكن سعد متعلمًا و لم يكن يعمل حيث كان من وقت لآخر يقوم ببعض الأعمال المشبوهة التى توفر له المال من آن إلى آخر، وكان على صلة بالعديد من المشبوهين وتجار المخدرات، وقد اتهم من قبل فى قضية سرقة ولكن ثبتت براءته بفضل من ساعدوه، وكان صديقًا لمحمد منذ الصغر؛ فقد كان جاره ورفيقه فى المدرسة الابتدائية التى كان يهرب منها دائمًا، وانتهى به الأمر خارج رحلة التعليم تمامًا، وكان محمد يقدّره رغم كل شىء لشهامته معه فى العديد من المواقف، وكثيرًا ما كان يقرض محمد المال ولا يسأله عنه أو يطلب منه سداده فيما بعد.

وحينما رآه سعد ومعه ملابسه تعجب كثيرًا قائلًا:

"إنت رايح فين يا معلم، إنت مهاجر ولّا إيه؟"- قالها مازحًا.

لم يتفوّه محمد بكلمة لمدة دقيقة تقريبًا وصديقه ينصب عليه بسيل من الأسئلة ولكن بلا إجابة، وخلال الأسئلة توقف محمد قائلًا لصديقه بخفوت وهدوء لا يخلو من الامتعاض:

"أنا متورط فى قضية قتل وسرقة".

- بتقول إيه؟! - توقف مذهولًا مما يسمع.
- زى ما بقول لك كده، ومافيش وقت للاستغراب خالص، بس أحلف لك بالله إنى ماقتلتش لكن سرقت.
- ومين ده اللى متهمينك بقتله؟
- عماد عز الدين.
- الكاتب؟!
- أيوه.
- بس ايـ..

قاطعه محمد قائلًا:
"مافيش أدامى غير فرصة واحدة بس علشان انقذ فيها أمى.. الحكومة دلوقتى بتدوّر عليّا، ولو قبضت عليا هتعدمنى، وامى هتموت واخواتى هيتشردوا".

– وهتنقذ أمك ازاى؟!

– مافيش وقت للكلام ده دلوقتى.. أنا عايز مكان اتدارى فيه عن عنين الحكومة ويكون مكان بعيد، وانا عارف انك تعرف اللى يقدر يساعدنى.

صمت صديقه للحظات وهو يفكر ثم قال:
"ماتخافش.. أنا عندى المكان، بس انا عايز افهم كل حاجة".

– هتفهم كل حاجة فى وقتها يا سعد، بس بسرعة مافيش أدامنا وقت.

اتجها مسرعين وركبا فى ميكروباص متجه إلى أطراف القاهرة، ومنه نزلا ثم ركبا ميكروباصًا آخر، ومن ثم أوقفا سيارة "ربع نقل" وركبا فى الخلف حتى بلغا منطقة عشوائية على حدود القاهرة، فترجلا من السيارة، ووقف محمد ينظر يمينه ويساره ثم قال بريبة:
"إيه المكان ده"؟

– ماتتكلمش كتير وخليك ورايا.. أنا هعرّفك على المعلم سيد الخولى.. ده راجل ابن بلد وجدع، تاجر مخدرات من العيار التقيل، وليه نشاط على أدّه فى السلاح.. يعنى تاتا تاتا لحد ما ربنا يفتحها عليه.. إنت عارف السلاح سوقه حلو وبيجيب.. بس اوعى وشّك بقى.. المعلم سيد بالذات ليه هيبة ونفوذ ومحدّش يقدر يتعدى على منطقته حتى لو كانت الحكومة بجلالة قدرها.

توقف محمد جامدًا فى مكانه ثم صاح بخفوت غاضبًا:

"إستنى.. إنت بتقول إيه؟! تاجر مخدرات وسلاح!.. أنا بهرب من الحكومة علشان ترمينى فى حضن تاجر مخدرات وسلاح"؟!

شده صديقه من ذراعه وهو يقول بحدة:
"أمال انت عايز تستخبى فين؟! قول لى انت!.. هو فى مكان فى مصر كلها الحكومة ماتعرفش تجيبك منه.. والله حتى لو استخبيت فى بطن امك هيجبوك.. إنت هربان من الحكومة يا فنااان.. مش واحد من الديانة اللى بيداينوك.. فوق كده وصحصح معايا واقبل الوضع ده دلوقتى لحد ما انصرّف.. ماشى"؟

– بس..

– مافيش بس، مافيش أدامك حل تانى يا صاحبى.. يا تستخبى هنا، يا تروح تسلّم نفسك للحكومة احسن.. وبعدين ده المعلم سيد راجل سكرة وكل كلامه حكم، وهتشوف بنفسك.. إنتوا فاكرين نفسكوا انتوا اللى متعلمين بس ولّا إيه؟! – قال جملته الأخيرة متهكمًا.

فنكس محمد رأسه حينما شعر بأنه لا يوجد أمامه حل آخر، وسار خلف زميله مستسلمًا لقدره، وحينها سمع من يصيح بقوة:
"إستنى ياله انت وهو.. إستنى ياض.. إنتوا رايحين على فين كده؟!.. إنتوا فاكرينها تكية ابوكم".

همس سعد لصديقه قائلًا:
"ماتتكلمش وسيبنى انا اتعامل".

وحينما توجه إليه صاحب الصياح ونظر إليهما تعرّف على سعد قائلًا:
"مين؟.. سعد درويش.. بتعمل إيه هنا يا لول"؟

– جاى اقابل معلمك يا خرنج.

– ومين ده؟

- صاحبى يا جدع.
- إم.. وعايزين إيه من المعلم؟
- وانت مال امك؟!
- إم وماله.. تعالوا ورايا.. حبيبى يا سعد والله..

وانطلق الاثنان خلفه، وكان محمد من وقت إلى آخر يتلفت حوله فى حذر، وقد شعر فى هذه اللحظات بأنه فى كابوس مرير؛ فلم ير شابًا واحدًا يقف بدون سلاح فى يده، وقد تكهن من هيئتهم جميعًا بأنهم مجرمين ومسجلين خطر، حتى دخلوا على المعلم سيد الذى كان جالسًا وسط بعض أصدقائه، كان يتميز بجرح طويل يشق وجهه من ناحية اليمين من الأذن وحتى بداية فمه، فنظر إلى الدخلاء وهو يقول بصوت أجش مميز اكتسبه من شرب المخدرات:

"فى إيه"؟
- سعد درويش عايزك يا معلم.

نظر خلف المتحدث فوجد سعد درويش ومعه غريب، فنهض من مجلسه، كان ضخم الجثة حليق الذقن عيناه نافذتان ترعب من ينظر فيهما، ثم ابتسم قائلًا:

"إزيك يا سعد"؟
- أهلًا بيك يا ريس.. ليك شوقة والله.
- مين الأستاذ؟
- ده صاحبى.. ابن ناس.. جارت عليه الظروف، وانت فاهم بقى يا معلم.
- لا حول ولا قوة إلا بالله - قالها بحيث لا تشعر بجديتها - وإيه المطلوب منى؟
- طمعانين فى كرمك يا معلم.

- مش فاهم!

فأشار إليه سعد بحركة من رأسه، ففهم المعلم سيد أنه يريده على انفراد، فخرج معهما ووقفا بعيدًا ومحمد خلفهما، وقصّ عليه الأمر كاملًا، فتطلع المعلم سعد نحو محمد يتأمله بهدوء ثم قال له:

"وناوى تعمل إيه"؟
- مش عارف لسه، بس محتاج شوية وقت وانا هدبّر أمورى إن شاء الله.

قال المعلم سيد وهو يشير بيديه:

"بس يا سعد الشيلة دى تقيله.. والحكاية مش سهلة وانت فاهم.. والحكومة اليومين دول شادة حيلها أوى".
- بس انت أدها يا معلم.. وهمّا أسبوعين مش أكتر، ومش هتشوف وشّه تانى.

نكّس المعلم سيد رأسه وهو يفكر، ثم هز رأسه من أعلى إلى أسفل وقال موجهًا كلماته لسعد:

"إنت خدمتنى كتير يا سعد وبالذات فى آخر مرة، وانا مش ناسى جميلك.. وجه الوقت اللى أرد فيه الدين.. بس همّا أسبوعين مش أكتر.. وبعد كده أنا ماليش فيه.
- وده اللى انا مستنيه منك يا معلم.. أسبوعين زى الفل أكون عرفت ادبر أمورى فيهم.

ودّع سعد صديقه محمد قائلًا:

"هبقى آجى أطّمن عليك".
- مش هنسالك الجميل ده يا سعد..
- خليك فى نفسك انت بس وماتقلقش على أمك واخواتك.
- مش عارف اقول لك إيه يا سعد؟..

- ماتقولش حاجة.. سلام يا فنان.

أخذ المعلم سيد محمدًا وانطلقا حتى بلغا منزلًا فدخلاه، ومن ثم دخلا إلى إحدى الشقق التى أدهشت محمد حينما رآها؛ فقد كانت راقية للغاية ومفروشة بأبهى الأثاث، ثم نظر إليه المعلم سيد وهو يقول:

"البيت بيتك، ومش هسألك عن أى حاجة، وتقدر تروح وتيجى هنا زى ما انت عايز.. طول ما انت هنا أنا أقدر أحميك، لكن بره يا ابن الحلال أنا ماليش فيه.. وتوتو على كبوتو".

أومأ محمد برأسه شاكرًا المعلم بكلمات كثيرة، ونظر إليه المعلم نظرة أخيرة دون أن يردّ على سيل الكلمات التى شكره بها محمد، ثم غادر الغرفة، وبعد أن تأكد محمد أن المعلم قد ابتعد فتح حقيبته بسرعة ودس يده فيها فأخرج الأوراق التى كانت بحوزته، فتنهد تنهيدة مريرة ونظر إليها وهو يفكر.

- ٤ -

كانت الإشارات بمواصفات محمد قد تم توزيعها على جميع أقسام البوليس والمديريات ليتم القبض عليه بأقصى سرعة ممكنة، وحينها كان يوسف أباظة جالسًا ينتظر مقابلة فؤاد الأسيوطى فى مكتبه، وعندما دخل عرّفه بنفسه وحياه بلطف وود، بينما قال فؤاد الأسيوطى:

"البقاء لله".

- ونعم بالله.. متشكر.
- مش هطول عليك.. إنت كنت صديق مقرب لعماد عز الدين؟
- أيوه كان أعز أصدقائى.
- وكنت بير أسراره على ما أعتقد؟
- أيوه فعلًا، بس عماد ماكنش بيقول كل حاجة طبعًا؛ لأنه كان بيحب يحتفظ ببعض الأمور لنفسه.
- مفهوم.. إنت كنت معاه ليلة الحادث؟
- أيوه وكان معانا برده الكاتب والصحفى مجدى الزينى، والمنتج السينمائى خالد مختار.
- عارف.. إمتى مشى عماد من القهوة؟
- مشى حوالى الساعة واحدة بعد نص الليل.

- مشى لوحده؟
- لأ، كان معاه خالد مختار.
- يعنى خالد مختار آخر واحد شافه؟

صمت للحظة وكأنه يركز متكئًا بمرفقه على المكتب، ثم قال وهو يومئ برأسه:

"أظن كده".

- يا ترى كان فيه خلافات بينه وبين أى حد؟

فردّ وهو يشير بيديه على سبيل الشرح:

"مجالنا مليان بالخلافات، وده أمر طبيعى، لحد آخر ليلة.. حصلت خناقة أو تقدر تقول مشادة بسيطة بين عماد والكاتب أشرف زيدان".

- وإيه سبب المشادة؟
- مش عارف بالظبط، بس انت عارف لغة المنافسة اللى أحيانا بتتحول لشىء تانى، وأكيد انت فاهمنى، غير إن عماد وأشرف دايمًا بينافسوا بعض.. سواء فى الأدب أو الصحافة أو حتى السينما، لدرجة ان عماد ماكنش شايف منافس ليه غير أشرف.
- مفهوم، وإيه اللى حصل فى المشادة دى؟
- ولا أى حاجة غير شوية سب وشتيمة.
- إم.. يعنى ماحصلش أى حاجة غريبة فى الليلة دى بالذات؟.. حاول تفتكر يمكن يكون فيه حاجة حصلت ولفتت انتباهك وانت ناسيها؟

ساد الصمت للحظات حيث كان فؤاد الأسيوطى متطلعًا ليوسف أباظة الذى انخرط يقلب ذكرياته فى هذه الليلة ثم قال:

- آه، حصل حاجة فعلًا.
- إيه هى؟
- فى الخناقة..

- إيه اللى حصل فى الخناقة؟
- أشرف زيدان قال لعماد "نهايتك قربت أوى".. كانت لهجته كلها تهديد.
- وإيه اللى حصل بعدها؟
- ولا حاجة غير إن عماد اتعصّب وقعد يشتم فيه، وبعدها الأمور رجعت لطبيعتها.. زى ما قلت لك الأمور مابتتعداش الزعيق والسب.
- بس كان يقصد إيه بنهايته قربت؟
- مش عارف.. بس ما اظنش يقصد بيها حاجة.. كله فى الآخر مش أكتر من شوية كلام بيطلع وقت الغضب.. وبعدين أنا اعرف أشرف زيدان كويس.. أشرف إنسان محترم وذكى، والكلام اللى قاله لعماد ده خرج فى وقت عصبيته مش أكتر..
- إم.. بس مش غريبة يكون التهديد بالطريقة دى؟
- آه.. طبعًا.. بس زى ما قلت لك ده مش أكتر من كلام.
- اعذرنى.. أنا أدامى قضية غامضة والمجنى عليه شخصية عامة، وكل دقيقة بكتشف إن فى حد عايز يقتله، ولو قعدت ابنى كل حاجة على حسن النية مش هخلص، ومش هوصل لحاجة.. أنا عايز أفهم.. اشرف زيدان كان موجود وانتوا موجودين وحصلت المشادة؟
- لأ جه واحنا موجودين؟
- يعنى جه وبعدين قعد وبعدين شد مع عماد؟
- لأ.. جه علينا علطول وعماد استفزه، وفجأه قال له كده.
- إم.. يعنى كان جاى مخصوص؟

تعجب يوسف أباظة من السؤال، وكأنه انتبه لأول مرة لهذه المعلومة، ثم

قال بهدوء لا يخلو من الريبة:

– مش عارف.. بس واضح انه كان كده.

– واضح ان اللى بيكرهوا عماد كتير، وفيهم ناس كتير نفسها تقتله – قالها شاردًا بقصد.

– عارف.

– عارف إيه؟

– عماد كان ليه أعداء كتير أوى، بس ما اظنش انهم ممكن يفكروا فى قتله، وزى ما قلت لحضرتك الموضوع كله مابيتعداش صيغة التهديدات والسب.. إنت ليه مش عايز تقتنع بالحكاية دى؟

نظر إليه فؤاد الأسيوطى نظرة ذات معنى ثم قال بهدوء:

– أنا كنت بقرا فى الأخبار التحقيقات الصحفية اللى كان بيكتبها المجنى عليه، وخصوصًا التحقيقات اللى بيفجّر فيها قضايا الفساد، وتحديدًا فساد رجال الأعمال.

– أيوه هو كان جرىء أوى، وماكانش بيخاف من حد.

– أسالك سؤال، إجابته مش هتخرج بره المكتب ده.. وده وعد.. عماد عز الدين – الله يرحمه – كان بيكتب علشان يفضح الفساد فعلًا ولّا علشان المجد الشخصى والشهرة والأضواء؟

لم يتفوه يوسف أباظة بكلمة، وظل ينظر إلى فؤاد الأسيوطى طويلًا وهو شارد؛ حيث لم يتوقع سؤاله، فابتسم فؤاد الأسيوطى وهو يقول بهدوء:

"علشان المجد الشخصى والأضواء مدام فكرت.. توقعت كده".

– إنت عارف ان الشهرة ملعونة، وفى الآخر مش بتدمر حدّ غير ولادها.

– عارف وماتقلقش، أنا مستحيل اشوّه صورته أدام محبيه، وهيفضل الموضوع سرّ بينّا.. إنت عارف ان فيه حاجات لازم اعرفها عن

طبيعة المجنى عليه علشان أقدر اوجّه بحثى فى الطريق الصح عن القاتل.

فقال يوسف أباظة وهو يشرح وكأنه يريد أن يبوح بما فى صدره:

"عماد كان شخصية مركبة أوى.. ساعات كنت بحسه بيحب الناس أوى وبيخاف عليهم، وساعات كنت بحسه بيكرههم.. يدافع عن الفقرا وبعد كده ألاقيه بيلعنهم ويقول دول عبء على المجتمع بتاعنا.. حتى روايته الأخيرة اللى حطّ فيها سبوت مباشر على الفساد، واللى نوّه فيها بشكل حادّ إلى بعض الشخصيات الفاسدة.. قال عنها إنها هتبقى فيلم سينمائى كبير.. حسيت وقتها ان الموضوع مش مرتبط بقضية بيدافع عنها على أد ما هو مرتبط بالشهرة والأضواء والمبيعات الخيالية".

لم يتفوه فؤاد الأسيوطى بكلمة وهو يستمع ليوسف أباظة، ثم هز رأسه وقد وضح عليه الحزن مما سمعه ولا يعلم لمَ، ثم قال:

– مش هعطلك أكتر من كده، بس أكيد لينا لقاء تانى؛ لأن فى حاجات عايز اعرفها، لكنى هكتفى باللى عرفته دلوقتى.

– متشكر.

– أنا اللى بشكرك.

اتجه يوسف أباظة نحو الباب وفؤاد يتابعه بعينيه، ثم قال له فجأة قاصدًا ذلك حيث كان يستخدم أسلوب المفاجأة فى إجراء التحقيقات:

"هو المجنى عليه كان بيحب مراته"؟

فتعجب يوسف من السؤال ورمش بعينيه سريعًا ثم قال:

"أيوه كان بيحبها رغم الخلافات اللى كانت بينهم علطول".

– يعنى كان بيحبها بس مش بيحترمها.

– تقصد إيه؟

– ولا حاجة.. يا ترى مدام هند كانت بتحبه؟

- أيوه هند بتحبه جدًا ولأبعد الحدود، أنا اعرفها معرفة شخصية.. المشكلة ان عماد دايمًا متعجرف وقاسي، ودايمًا بيتخانق معاها لأبسط الأسباب.

- طب لمَّا الموضوع كده ماطلقهاش ليه؟

سكن يوسف أباظة للحظات وبدا أنه يفكر ثم قال وهو يهز رأسه متحيرًا: "يمكن عماد من النوع اللى بيحب يمتلك الشيء حتى لو مش عايزه".

- إم.. ده واضح، بس اللى بيتخانق مع مراته كتير أكيد شاكك فيها.

- عماد كان بيشك فى أى حد.

- بسبب ومن غير سبب؟

- لأ طبعًا مش أوى كده.. هو ماكنش مجنون، بس كان شكاك أوى..

- كل شيء ليه دافع يا أستاذ يوسف.. عمومًا متشكر مرة تانية.. تقدر تمشى.

- متشكر.. مع السلامة.

وغادر يوسف أباظة المكتب، بينما ظل فؤاد الأسيوطى ناظرًا بتأمل من نافذة مكتبه إلى السماء القاتمة حيث كان يفكر في التحقيق ويحلله.

- ٥ -

بعد انتهاء مراسم العزاء فى الليلة السابقة، كان صمت رهيب يحتوى هند التى كانت تجلس فى غرفتها وحيدة بلا حراك يذكر، شاردة البال، عيناها مثبتتان على لوحة معلقة على الحائط تملكها منذ أن كانت صغيرة، ورغم ثبات عينيها على هذه اللوحة فى هذه اللحظة إلا أنها لم تكن تراها؛ فهى فى عالم آخر تمامًا، كل شيء سار بسرعة.. وهرب أيضًا بسرعة.. وانتهى فى لحظة واحدة، لم تكن تدرى فى لحظاتها هذه إن كانت بالفعل تعيش واقعًا أليمًا أم أن الواقع الأليم هو من يعيشها على مر حياتها التى تراها مريرة للغاية، ولكن الحقيقة التى طالما هربت منها هى أنها من تختار ذلك الواقع الأليم دومًا لتعيشه بملء إرادتها حتى أدمنته، فأصبح جزءًا تعيش له وتشكو منه فى الوقت نفسه.

وفى هذه اللحظات دخلت عليها أمها وتأملتها طويلًا بحزن وأسى وقلب مفطور، كانت الأم تدرك فى هذه اللحظات أنها ضيعت جزءًا كبيرًا منها يتمثل فى بناتها بعد الاهتمام بالثروة التى تركها الأب؛ حيث أدى اهتمامها بالأموال إلى دفعها ثمنًا غاليًا فى إهمالها بناتها، وهذا ما زادها ألمًا.. وقد اكتشفت ذلك متأخرًا، ولكن المحاولة الأخيرة التى نخوضها ليست لإصلاح شيء ما؛ لأن وقت الإصلاح قد مر، ولا يمكن العودة للوراء، ولكننا نخوض

المحاولة الأخيرة حتى لا نشعر بالألم كاملًا من دمامة غبائنا وأنانيتنا.

لم تلحظ هند وجود أمها حتى اقتربت منها ووضعت يدها على كتفها، فانتبهت هند والتفت إليها، ولما رأتها ابتسمت ابتسامة مريرة للغاية زادت من حزن أمها، وسرعان ما نكّست رأسها فقالت أمها:

"إزيك يا هند دلوقتى"؟

بعد صمت قصير ردّت هند وهى تهز رأسها بالنفى بهدوء:

"مابقتش عارفة بجد يا ماما، حاسة ان كل حاجة مابقتش واضحة.. أو يمكن زى ما بتقول دعاء إنى انا اللى مش عايزة اشوف الحقيقة.. أنا تعبانة أوى يا ماما"- أنهت كلماتها بمرارة.

- معلش يا هند، وماتاخديش على كلام اختك.. ما انتى عارفة طبعها كويس وأسلوبها لّما بتيجى تعبر عن وجهة نظرها.. وعارفة برده انها عمرها ما راعت مشاعر حد.

ابتسمت هند ابتسامة مريرة ثم قالت:

"بس دعاء على الأقل بتقول الحقيقة يا ماما".

فامتعضت أمها ثم مسحت على وجهها بحنان قائلة:

"كل الأمور هتتصلح ان شاء الله.. ماتفكريش فى حاجة دلوقتى، وخلى بالك من صحتك شوية.. ده انتى مؤمنة بالله يا هند.. خلى عندك ثقة فى ربنا".

فأومأت هند برأسها قائلة بخفوت:

"ونعم بالله".

وسرعان ما قالت أمها:

"صحيح.. نسيت أسألك".

- عن إيه؟

- إيه اللى حصل لما رحتى شقتك؟

- ولا حاجة.. طلب منى الظابط انى اتأكد إذا كان فى أى حاجة ناقصة من الشقة.. والغريبة انى مالقتش أى حاجة ناقصة غير صندوق المجوهرات اللى عماد بيشيل فيه أوراقه المهمة.. يعنى المجرم ماخدش غير شوية أوراق تافهة.

- غريبة دى يا هند!

- أيوه غريبة فعلًا يا ماما.. أنا علطول بسأل نفسى.. اللى حصل ده حصل ازاى بالظبط؟! يا ترى عماد قاومه وهو بيسرق فقتله؟! ولّا حصل إيه بالظبط؟!.. الحقيقة مش عارفة، بس الأكيد ان ظابط البوليس هيطلبنى فى أقرب وقت للتحقيق.

- إن شاء الله خير.

- إن شاء الله.

دق جرس الباب فى هذه اللحظة، فنظر الاثنان نحو الباب ثم تبادلا النظرات فيما بينهما، ولكن سرعان ما انفتح الباب وسمعا صوت رجل فى الخارج يتحدث إلى دعاء التى دعته بدورها إلى الدخول، فاستأذنتها أمها لتنظر من جاء لزيارتهم، وبعد دقيقتين تقريبًا دخلت عليها أمها ثانية وهى تقول:

"ده رئيس المباحث هنا وطالب يقابلك".

- رئيس المباحث هنا! - قالتها بتعجب - طيب هخرج اقابله.. بس ادينى دقيقتين اغيّر هدومى.

بعد دقائق، وبينما كان فؤاد الأسيوطى يحتسى قهوته، دخلت عليه هند بلباس أسود وقد بدا على وجهها الحزن والإرهاق، فنهض من مكانه وهو يقول:

"أنا آسف انى جيت من غير سابق إنذار.. بس انا قلت كده أفضل..

لأن التحقيقات بتطوّل.. وطبعًا انا مقدّر حالتك فى الوقت الحالى، وفى الوقت نفسه انا محتاج لكل معلومة ممكن تفيدنا فى الوصول للقاتل فى أسرع وقت"- كان يقول كلماته بنوع من الود والدهاء.

قالت وهى تومئ برأسها:

- متشكرة، اتفضل استريح.
- شكرًا.

أخذ فؤاد الأسيوطى نفسًا طويلًا ثم قال بنبرة عميقة:

"عرفت انك كنتى على خلاف مع المجنى عليه، وساييه البيت من قبل الحادث بعشر تيام".

- فعلًا ده حقيقى.
- إنتوا بتحصل بينكو دايمًا الخلافات دى؟
- قصدك إيه؟! - قالتها بتعجب.
- أقصد يعنى انتوا كنتوا بتتخانقوا كتير؟

صمتت هند للحظات وقد نكست رأسها بأسى وكأنها تعود بذاكرتها إلى الوراء:

"آه، كنا بنختلف كتير للأسف".

- إم.. هو خانك قبل كده؟

نظرت إليه هند فجأة بعيون متوهجة حيث لم تتوقع السؤال، وصمتت للحظة ثم قالت وهى تهز منكبيها:

"مش عارفة".

- يعنى إيه مش عارفة؟.. هو فى ست فى الدنيا مش بتحس بجوزها لما بيخونها؟

نظرت إليه بتأمل وامتعاض، وبعد لحظات من الشرود قالت:

- أنا كانت بتجينى اتصالات من ستات كتير.. كانوا دايمًا بيقولولى انه بيخونى، وان ليه علاقات نسائية كتير، بس انا كنت دايمًا بكدّبهم.. وزى ما انت عارف مافيش ست هتحب تصدق ان جوزها بيخونها حتى لو كانت دى الحقيقة.. ده غير ان عماد شخصية مشهورة وغنية وستات كتير أوى نفسها تدمر حياته الزوجية علشان يبقى الطريق فاضى أدامهم.. عماد يعتبر لقطة لستات كتير أوى.
- وبالنسبالك كان إيه؟

لم تتفوه بكلمة وظلت ساكنة للحظات، ثم قالت وكأنها غائبة عن الوعى:

"كان جوزى".

- بمناسبة الاتصالات، فى حد هدده قبل كده؟

ظهرت فى عينيها لمحة من الذكريات، وبعد لحظة قالت:

"مرة أو اتنين، وبالصدفة كنت أنا اللى برد".

- يا ترى اللى كان بيتصل ماكنش بيقول اسمه ولا حتى كان بيستخدم اسم رمزى؟
- لأ.. بس أظن ان عماد كانت بتجيله مكالمات من دى كتير، هو حكالى قبل كده عن كام مكالمة وهو مضايق ومتعصب، بس الحقيقة ماكنش بيهمه أبدًا أى حاجة زى كده.. عماد ماكنش بيخاف من حد.
- إم..

سكن للحظات وهو يحتسى آخر رشفة من فنجان القهوة ثم قال:

"الصندوق المفقود بقى".

- ماله؟
- مش يمكن يكون عماد نقله؟

- لأ طبعًا.. مستحيل يكون نقله.
- إشمعنى يعنى.. كل شيء جايز، وخصوصًا مع شخصية زى عماد؟
- زى ما بقول لك كده.. لو عماد يطول يخلى الصندوق ده معاه طول الوقت كان خلاه.. وده السبب انه شايله علطول فى البيت علشان يبقى دايمًا تحت عينه.
- طيب متأكدة ان كان فيه أوراق آخر مرة؟"
- آه متأكده جدًا.. الصندوق عمره ما فضى من الأوراق..
- إم.. مفهوم.. بس السؤال اللى محيرنى.. لو الأوراق دى تخص القضايا اللى بيكتب فيها.. فأكيد هتكون كتير طبعًا، وخصوصًا ان المجنى عليه كتب فى تحقيقات كتير جدًّا.. وكل تحقيق بيكون ليه أوراق خاصة بيه.. صح كده؟
- أيوه.
- طيب تمام.. إزاى بقى كان بيتخلص من الأوراق القديمه علشان يحط مكانها الجديدة؟!.. زى ما انتى عارفة الصندوق ايا كان حجمه مش هينفع يشيل كل الكميات دى من الأوراق.
- عندك حق طبعًا.. عماد كان كل فترة من الفترات بياخد أوراق من الصندوق وبعد فترة معينة يحط أوراق جديدة وهكذا.. بس بصراحة معرفش هو كان بيوديها فين
- ام.. مين تانى يعرف موضوع الأوراق ده؟
- اظن ان الكل عارف حكاية الورق دى، لانه مش بينشر تحقيق من غير ما ينوه عن وجود أوراق ثبوتيه تدعم موقفه وتحقيقاته.. انت عارف ان كل تحقيق صحفى لازم يكون معاه مستندات تدعمه وخصوصًا لو الحكاية مرتبطة بفساد واحد من رجال الأعمال ولّا رجال السلطة.
- كلام جميل.. بس اللى اقصده من سؤالى مين تانى كان يعرف المكان

اللى عماد كان بيشيل فيه الأوراق؟
- أكيد صحابه، هو مش بيخبى عنهم أى حاجة وخصوصا الأستاذ يوسف أباظة.
- قصدك انه كان بيقول لهم إنها تحديدًا فى الصندوق؟!
- لأ أنا ماقصدتش كده، بس أكيد كان قايل لهم انها فى البيت.. أظن كده.
- وليه يا ترى بتعتقدى كده؟
- لأنى فى يوم سمعته بيتكلم عن الأوراق دى مع خالد مختار.. أظن كده.. أيوه فعلًا كان خالد مختار وكان بيكلمه فى التليفون وقتها.. وقال له ماتخفش عليا طول ما الأوراق معايا هنا.. كان واضح من كلام عماد ان خالد كان قلقان عليه وعماد كان بيحاول يطمّنه.
- وكان قصده بـ"هنا" البيت طبعًا؟
- أيوه..
- إم.. بس من التحريات واضح انه مش بيأتمن أى حد خالص؟
- ده مش صحيح، عماد كان بيحب صحابه جدًّا.. يمكن كان مغرور ومتكبر حبتين، بس فى الآخر كان بيحبهم وبيقدّرهم جدًّا – قالتها بعصبية مبالغة.

شعر فؤاد الأسيوطى بأن شيئًا غريبًا غيّر من ملامح هند فى هذه اللحظات، وكأنه أثار شيئًا ما، ولكنه لم يفهمه، فآثر الصمت فى هذه اللحظات؛ حيث كان يعلم أن الصمت أقوى سلاح، فالشهود دائمًا ما يقعون بأقوالهم أمام الصمت الطويل الذى يجعل الشاهد يتخبط ويشعر بنفاد الصبر، فيلوذ بإفراغ جعبته من الأمور المخفية، ولكن محاولته باءت بالفشل فسألها:
- "فى شاب بيتردد على بيتكم فى العجوزة؟"، وقام بوصف ملامح محمد عطية كما أخبره البواب.

ظلت هند تفكر طويلًا، ثم ردّت:

"آه، أنا فاكرة الشاب ده كويس، قابلته مرة وهو خارج من بيتنا.. كنت وقتها جاية من بيت ماما".

- وإيه انطباعك عنه؟ يا ترى فاكرة؟
- ولا حاجة شاب عادى جدًا.. كان خجول أوى، ولما شافنى وشه احمرّ وضرب لخمة كده، وماتكلمش ولا كلمة وخرج علطول.
- وماسألتيش جوزك مين ده؟
- آه سألته.
- وقال لك إيه؟
- قال لى ده واحد من العمال اللى فى الجريدة وجايبله ورق مهم.. بس انت بتسأل ليه؟
- أصل البواب شافه ليلة الحادثة خارج من العمارة التى انتوا ساكنين فيها.
- مش يمكن كان جايب حاجة لعماد؟
- ويمكن لأ.. وبعدين فى حدّ بيشتغل الساعة اتنين بعد نص الليل؟!
- إم.. طيب فى حاجة تانية؟

هز فؤاد الأسيوطى رأسه بالنفى ثم قال:

"لأ.. شكرًا يا مدام هند على وقتك، وآسف مرة تانية لإزعاجك، ودلوقتى أستاذن أنا، ولو جدّ أى شيء هبلّغك بيه ان شاء الله.. وان شاء الله هستناكى علشان التحقيق الرسمى خلال يومين بالكتير يكون جه تقرير الطب الشرعى".

أومأت رأسها بالإيجاب والامتنان أيضًا، ونهضت من مكانها لترافقه حتى الباب، وعندما انصرف فؤاد الأسيوطى أخرج من جيبه علبة السجائر وأشعل

لفافة تبغ، واستخدم السلم بدلًا من المصعد وهو يفكر في هذا التحقيق، وقد شعر أن هندًا تخفى شيئًا، أو أنها تكذب بخصوص شيء ما، ولكنه لم يكن يدرى ما هو بالتحديد، بينما كانت هند فى هذه اللحظات تقف أمام المرآة وتنظر لنفسها طويلًا، وقد عادت بذاكرتها القريبة إلى حوارها مع الضابط الذى بدا ودودًا ولكنها أيقنت فى نفسها بأنه يتمتع بالذكاء، وبعدما أعادت الحوار كاملًا امتعضت وشعرت بالحزن لأمر يختلج فى صدرها، وسرعان ما ألقت نفسها على سريرها، وبعد لحظات شردت وهى تفكر فيما مضى.. بل كانت تفكر فيما سبق معرفتها بعماد عز الدين.

الفصل الرابع

- ١ -

بعد مرور يوم وقف محمد عطية أمام أحد المحال الصغيرة المزودة بهاتف فى منطقة العباسية وقد بدا قلقًا للغاية يتلفت يمينًا ويسارًا بحذر شديد وبذكاء اكتسبه بالفطرة من الحال التى آل إليها أيضًا، وحاول جاهدًا ألا يلاحظ أحد توتره الزائد، وبعدها وقف وابتاع سجائر ثم استأذن صاحب المحل فى إجراء مكالمة، وكانت تلك المكالمة بمثابة التجربة التى يختبر بها شجاعته ومدى تماسكه، وبالفعل أذن له صاحب المحل، فالتقط محمد الهاتف وشرع فى الاتصال بأحد الأرقام، وبعد لحظات سمع صوتًا يجيب على الجانب الآخر فردّ قائلًا:

"أنا عبد الظاهر الوردانى رجل الأعمال، ممكن أكلم أدهم بيه"؟

وسمع إجابة فرد قائلًا:

"أنا فعلًا كلمته فى الشركة ومش موجود هناك كمان.. هو مافيش ليه أرقام خاصة.. أصل الموضوع مهم ومايحتملش التأجيل".

وسمع إجابة أخرى فقال:

"شكرًا، أنا سجلت الرقم.. مع السلامة".

شكر صاحب المحل وانطلق خارجًا، ثم سار شارعًا كاملًا وتلفت حوله

يمينًا ويسارًا عدة مرات فلاحظ وجود أحد محال الهواتف، فتوقف أمامه وشرع يفكر لبرهة، ثم دخل المحل وابتاع خطًا للهاتف النقال، وبعد أن خرج من المحل قام بتركيبه وتشغيله وشحنه بكارت لزيادة الرصيد فى دقائق معدودة بعد أن رمى رقمه الخاص حتى يتأكد أنه لا أحد بعد ذلك يمكنه الوصول إليه أو تعقبه، ومن ثم قام بالاتصال بالرقم الذى حصل عليه منذ لحظات:

فسمع صوتًا يقول:

"أدهم أبو العز، مين معايا"؟

سكن للحظات حيث سرت رعدة فى جسده، ثم سرعان ما قال محاولًا جمع رباطة جأشه:

"إنت ماتعرفنيش.. بس انا بقى اللى فى إيده روحك".

– روح مين يا روح امك يا حيوان يا ابن الكلب..

قاطعه محمد عطية بحدة قائلًا:

"أنا عندى الأوراق اللى كانت مع عماد عز الدين".

فسكن الصوت للحظات ثم قال:

"مين عماد عز الدين؟! وأوراق إيه اللى بتتكلم عنها؟!.. أكيد انت غلطان فى الرقم.. مع السلا..".

فقاطعه محمد عطية قائلًا بهدوء غامض حيث أكسبته لهجة أدهم ابو العز المتوجسة بعض الشجاعة:

"لو قفلت السماعة هتلاقى الأوراق كلها منشورة فى الجرايد بكره الصبح وصفحة أولى، وتخيل بقى لما تبقى فضايحك منشورة على عينك يا تاجر.. عايزك بقى تهدى كده وتسمعنى كويس".

ظل أدهم أبو العز ساكنًا دون كلمات وكأنه يفكر، بينما قال محمد عطية:

"أنا عارف انك قتلت عماد عز الدين، ومن سوء حظك ان الأوراق معايا أنا".

– أنا ماقتلتش حد يا ابنى – قالها بحدة.

– لأ قتلته، بس ماعرفتش توصل للأوراق.

– يا ابنى بقول لك ماقتلتوش..

– مش ده موضوعنا.

– إنت عايز إيه بالظبط؟

– إنت معاك الفلوس وانا معايا الأوراق.. المعادلة سهلة.. تدينى الفلوس أديك الأوراق.

– مابقاش الّا انت يا روح امك يا ابن الحرام اللى هيبتزّ أدهم ابو العز!!

فردّ محمد بحدّة قائلًا:

– لو اتجرأت وحاولت بس تشتمنى مرة تانية.. مجرد محاولة بس.. وحياة امى لاكون مدخّلك السجن. كمان ساعة بالظبط.. ومش بتهمة واحدة ولّا اتنين.. لأ بتهم مش هتعرف تعدّها، وانت عارف كويس أوى أنا بتكلم عن إيه.. وحطّ فوق ده كله قضية قتل عماد عز الدين.. يعنى هتلبسها هى كمان.. فاهدا كده واسمعنى كويس.

أخذ نفسًا عميقًا ثم أردف يقول بهدوء:

"دلوقتى ولّا بعدين الحكومة هتعرف انك انت اللى ورا قتل عماد عز الدين؛ علشان انت الوحيد اللى ليك مصلحة فى قتله بعد ما كان بيهاجمك فى مقالاته فى الفترة الأخيرة، والغريبة انك ماكنتش بتردّ، وانا فهمت طبعًا ماكنتش بترد ليه.. أتاريه كان ماسكك من إيدك اللى بتوجعك بالأوراق اللى كانت معاه.. واللى هى معايا دلوقتى.. إحنا دافنينه سوا يا أدهم بيه.. تسلّمنى دية المرحوم.. أسلّمك الكفن، ويبقى يا دار مادخلك شرّ".

– وإيه اللى يضمن لى ان الأوراق معاك؟

– صفقات اللحوم الفاسدة مثلًا، يا ترى بتفكرك بحاجة؟ ولّا صفقة

الأراضى اللى انت لهفتها من دم الشعب الغلبان بتراب الفلوس وبانى عليها القرى السياحية اللى بتدخلّك ملايين.. اللستة طويلة أوى يا أدهم بيه.

- أنا مش عارف..

وقبل أن يكمل كلماته قال محمد عطية بحدة:

"هتستعبط تانى يا أدهم بيه.. طيب إيه رأيك فى صفقة السلاح اللى انت بتورّدها البلد من مصانع السلاح اللى برّة، واللى انت أساسًا بتملكها من الباطن يا باشا.. تحب اقول لك المصنع فين ولّا كفاية كده"؟

أخذ أدهم ابو العز نفسًا عميقًا ثم قال بدهاء:

"إم.. بس احنا كده لازم نتقابل"!

- وإيه الداعى يا باشا؟!، تبعت لى الفلوس أبعت لك الأوراق أو أى طريقة تانية تريحك، ويبقى يا دار ما دخلك شر، بس كله إلا اننا نتقابل.

- طيب وإيه اللى يضمن لى انى لما اديلك الفلوس تدينى الأوراق؟

- مافيش ضمانات.. أنا اللى بحطّ الشروط.. تدينى الفلوس أديك الأوراق.

- إم.. وعايز كام؟

- عشرة مليون.

- نااااااااااعم يا روح أمك.. إنت أكيد مجنوووون؟! - صاح أدهم غاضبًا.

- إيه يا أدهم باشا.. النفوذ والجاه اللى انت فيه مايساويش عشرة مليون ولّا إيه؟! بلاش النفوذ والجاه.. رقبتك ماتساويش عندك حاجة؟!

أخذ أدهم أبو العز نفسًا طويلًا ثم زفر بنفاد صبر قائلًا بعد لحظات وهو يحاول أن يحافظ على هدوئه:

"موافق".

- زى الفل.. يبقى كده اتفقنا، هتصل بيك قريب علشان نتفق على طريقة الاستلام والتسليم.

- بس إيه..

أغلق محمد الهاتف ثم انطلق فى طريقه وقد شعر ببعض الراحة التى لا تخلو من الحذر فى هذه اللحظات، وشعر أيضًا بالإعجاب من نفسه، فكيف استطاع أن يفعل ما فعل، وأن يتحدث هكذا ببأس وشجاعة؟! سؤال غريب لم يجد له إجابة، بينما وقف أدهم أبو العز مذهولًا ومحاولًا بكل الطرق أن يجمع هدوءه بعد هذه المكالمة، ثم بعصبية اتصل بأحد الأرقام:

"عايزك تستفسرلى عن الرقم اللى هدّيهولك ده وتردّ عليّا حالًا".

- إيه اللى حصل؟ ومالك عصبى كده ليه يا أدهم بيه؟!

- اعمل اللى بقولك عليه يا غبى وبسرعة.

- حاضر.. حاضر..

بعد نصف ساعة تقريبًا اتصل به نفس الشخص الذى تحدث إليه منذ قليل:

"أدهم بيه، مافيش اسم بالرقم ده، واضح انه مش متسجل.. هتلاقيها من الأرقام اللى بتتباع من غير عقود".

- إنت متأكد؟

- طبعًا متأكد.

- ده اللى توقعته.

- ليه.. فى إيه؟!

- مش شغلك.

وأغلق الهاتف بعصبية، ثم اتصل بأحدهم وأمره أن يأتيه فى الحال..

- ٢ -

كان يجلس فى سكون ودون حراك تقريبًا، يمكن أن نقول إنه فى عالم آخر لا نعلم مداه، شاحبًا بعض الشىء ولا تبدو عليه أية علامات يمكن أن تعبر عما يجيش فى صدره، فقط شرود غريب متلفع بالغموض.

بعد لحظات من السكون كانت السيجارة بين أصابعه تأكل نفسها دون مساعدة منه، فلم يتذوقها أبدًا، وفى هذه اللحظات دلف فؤاد الأسيوطى إلى المكتب فالتفت مجدى الزينى بهدوء إليه ولم يتفوه بكلمة، وقام بدفن السيجارة التى أكلت نفسها فى المكان المخصص وقد بدا وكأن الشرود مازال مستحوذًا عليه، فابتسم فؤاد الأسيوطى وسلم عليه ببرود، ثم جلس على كرسيه المقابل له وقال:

"الظاهر انى جبتك من آخر الدنيا يا أستاذ مجدى".

وأشعل سيجارًا دون أن يرفع عينه عنه، ثم أردف قائلًا:

"إنت اتضايقت انى سبتك تستنى كتير ولّا إيه"؟!

فهز مجدى الزينى رأسه نافيًا بهدوء وبلامبالاة، كان هدوؤه يشبه ذلك الهدوء الذى يستخدمه أعظم ممثلى السينما الغربية حبكة، حيث يبدو الممثل وكأنه عاش هذا المشهد آلاف المرات فى حياته الحقيقية، ثم قال ببرود تام:

"أبدًا".

ثم ابتسم ابتسامة باردة تعكس شيئًا غريبًا قد يبدو استخفافًا، فهز فؤاد الأسيوطى رأسه ثم قال:

"مش هطوّل عليك لأنى عارف أد إيه انت مشغول، بس..".

فقاطعه مجدى الزينى قائلًا:

"أيوه كنت هقتله.. بس القدر بقى اختار أداة تانية غيرى علشان ينهى حياته بيها.. دى إجابتى لو هتسألنى.. أنا مابحبش تضييع الوقت".

فهز فؤاد الأسيوطى رأسه ورمش بعينيه كثيرًا وكأنه لم يفهم ثم قال:

"تقتل مين"؟!

- عماد عز الدين طبعًا.
- وتقتله ليه؟!
- عماد عز الدين عمره ما بطّل يضايقنى.. دايمًا كان بيحسسنى انى ولا حاجة.. عمره ما حاول يحس أد إيه كان بيسيء ليّا بغروره وعجرفته وتكبره.. مع إننا المفروض أصحاب ومافيش حد يعامل صحابه كده

– قال جملته الأخيرة بشكل غامض ومرير.

- مضايقة الصحاب لبعض عمرها ما كانت دافع للقتل، ما اظنش انها ممكن توصل لكده..!
- وليه لأ؟!، الواحد ممكن يقتل مراته بسبب التأنيب اللى عمّال على بطال.. والكلام الكتير عن الماضى.. دايمًا الست مابتنساش الراجل عمل قبلها إيه.. رغم انه عمل ده قبل ما يعرفها، وللأسف بيحكى بحسن نية ومايعرفش ان بعد كده حياته هتتحول لجحيم.. والجحيم يا فؤاد بيه بيحوّل الزوج الطيب لقاتل.. هى دى الحياة.. ساعات بنرتكب أبشع الجرايم بسبب أمور طبيعية، وللأسف رجال القانون مش بيقبلوها تكون دافع حقيقى فى قضاياهم، وبيدوّروا على سبب

تانى علشان يرضوا نفسهم.. نفسهم واعتقاداتهم.. زى ما بقول لك كده يا فؤاد بيه.. أبشع الجرايم ساعات كتير أوى بتكون أسبابها تافهة وغريبة.

نظر إليه فؤاد الأسيوطى طويلًا نظرة ثاقبة وهو يتأمله ثم قال:

"ويا ترى بقى انت من الناس اللى ممكن ترتكب جريمة لسبب تافه"؟

- ما انا قلت لك لو ماكنش اتقتل كنت قتلته أنا.
- بس انا مابعتلكش هنا علشان اسألك انت قتلته ولا لأ.. ده سؤال سابق لأوانه.
- مش مهم، المهم انك عرفت الحقيقة اللى مايعرفهاش حد غيرك.. وأعتبرها فرصة جتلى أعترف فيها بشىء كان بيعذبنى من جوايا كل يوم.. وزى ما انت عارف الفرص مابتجيش مرتين.. الأغبيا بس هما اللى بيتصوروا ان الفرصة ممكن تيجى مره تانية.. افتكر كلامى ده كويس يا فؤاد بيه.
- إم - وهز رأسه متفهمًا وهرش فوق حاجبه الأيمن وكأنه يفكر ثم قال:

"بس من اللى اعرفه ومن تحريات المباحث اللى أدامى ان علاقتك بالمجنى عليه كانت علاقة جيدة.. حتى لو كان بينكوا بعض الأمور اللى دايمًا بتحصل بين أى اتنين صحاب.. ده مايخلينيش احطّ فى اعتبارى الكلام اللى انت بتقوله ده، وعلى كل حال واضح ان ليك نظرة فلسفية جميلة فى الحياة.. نظرة كاتب ومفكر".

- متشكر.
- من إمتى تعرف المجنى عليه؟
- من أيام الدراسة.

- تفتكر عماد عز الدين اتقتل ليه؟
- ليه؟ ولّا مين؟
- قلت لك ان (مين) دى سابقة لأوانها دلوقتى، وسؤالى واضح - قالها بجدية.

هز مجدى الزينى رأسه بهدوء، ثم قال بعدما أشعل سيجارة:

"حاجات كتير ممكن يتقتل بسببها عماد".

- زى..
- كان متعجرف ومتكبر، غير انه شخصية مشهورة.. والمشاهير - زى ما انت عارف - عرضة لكل شىء حقيقى وخيالى.. وأقصد بخيالى الإشاعات طبعًا.. ده غير ان مجال شهرته خطر لأنه بيكون لنفسه قاعدة أعداء.. لما بتفتح ملف فساد بتفتح معاه أبواب جهنم، ولازم تتوقع كل شىء سيئ ممكن يحصل لك.. الموت بيبقى أسهلهم.. إحنا عايشين فى بلد ممكن يحصل فيها أى حاجة.. واللى ضميره صاحى فيها مايعرفش ينام مطّمن.. ده غير ان عماد - والأمانة لله - عمره ما قبل رشوة من حد على حد علمى.. وإلا ليه كان فى ناس كتير بتهدده؟!
- زى مين؟
- مش فاكرهم كلهم طبعًا؛ لأنه ياما حارب فساد ناس كتير، بس آخرهم كان على الحسينى، وأدهم ابو العز.
- إم.. طيب تفتكر ان رفض الرشوة، والإصرار على مهاجمتهم يخلّيهم يقتلوه؟
- أكيد طبعًا، الناس دى تكره أى حد يحاول يفتح ملفاتها السرية، أو يحاول يفضحهم أدام الرأى العام حتى لو كانت الحكومة بتحميهم.

- قصدك إيه؟!
- قصدى اللى فهمته يا فؤاد بيه، إنت عارف كويس ان فى كتير أوى من رجال الأعمال محدّش بيحمى فسادهم ولا بيدارى عليهم غير ناس أصحاب نفوذ فاسدين فى الحكومة.. ما البلد دى يا إما يبقى معاك نفوذ تشترى بيه المال، يا إما معاك مال تشترى بيه نفوذ.. دى دايرة محكمة ومدروسة كويس ماتقلّش عن المافيا فى حاجة.
- إم..

وساد الصمت للحظات، ثم أطفأ فؤاد الأسيوطى سيجارته وهو يتأمل مجدى الزينى، وفى قرارة نفسه لم يتوقع لقاء كهذا، ثم قال:

- بس انت عارف ان مهاجمة الناس اللى زى دى محتاجة يكون معاك أوراق تدينهم، وإلا بكده بتدّيهم المساحة انهم يقضوا عليك بضربة واحدة.. يعنى لازم يكون فى مستندات وأوراق علشان يكون عندك الجرأة تكتب وتهاجم وانت قلبك مطمّن.. حتى على الأقل تبقى مامّن نفسك من شرهم.
- أكيد.
- جميل، عماد بقى كان بيجيب الأوراق والمستندات دى ازاى؟!.. بمعنى تانى عماد كان بيأمّن نفسه ازاى؟
- مش عارف بصراحة، بس عماد كان بيستخدم كل الطرق والوسايل علشان يوصل للى هو عايزه.. يدفع رشاوى ماشى.. ستات كان يعرفها مثلًا بتساعده مافيش مشكلة.. كل الطرق كانت مباحة لعماد.. عماد برده ماكانش سهل وكان عارف كويس أوى هو بيعمل إيه.. ده غير ان عماد عنده طرق غريبة وجهنمية فى الإقناع.. ده كان ممكن يقنع الواحد انه يقتل امه من غير ما يتهزّ له شعرة.. ماتبصليش كده يا فؤاد بيه.. صدّقنى دى الحقيقة.

- بيرفض ياخد رشاوى بس بيدفعها علشان يوصل للى هو عايزه!!..
- إم.. طيب هو كان ليه علاقات نسائية؟
- كتير - جاءت الإجابة واثقة بسرعة الصاروخ ودون تفكير.
- وإيه اللى مخليك متأكد كده؟
- ده صاحبى، وأنا عارف صحابى كويس.
- إم.. طيب تفتكر الموضوع جريمة نسائية؟
- ليه لأ؟!.. كل شىء جايز.
- يا ترى تعرف عماد كان بيخبى أوراقه المهمة فين؟
- لا.. لا ماعرفش بالظبط، بس أحيانًا كان بيخبيها فى البيت، أو وديعة فى البنك.
- إم.. مفهوم.

ناول فؤاد الأسيوطى جمال الزينى ورقة عليها صورة مرسومة بالرصاص لشاب وقد بدت الرسمة لـ (محمد عطية)، ثم قال له:

"يا ترى تقدر تتعرف على صاحب الصورة دى"؟

نظر جمال الزينى فى الرسمة بتأمل لدقيقة تقريبًا ثم قال وهو يهز رأسه:

"آه، أظن انى اعرفه".

- ومين هو؟
- الشاب ده انا شفته مرة قبل كده مع عماد.. الكلام ده تقريبًا من حوالى شهرين.. أيوه.. أيوه.. افتكرت كويس.. الكلام ده كان فى شقة عماد..
- يا ترى زوجة المجنى عليه كانت موجودة فى التوقيت ده؟

رفع جمال الزينى رأسه قليلًا وكأنه يحاول أن يتذكر، ثم قال وهو يهز رأسه بالنفى:

"مش فاكر بصراحة".

- إم.. طيب (وأشعل سيجارة).. مش عارف اسمه؟

- إم.. أظن ان اسمه محمد.. عماد ناداه أدامى.. أيوه فعلاً.. اسمه محمد..

- وإيه صلته بالمجنى عليه؟

- مش عارف الحقيقة.. عماد كان ليه علاقات كتير جدًا، وبناس عمرك ما تتخيل انهم كانوا على صلة بيه.. أقصد علاقات غريبة لو قارناها بشخصية مشهورة زى عماد.

- هو عماد شاذ؟

ضحك مجدى الزينى عاليًا ثم قال:

"اعذرنى يا فؤاد بيه.. غصب عنى.. سؤال غريب الحقيقة.. يعنى ازاى شاذ وازاى ليه علاقات نسائية"؟!

- عادى يعنى.. بتحصل.

- لأ، عماد ماكانش شاذ ولا حاجة..

- إم.. إنت رحت فين بعد ما مشيت من القهوة ليلة الحادثة؟

- روّحت علطول.

- يا ترى فيه حد يأكد كلامك ده؟

- آه فيه.. البواب.

- إنت مش متجوز؟

- لأ - قالها وهو ينكس رأسه.

نظر إليه فؤاد الأسيوطى بتأمل ثم قال:

"وماتجوزتش ليه؟! لو تسمح لى بالسؤال".

- أسباب خاصة مافيش داعى لذكرها.

- مفهوم.. مفهوم.

ابتسم فؤاد الأسيوطى له وهو يقول مداعبًا:

"العزوبية أحسن.. ".

فابتسم مجدى الزينى بمرارة قائلًا:

"محدش عاجبه حاله".

- عندك حق، عمومًا شكرًا جدًا.. ولينا لقاء تانى عن قريب.

هز مجدى رأسه وسلم عليه، ثم انطلق فى طريقه مصطدمًا بأحد الضباط وهو يدخل إلى غرفة فؤاد الأسيوطى، بينما قال الضابط بحماس "عرفنا صاحب الصورة يا فؤاد بيه".

-٣-

"راقبنا تحركات الظابط اللى ماسك قضية عماد عز الدين يا أدهم بيه زى ما أمرتنا".

أخذ نفسًا من سيجاره الغليظ دون أن يرد، وبدا أنه فى انتظار أن يكمل المتحدث كلامه، حيث كان المتحدث واقفًا أمامه وسط أربعة من الرجال مفتولى العضلات يرتدون ملابس سوداء، بالتأكيد هم حرس خاص لأدهم أبو العز.

وقال المتكلم بعد لحظات:

"عرفنا يا باشا ان فيه شاب متورط فى القضية اسمه محمد عطية.. ومن ساعة كده تقريبًا الحكومة هجمت على بيته.. واحنا قمنا بشغلنا وعرفنا ان الواد ده مافيش حيلته حاجة.. عيل غلبان بيجرى على عيلة كبيرة.. أمه وست أ.خوات.. واخواته كلهم فى التعليم.. ".

- إم.. والحكومة ماقبضتش عليه طبعًا؟
- بالظبط يا أدهم بيه، فتشوا الشقة بس ماكانش موجود.
- يا ترى الواد متهم ولّا شاهد ملك؟
- والله يا باشا مش متأكد بالظبط، بس الظاهر ان الواد متهم..

- يعنى انت مش عارف أصلًا، أمال مين اللى يعرف؟! – صرخ بحدة فى وجوههم.
- يا أدهم بيه، إحنا عاملين اللى علينا واكتر، الظابط اللى اسمه فؤاد ده كل تحركاته محسوبة أوى ومدروسة.. يعنى من الآخر عارف بيعمل إيه كويس ومخلى باله من كل حاجة.. والموضوع صعب أوى علشان نطلع بحاجة من وراه.
- ولا يدخل فى زمّتى الكلام ده بتعريفة.. إنتوا بتقبضوا منى علشان تشتغلوا.. وبتقبضوا ااااااد كده.. وانا مش بدّيكوا فلوس علشان تفضلوا تتفرجوا عليا.. أنا عايز الواد ده قبل ما الحكومة توصل له بأى طريقة.. وعايزه حى – كان حادًّا جدًّا صارخًا، وعيناه تقذفان شررًا من النار من فرط الغضب.
- تحت أمرك يا أدهم بيه.
- حتى لو وصلت الحكاية انكوا تخطفوا حد من عيلته.. – وسكن للحظة ثم قال:
- هاتولى امه.

لم يتفوه أيّ منهم بكلمة، بينما قال أحدهم بتردد:

"يا أدهم بيه.. شقة.. شقة الواد ده بتراقبها الحكومة ٢٤ساعة فى الـ ٢٤ ساعة.. فكرة اننا حتى نحاول ندخل البيت تعرّضنا كلنا للخطر.. وكمان ممكن تعرّض سيادتك للخطر لو ظهرت فى الصورة؛ لأن القضية بقت قضية رأى عام والحكومة مش ساكتة وشغالة فى كل حتة وعنيها منفجلة".

- إم – وهرش فى رقبته وقد بدا أنه يفكر ثم قال:

"طيب.. إتفضلوا انتوا وماترجعوش من غيره".

جلس أدهم أبو العز على كرسيه خلف مكتبه، ثم هز رأسه ممتعضًا قائلًا فى نفسه "أغبيا.. كل اللى بيشتغلوا عندى أغبيا".

دق جرس هاتفه فإذا به يسمع صوتًا يقول:

"أدامك يومين تجهز فيهم المبلغ اللى اتفقنا عليه" كان صوت محمد عطية.

– إنت فين يا راجل؟!، ده مصر كلها بتدوّر عليك – قالها ساخرًا.

فقال محمد دون تفكير:

"أظن انهم هيدوّروا علينا احنا الاتنين خلال يوم بالكتير لو مادفعتش الفلوس".

وأغلق الهاتف..

فتململ أدهم أبو العز فى مكانه وهو يتلفت يمينًا ويسارًا بحدة من فرط الغضب وكأنه لا يدرى ماذا يفعل، مرت عليه اللحظات التالية فى توجس وحيرة وأعصاب منهارة؛ فأدهم أبو العز رجل الأعمال الذى لا ينتمى لأحد سوى نفسه، يعلم كيف يحمى نفسه من الأنياب الضارية، ويعلم تمامًا كيف يدقّ على الحديد وهو ساخن ليظفر بأهم الصفقات التجارية، كانت له صفقات مشبوهة متعددة يساعده فيها بعض الرجال الفاسدون ذوو النفوذ فى الدولة، كما أنه كان يتاجر فى الممنوعات، أية ممنوعات طالما وصلت إليها يديه، كان أيضًا شخصية عملية ذكية للغاية ولكنها لا ترحم كل من يعترض طريقها، يمكنه أن يشترى كل الضمائر.. نعم جميعها.. فإن لم يكن بالود فبالقوة والوعيد، وكل من رفض له طلبًا كانت نهايته معروفة؛ فإما أن يلفق له قضية ويزجه فى السجن ما تبقى من حياته، وإما أن يصل الأمر إلى القتل، المهم أن يظل أدهم أبو العز رجلًا لا يستطيع أحد أن ينال منه، ولكنه فقط عماد عز الدين الذى وقف فى طريقه كعقبة كبيرة، يملك مستندات قد تودى نهائيًا بأدهم أبو العز.. نعم تقسمه نصفين متفحمين للأبد..

- ٤ -

كانت دعاء تجلس فى إحدى الشقق بصحبة بعض الأصدقاء، وكانت فى هذه اللحظة مسندة رأسها إلى رجل أحد الشباب، بينما كان المكان يضجّ بالموسيقى الصاخبة، وكان آخرون يرقصون ويتناولون المخدرات؛ فمنهم من يحقن نفسه بإبر تحمل مواد مخدرة، ومنهم من كان يتعاطى ما هو أقل تأثيرًا كـ"الحشيش"، كان فى يد دعاء كوب له شكل القرطاس به قليل من الخمر، وكانت فى عالم آخر مستغرقة فى التفكير.

فى هذه اللحظات قال لها من تنام برأسها على رجله:

"آه لو عرفوا يا دودو".

فانتبهت له قائلة:

"ما يعرفوا يا أخى، أنا أساسًا ملّيت العيلة دى، وخلاص جبت آخرى.. بس عمومًا ماتقلقش؛ هما اليومين دول واخدهم حوار عماد الكلب والقصة الفكسة بتاعة قتله.. بصراحة ماتعرفش أد إيه انا فرحانة باللى حصل له".

– إنتى بتكرهيه للدرجادى؟

– آه طبعًا، ده كان أكبر منافق وغبى.. وخاين كمان.

– يمكن يكون عندك حق، بس ما اظنش انه كان غبى.

فنهضت من مجلسها بعصبية لتعتدل فى جلستها، ثم صاحت بحدة:

"لأ، كان غبي.. فاهم؟.. كان غبي..".

فنظر إليها المتحدث مرتعدًا من شكلها وهى تصيح ثم قال:

"ماشى ماشى.. إهدى انتى بس".

فابتسمت ابتسامة خرقاء كتلك التى يبتسمها المجانين حينما يحاول الطبيب النفسى تهدئتهم، ورفعت الكأس الخاوية قائلة:

"فى صحة قتل عماد عز الدين".

فنظر إليها بتوجس قائلًا:

"فى صحة قتله".

وبعد ثوان قال لها:

"قوليلى..".

– ها..

– تفتكرى مين اللى قتله؟!

صمتت للحظة ثم قالت بغموض:

"ده قدّم أكبر خدمة ليّا ولكل اللى يعرفوه".

فقال مازحًا:

"إممم.. سيبك انتى.. قولي لى بقى أخبار حبيب القلب إيه"؟

– بصراحة.. ماشفتوش من مدة – قالتها بحزن.

وسكنت للحظة ثم قالت:

"بس كده أحسن فى الظروف اللى احنا فيها".

– إنتى لسه ماقلتيش للبيت انك اتجوزتى؟

– إنت اهبل يا ابنى؟! أكيد لأ طبعًا..

– بس مسيرهم يعرفوا..

– معقول؟!

– آه طبعًا.. مافيش حاجة فى مصر بتستخبى أكتر من سنة.

– لا.. ما اظنش، أمى ست بخيلة ومشغولة عننا بسبب فلوس أبويا.. يعنى من الآخر مش فاضية لحد.. عندها كمية فلوس مااعرفش هتصرفها إمتى، ولا شيلاها فى البنك ليه أساسًا!.. وكل ما اجى اطلب منها حاجة تقول لى دى فلوس المرحوم.. طيب لما هى فلوس المرحوم مدفنتهاش معاه ليه وريّحتنا؟!.. إيه فايدة الفلوس لو ماالتمتعناش بيها؟!.. هى ست طيبة وكل حاجة بس أنانية ومابتحبش غير هند.. ده انا ساعات بحسّ انى لقيطة – وسكنت للحظات حيث وضحت فى عينيها لمحة من الذكريات، ثم أردفت تقول باشمئزاز:

– هند.. البنوتة المدّلعة من وهى صغيرة، عايشة اليومين دول دور البطلة فى رواية مالهاش أى تلاتين لازمة.. عارف انت البطلة اللى بتتجوز راجل مابتحبوش وعايشة بين ذكرياتها بتدور على الحب القديم.. عارف انت الحوارات الفكسة دى.. هند خايبة وعاملة فيها مقهورة مع إنها مقهورة بإرادتها هى.. وهى عارفة كده.. بس ماتفهمش بقى!

– إنتى بتكرهيها أوى كده؟!

نظرت إليه بتأمل ثم قالت بغموض:

"لأ.. أنا مابكرهش هند، بالعكس، دى عمرها ما حاولت تذينى أو تضايقنى.. بس هى صعبانة عليا بجد.. وبالعن أم الدور الغبى اللى هى عايشاه فى حياتها ده، ياما قلت لها ان حياتنا مش مسرحية درامية نختار منها الدور اللى يناسبنا أو اللى يمشى مع رتم حياتنا.. الحياة يا إما تعمل فيها الصح وتعيش صح، يا إما تروح تموّت نفسك احسن".

ونهضت من مجلسها وتناولت معطفها وسارت نحو الباب فقال:

"إنتى رايحة فين"؟!

– إيه.. انت نسيت انى البنت البريئة اللى ماتعرفش حاجة عن الدنيا وماعندهاش أى خبرة فى أى حاجة؟!.. وماينفعش طبعًا بنت زى دى تتأخر عن البيت – قالتها ساخرة ثم ضحكت عاليًا.

– إنتى كدابة، والله شكلك رايحة لحبيب القلب.

فرمقته بنظرة ساخرة ثم قالت:

"مافيش حبيب قلب يا ابنى، على العموم زى ما قلت لك ماينفعش نتقابل بسبب ظروف اليومين دول.. أشوفك بكره .. باى".

– باى.

الفصل الخامس

- ١ -

جاء تقرير الطب الشرعى وكان فى هذه اللحظة بين يدى فؤاد الأسيوطى الذي كان فى حالة انتباه شديدة.. عيناه نافذتان، وحواسه كلها تشعر وكأنها داخل التقرير.. فقد كان فؤاد الأسيوطى ينظر إلى تقرير الطب الشرعى على أنه الصديق الذى سيزيل تلك الغشاوة التى غطت إحدى عينيه؛ حيث كان مؤمنًا بأن القضية حتى الآن لم يظهر منها سوى جانب واحد فقط.

كان التقرير يقول..

"لقد توفى المجنى عليه مباشرة إثر رصاصة اخترقت الرأس، وتبين لنا أن الرصاصة التى تسببت فى الوفاة رصاصة من "مسدس ٩ ملّى"، ولا يوجد بالجثة أي نوع من الكسور أو الخدوش، وقد حدثت الوفاة ما بين الساعة الواحدة والنصف والثانية والنصف بعد منتصف الليل.. إلى آخره".

كان فؤاد الأسيوطى يعيد قراءة التقرير وخصوصًا الجزء السابق أكثر من مرة بصوت جهورى أحيانًا وبصوت خافت أحيانًا أخرى؛ فأحيانًا يشعر بأنه يريد سماع صوته، وأحيانًا أخرى يتوق إلى الهدوء والتركيز حتى من صوته.. وشرعت الأمور تدور في رأسه سريعًا، والأفكار تتزاحم، والأسئلة تنهش فى عقله الضعيف.. فأشعل سيجارة واثنتين وثلاثة.. حتى انتهت جميع السجائر ولم يصل إلا لمجرد أسئلة.. أسئلة محيرة للغاية.. تزيد الأمر برمته غموضًا.

"مافيش أى نوع من الكسور أو الخدوش، المكتب كان مترتب ونضيف لما لقينا الجثة.. ده معناه إن ماكانش فيه أى نوع من المقاومة.. الحمد لله ان الرصاصة اخترقت دماغ المجنى عليه واستقرت فى الحيط وإلا كنت هدخل فى موال مالوش آخر.. وده معناه ان أوضة النوم اللى لقيناها متبهدلة.. اتبهدلت بعد ما عماد اتقتل.. يعنى القاتل كان بيدوّر على حاجة.. حاجة معينة".

أخذ نفسًا عميقًا وأكمل تكهناته: "إم.. لو كانت الرصاصة ماعدتش من رأسه كنت دخلت فى متاهة "على بابا"، وأكيد مش هلاقى سمسم اللى بيفتح بمجرد النداء عليه.. لأن وقتها القاتل ممكن يكون قتله فى أوضة النوم اللى كانت مقلوبة، وبعد ما يقتله فى أوضة النوم ينقله لأوضة المكتب علشان يضلل العدالة.. بس لأ.. العناية الإلهية دايمًا فى صف العدالة.. أنا مش فاهم المجرمين اللى بيتصوروا ان ربنا واقف جنبهم وهما بيرتكبوا جرايمهم بيفكروا كده ازاى؟!.. ده إيه القرف والكفر ده"!!

وبسرعة شرع يقلب فى الأوراق وفرد أمامه العديد منها وشرعت عيناه تتحركان بين الأوراق، يقرأ ورقة من هنا وملاحظة من هناك، فيهز رأسه للحظة راضيًا عن شيء، ولكنه سرعان ما يبدو ممتعضًا لشيء آخر خطر بباله، ويتخلل كل ذلك سجائر لا تنتهى. مرت ساعة ونصف تقريبًا وهو يفكر، وبهدوء.. أمسك قلمه وأتى بورقة، وشرع يكتب وهو يفكر:

"عماد عز الدين اتقتل بين الساعة واحدة ونص والساعة اتنين ونص بعد نص الليل.. والبواب ماكانش موجود لما رجع عماد من برّه، واقدر اقول ان عماد رجع من بره بمجرد ان البواب راح مشواره.. معنى كده ان عماد وصل تقريبًا ما بين الساعة واحدة وربع وواحدة ونص بعد نص الليل".

١ – آخر واحد شافه.. خالد مختار.

٢ – مافيش كسور أو خدوش وده معناه ان ماحصلش أى نوع من المقاومة بين القاتل والمجنى عليه، وده بيرجح ان فيه حاجة من الاتنين.. الحاجة الأولانية ان فيه سابق معرفة بين عماد والقاتل.. ووقتها عماد هو اللى فتح الباب، وبعد دقايق حصلت بينهم مشادة.. فاتقتل عماد وهو قاعد على مكتبه، أو ممكن يكون القاتل كان مبيت نية القتل وفاجئ عماد من غير أى مشادات.. الحاجة التانية ان القاتل عنده نسخة من مفتاح الشقة.. وكان بيراقب المكان كويس.. ومش بعيد القاتل كان مستخبى فى الشقة بيستنى عماد لما يرجع من بره، ولما حسّ انه خلاص كله تمام دخل عليه وقتله على طول.. أو انه دخل بعده وبرده عمل نفس الحكاية.

٣ – اختفاء أوراق رغم وجود المال – حاجة غريبة ومريبة فى الوقت نفسه وبعتبرها أكبر غلطات القاتل؛ لأنه لو كان عايز يضلل العدالة كان أخد الفلوس فيبان انها حادثة قتل بغرض السرقة.. إمم.. ده معناه ان القاتل كان بيدوّر على حاجة معينة.. شيء يهمه هو بالذات، بس لو الموضوع مرتبط بس بالأوراق، يبقى عماد عز الدين اتقتل ليه؟! ما كان ممكن القاتل يجى فى غياب عماد ويسرقها وخلاص؟!، أكيد كان القاتل عارف ان عماد مش هيهداله بال لو عرف بسرقة الأوراق.. النقطة دى مهمة جدًا، بس عماد يقدر يعمل إيه من غير أوراق؟!.. يا ترى القاتل شاف ان موت عماد أحسن علشان المسألة كلها تنتهى؟!.. ما اظنش.. ده أمر مستبعد.. محدّش هيحطّ نفسه فى دايرة الشك وخصوصًا بتوريط نفسه فى جريمة قتل.. ده اللى بيأكد لى إن الدافع اللى مات بسببه عماد عز الدين مرتبط بحياته الخاصة مش بحياته المهنية..

مافيش مقاومة.. مافيش اقتحام.. جريمة قتل.. مافيش شيء اختفى.. غير شوية أوراق..

٤ – في التوقيت ده القاهرة شبه فاضية.. والطريق من القهوة لشقة عماد بياخد بالكتير من ٧ دقايق لـ ١٢ دقيقة تقريبًا.. وآخر واحد شافه حي هو خالد مختار، وأول واحد شافه مقتول برده خالد مختار.. إمم.. غريبة.. ولو فعلًا اللى بفكر فيه صح.. إيه اللى هيخلّى خالد مختار يقتل عماد؟ مافيش جريمة من غير دافع.. أنا حاسس انى هتجنن..!!

"معقول الواد اللى اسمه محمد عطية ده هو اللى قتله؟!، ولا فى حاجة تانية مش واضحة؟!، والأوراق اللى كانت أهم الدوافع لقتل عماد عز الدين.. يا ترى الأوراق دى تخص مين؟! مين ده اللى يهمه الأوراق دى لدرجة القتل؟ ممكن يكون محمد عطية أداة تنفيذ؟ ولا إيه؟! معقول أشرف زيدان الكاتب اللى اتهور وهدد عماد هو اللى قتله بكل بساطة كده.. معقول بعد ما هدده فى مكان عام وأدام الناس؟!.. مافيش حد من فصيلة الناس دى يهدد وينفذ على طول ولا حتى ينفذ بعدين.. وبعدين فى حد بينوى القتل يقوم يروح يقول للى هيقتله هقتلك؟ عمومًا مافيش شيء مستحيل فى عالم الجريمة بس انا مستبعد الفكرة.

أداة القتل مفقودة والدوافع كتير.. صراع.. حقد.. سياسة قذرة.. وشوية أقنعة عاملين نفسهم نجوم مجتمع.. ونسوان وسخة.. يا ترى أى أداة من دول اللى قتلتك يا عماد؟.. أنا شايف يا صاحبى انك فعلًا كنت تستحق القتل".

اتصل هاتفيًا بأحد الضباط وأمره بأن يأتيه فى الحال، وحينما دلف الضابط إلى غرفة مكتب فؤاد الأسيوطى كان الأخير منغمسًا فى أفكاره فقال وهو يتنحنح:

"إحم.. فؤاد بيه"؟

فتنبه فؤاد الأسيوطى رغم أن عينيه مازالتا غائبتين فى مكان آخر فقال:

"اقعد يا هانى".

– متشكر يا باشا.

– إنت متابع معايا قضية عماد عز الدين من البداية، وأنا عارف إنك ذكي، إيه اللى انت شايفه فى القضية دى لحد دلوقتى؟.. بس عايزك تقول لى رأيك وافتراضاتك بعد ما تقرا التقرير ده – وناوله التقرير.

قرأه هانى فى دقيقة وأطرق برأسه مفكرًا، ثم قال بعد لحظات:

"واضح ان القاتل يعرف المجنى عليه، أو أن القاتل معاه نسخة من مفتاح الشقة".

– إم.. ها، وإيه كمان؟

– إم.. أنا ميال للافتراض الثانى أكتر يا باشا؛ لأن المجنى عليه شخصية ذكية جدًّا، واللى عرفناه كمان من تحرياتنا ان عماد شخصية متشككة أوى، يعنى بيشكّ حتى فى نفسه لو جاز التعبير ، فأنا شايف أنه من المستحيل إن عماد ممكن يفتح الباب لحد شايف انه ممكن يئذيه أو مبيت له الشر.. ده رأيى.

– وده رأى سليم – وأخذ نفسًا عميقًا من السيجارة ثم قال:

"إنت كلامك مظبوط يا هانى، بس فى حاجة مهمة أوى.. إن عماد ممكن يكون فتح الباب فعلًا؛ لأن القاتل ممكن يكون حد يعرفه كويس، وفى الوقت نفسه مايتوقعش منه كده".

– والله يا باشا ممكن يكون صح، بس المشكلة.. مين ده اللى يعرفه المجنى عليه كويس وفى نفس الوقت يجيله فى توقيت زى ده؟!.. إيه الغرض من زيارة نص الليل دى؟! اللى كان آخرها قتل المجنى عليه؟!".

– هو ده السؤال اللى محيرنى يا هانى – وأخذ نفسًا من السيجارة ثم قال بعد لحظة من الصمت:

"يمكن يكون محمد عطية هو اللى قتله؟!.. علاقته بعماد عز الدين كانت علاقة غريبة ومشبوهة، ومن التحريات اتضح لنا ان الشاب ده مابيشتغلش فى أى جريدة.. ده غير انه فقير وبعيد تمامًا عن حياة عماد.. فهل ممكن يكون الواد ده جاله مثلًا وطلب منه فلوس فحصلت بينهم مشادة فقتله"؟

– ليه لأ.. بس جاب منين السلاح؟

– يا هانى بيه، إنت عارف ان مسألة السلاح دى مابقتش صعبة اليومين دول، وبعدين صحاب الواد ده فيهم عيال كتير مشبوهة وممكن يساعدوه.

– بضم صوتى ليك يا باشا، بس ده معناه ان محمد عطية كان ناوى شر من البداية.

– أظن كده، وإلا ليه راح له فى ساعة متأخرة كده؟!

وابتسم قائلًا:

"عماد مش شاذ ولا بيتعاطى مخدرات".

فابتسم هانى وهو يهز رأسه بالموافقة قائلًا:

"من اللى عرفناه إن أم الواد ده عيانة أوى، ولو ماعملتش عملية هتموت.. يعنى دافع القتل عنده موجود.. فسرق الصندوق على أمل إنه يلاقى فيه حاجة تنفعه".

– ما هو ده اللى محيرنى يا هانى، الواد ده عمل كل حاجة ببرود أعصاب وخصوصًا زى ما انت عارف انه قابل البواب وهو نازل من عند عماد.. يعنى الواد ده اختار باب الشقة وسيلة للهروب.. يعنى مهربش من باب المطبخ اللى لو خرج منه محدّش هيشوفه.. وماتنساش ان باب المطبخ بيودّى على سلم جانبى.. يعنى مخرج تانى خالص

من العمارة.. تمام؟.. يبقى ازاى بقى يسيب الفلوس الجاهزة وياخد صندوق مجوهرات مش عارف هيوديه على فين؟! وكمان خرج من باب الشقة.. ده إيه الثقة دى (قالها ساخرًا).. وماتنساش ان الواد ده فى عرض جنيه، وأى قرش بالنسباله زى مليون جنيه.

– ده سؤال كويس، بس مش يمكن ماخدش باله، أو يمكن اكتفى بالصندوق على أساس ان المجوهرات قيمتها فى تصوره أكبر من قيمة الفلوس؟

– ما اظنش يا هانى بيه.. فى حاجة تانية مش واضحة.. مافيش حد هيقتل ويعمل ده كله ويسيب مبلغ وراه بالسهولة دى، أنا ممكن اقتنع بحاجة تانية.. إن الواد ماكنش أكتر من أداة لقتل عماد عز الدين وسرقة الصندوق اللى فيه أوراق مهمة.. ورغم انى شاكك فى الحكاية دى كمان ولأسباب واضحة من كلامنا، إلا إنه الافتراض الوحيد المقبول لحد دلوقتى، وأدينى بستجوب كل اللى فى حياة المجنى عليه.. زى ما انت عارف حياة المشاهير مليانة علاقات شرعية وغير شرعية، وعلاقات مشبوهة كمان زى علاقة المجنى عليه بمحمد عطية كده.. ده غير الصراعات.. هتيجى بقى تجمع كل الأمور دى هتلاقى ألف واحد عايزين يقتلوا عماد عز الدين ألف مرة، ده غير ان فى حاجة مهمة جدًا يا هانى.. الواد اللى اسمه محمد عطية ده عمره ما دخل قسم بوليس ولا اتحرر ضده حتى مخالفة، يعنى الواد ده مش مسجل ولا حاجة.. معقول بقى تكون أول جريمة ليه.. جريمة قتل؟.. أنا شايف ان الواد ده وراه سر كبير ودافع أكبر فى قضيتنا دى.. ده لو كان فعلًا قتل.. واللى خايف منه بجد بقى.. إنه يكون الواد مش أكتر من عابر سبيل فى قضيتنا دى.

هز هانى رأسه بالموافقة ثم قال:

"أظن ان الأمور هتوضح قريب أوى، وخصوصًا اننا فى حالة بحث مستمرة وعلى نطاق واسع علشان نقبض على الواد ده".

– أتمنى يكون ده قريب أوى.. ده غير ان التحقيق مع أشرف زيدان أكيد هيوضّح حاجات تانية لسه ماانكشفتش فى قضيتنا.

– إنت مااستجوبتوش لحد دلوقتى يا باشا؟

– فى الأقصر ياسيدى.. شغال هناك على تحقيق صحفى مهم.. ده غير ان فى هناك مؤتمر عالمى هتقيمه الصحافة واستأذنى انى أديله فرصة يومين.. ماتنساش انه هدد المجنى عليه ليلة الحادثة وفى حضور شهود عيان.. والموقف محرج جدًا بالنسبة ليه.

– بس يا باشا لو كان هو القاتل.. كده أدامه فرصة يأمن بيها نفسه أو حتى يهرب؟

– ماتقلقش، إحنا مراقبينه الـ ٢٤ ساعة لحد ما يشرّف، وبعدين أشرف زيدان مش بالغباء ده.

– على كل حال أنا شاكك فى حكاية ان أشرف زيدان ممكن يكون القاتل؟

– مش شرط، كل شىء وارد فى عالم الجريمة.. وماينفعش نهمل تفصيلة ونخلى بالنا من التانية.. كل شىء وارد يا هانى.. إنت بس كثف جهودك واعمل اللى قلت لك عليه، والأهم من ده كله ماتشلش عينك من على بيت محمد عطية، وتراقب لى كويس يوسف أباظة ومجدى الزينى وخالد مختار وزوجة المجنى عليه واختها اللى اسمها دعاء..

– تمام يا باشا.. إنت شاكك فيهم ولا إيه؟

– زى ما قلت لك.. كل شىء وارد، وحاسس ان بمراقبتنا ليهم هيبان حاجات كتير.

– تمام يا باشا.

انطلق هانى خارج غرفة المكتب وفؤاد الأسيوطى يتابعه بعينيه اللتين سرعان ما غرقتا فى التفكير مرة أخرى.

- ٢ -

"إزيك يا هند؟ عاملة إيه دلوقتى"؟

– بخير يا مجدى.. الحمد لله..

– أنا عارف ان الموضوع صعب، بس دى إرادة ربنا يا هند.. ربنا يعينك.

هزت رأسها ببطء وعيناها شاردتان وهي مطرقة إلى الأرض يتملكها الحزن، بينما كان مجدى الزينى ينظر إليها بترقب محاولًا أن يجد الكلمات ليضمد جراحها المريرة، وبعد وهلة قصيرة قال وهو يشعل لفافة تبغ:

"لازم تكونى عارفة ان ربنا دايمًا بيختار لينا الأصلح والأنسب فى حياتنا حتى لو كنا مش فاهمين كده دلوقتى.. أكيد بنفهم حكمته دى بعدين.. دلوقتى لازم تفكرى فى نفسك وفى اللى جاى.. وسكن للحظات ثم قال: "آه صحيح.. كنت عايز اسألك فى حاجة كده"؟

رفعت عينيها ببطء دون مبالاة وهزت رأسها متسائلة فقال مجدى:

"عماد – الله يرحمه – مقلكيش على أى حاجة غريبة حصلت معاه فى الفترة اللى قبل وفاته.."؟

هزت رأسها بالنفى وهى تقول:

"إنت عارف إنى انا وعماد متخاصمين من قبل الحادثة بعشر تيام، ده

غير ان مابياخدش رأى حد فى حاجة.. أكيد انت عارف الحكاية دى.. أما الأمور اللى انت بتتكلم عليها دى حتى لو حصلت عماد مش بيتكلم فيها".

– أي أمور؟!

– التهديدات والحاجات اللى شبه كده.

– آه لو اعرف مين ابن الكلب اللى اتجرأ وقتله؟

نظرت إليه بدون اهتمام وقد وضحت عليها اللامبالاة ثم قالت بخفوت: "ربنا كريم".

– أنا سمعت انهم شاكّين فى اكتر من متهم، ومنهم واحد ممكن تكونى عرفاه.

– مين؟!

– شاب اسمه محمد.. جه لعماد قبل كده.. جاله فى الشقة.. أنا شفته معاه قبل كده.

– آه فعلًا، الظابط سألنى عليه.. (وهزت منكبيها) بس انا ماعرفوش.. ماشفتوش غير مرة واحدة.

– وشكله كان إيه؟

– مش فاكرة يا مجدى شكله بالظبط.. بس شكله مش مجرم ولا حاجة.. يعنى غلبان وملخبط كده، وكان مكسوف ومحروج.. عارف انت الكسوف اللى بيبان على الناس الفقرا لما تيجى تعطف عليهم..؟

– آه، فاهمك.. ممكن يكون عماد فعلًا كان بيعطف عليه ولّا حاجة.

فابتسمت ساخرة وهى تقول:

"عماد ماكانش بيعطف على حد يا مجدى وانت عارف ده كويس.. وعارفه أكتر منى كمان".

– غريب!

- إيه اللى غريب فى كده يعنى؟
- مش عارف..!.. بس إيه صلته بعماد؟! وإيه اللى يخليه يقتله لو كان فعلًا قتله؟!
- يمكن الطمع.. أما صلته بعماد.. فهو قال لى انه عامل عنده فى الجريدة وكان جايبله ورق مهم.

أطرق مجدى الزينى مفكرًا لثوان ثم قال:

"إنتى عارفة ان عماد ممكن يعمل أى حاجة علشان يجيب الأوراق اللى دايمًا بتدعم مواقفه لما يجى يفتح أى ملف فساد".

- آه عارفة.
- ممكن يكون حد من اللى عماد كان بيحارب فسادهم دفع لمحمد ده مبلغ محترم علشان يقتل عماد ويجيب الأوراق.. اللى أساسًا قبل كده ممكن يكون محمد نفسه هو اللى جابهاله.
- وهو انت متوقع ان عماد كان بيقول الصراحة لما قال لى إن الشاب ده جايبله ورق؟!
- مش عارف.. بس ليه لأ؟!
- والله ما انا عارفة.. بس عمومًا هو لما قال لى ماكانش باين عليه انه كان بيكدب.. بس فى حاجة تانية..
- إيه هى؟
- إن عماد أكتر راجل فى الدنيا بيبان صادق لما بيجى يكدب.. شغله فى الصحافة ادّاله خبرة واسعة فى الحكاية دى.. ما انتوا كلكوا كده يا مجدى ومن زمان أوى.
- قصدك إيه يا هند؟ يعنى انا كداب؟!
- كلكم كده، والتاريخ شاهد على كلامى ده.. وهاتلى أى شىء يثبت

العكس.. إنتوا كلكوا معجونين من نفاق وكدب وخيانة

نظر إليها مجدى الزينى بعينين حزينتين ممتعضًا والألم يعتصر قلبه ثم قال:

"الله يسامحك يا هند، ده انا جاى أواسيكى واساعدك".

- وانا ماطلبتش مساعدة من حد يا مجدى.. لا طلبتها منك ولا من غيرك،
- ده حقك علينا يا هند، وعمومًا أنا مقدر ظروفك والعصبية اللى انتى فيها، ودلوقتى اسمـ..

ودق جرس الهاتف الخلوى لهند فأشارت له بيدها مقاطعة ثم ردت قائلة:

"ألو".. أهلًا بيك.. الحمد لله على كل حال.. فى إيه؟.. إنت متأكد من كلامك ده؟.. أكيد طبعًا لازم ناخد بالنا من كل حاجة.. بس انت ليه ماتقليش دلوقتى؟!.. خلاص تمام.. هكون فى انتظارك إن شاء الله.. مع السلامة".

أغلقت الهاتف ونظرت إلى مجدى وأخذت نفسًا عميقًا بينما قال هو:

- أكيد ده رئيس المباحث فؤاد الأسيوطى.
- لأ..

انعقد حاجبا مجدى متعجبًا ولم يحاول أن يسألها عن ماهية المتصل، ثم قال وهو يلملم نفسه بعد سوء المقابلة التى قابلته بها هند:

"أستاذنك دلوقتى، وهبقى ارجع اطّمن عليكى، وسواء كنتى عايزة ده أو مش عايزاه.. ده حقك علينا يا هند، ولازم أكون جنبك فى المرحلة الصعبة دى".

هزت رأسها مبتسمة ابتسامة ساخرة مريرة دون أن تنطق بكلمة، ورمقها مجدى للحظة ثم انطلق فى طريقه خارجًا من منزل أمها، وحين خرج جاءت إليها أمها وهى تقول:

"باين عليه زعلان أوى، إيه اللى حصل"؟
– مافيش حاجة يا ماما..
– يا بنتى هوّنى على نفسك شوية، ده ماجاش إلا علشان يواسيكى.. الراجل ماغلطش.

فقالت بهدوء لا يخلو من الحدّة وهى تنهض من مجلسها بعصبية:
"وانا مش محتاجة حد يواسينى يا ماما".

فنظرت إليها أمها وهى تغادر، بينما أطرقت رأسها إلى الأرض وقد طافت بعينيها لمحة من الذكريات.

-٣-

كان محمد عطية فى هذه اللحظة يقف فى مواجهة المعلم سيد الذى ظل واجمًا مطرق الرأس يفكر وهو يمسك بـ"لاى" الشيشة بعدما سمع اعتراف محمد عن سر اختفائه عن العيون، ولماذا استعان بالمعلم سيد فى هذا الأمر، وبعد دقيقة تقريبًا كان الصمت يخيم على كل شىء حتى على صوت الشيشة التى أصيبت بمفاجأة أطلقها محمد عطية فى وجه كل شىء، لم يبدُ على المعلم سيد أي نوع من التعبيرات؛ فهو صاحب ملامح غليظة وصلبة لا تفصح عن أى شىء، ولا تشي بما يجيش فى أعماقه، وانطلقت منه بعد وهلة تنهيدة عميقة وكأنه عاد إلى الواقع مرة أخرى وقال:

"ده انت فى مصيبة يا ابنى.. ده انت كده ركبت الترومواى ومش نازل".

– عارف.
– الحكومة مش هيهدالها بال غير لما تحطّ الكلبوش فى إيديك.. وفى قضيتك دى هتلبس الأحمر يعنى هتلبس الأحمر.. حتى لو جبت الجن يدافعوا عنك.
– يا معلم كل ده ولا يهمنى سواء عدمونى ولّا سجنونى ولّا حتى دخّلونى النار.. كل ده ولا فارق معايا فى أى حاجة.. كل اللى فارق معايا أمى اللى هتموت قريب لو مالحقتهاش وعملت لها العملية،

ده غير إخواتى اللى أكيد هيتشردوا من بعدى.. أنا مافيش أدامى حل تانى، واللى بدأته لازم اكمله.

هز المعلم رأسه متفهما ثم قال:

"بس انا عندى سؤال كده؟"

– إيه هو؟

– انت بجد مقتلتش عماد عز الدين؟

– أحلف لك بإيه يا معلم انى ما قتلته.. أنا كان فى نيتى وانا رايح له انى أقتله، وانت عارف الحشيش لما بيكون تقيل بيحسسك انك لو فوت فى الحيط هتعدى من الناحية التانية.. بس انا بقى اللى كنت هموت من الرعب ساعة ما دخلت شقته.

– بس الحكاية غريبة أوى يا محمد.. يا ترى مين صاحب الصوت اللى انت سمعته وانت هناك فى الشقة؟ وبعدين سيبك من هو مين.. إيه الحظ النحس ده اللى بعتك فى ليلة غبرة زى دى؟ ده اللى أهم من ده كله.. يا ترى صاحب الصوت ده شافك ولّا لأ؟.. إنت ماسألتش نفسك السؤال ده؟!.. لأنه لو كان شافك أكيد هيدوّر عليك؛ لأنه فاهم إنك شفته، ووقتها ممكن تتحاكم بالسرقة.. بس لو عرفت توقعه، ويا سلام لو معاك محامى شاطر.. ممكن تاخد حكم مع إيقاف التنفيذ؛ لأنك فى الوقت ده هتكون شاهد ملك.. اسألنى انا ده انا قاموس.

صمت محمد عطية للحظات وكأنه لا يعنيه ما قاله المعلم سيد ثم قال:

"وإيه رأيك فى موضوع الورق يا معلم"؟

فرفع المعلم سيد رأسه ناظرًا له وهو يتحسس طرف الشيشة بشفتيه وقال:

"لأ إنت عجبتنى بالأمانة.. عملت حركة شديدة يعنى.. ضربة معلم، وبصراحة مستغرب.. جبت الجرأة دى منين؟"!

– ده انا كنت هموت من الخوف وانا بكلّم اللى اسمه أدهم ابو العز ده فى التليفون.. أصل الحاجات دى كنت بتفرّج عليها فى الأفلام الأجنبية.. أصلى مدمنها يا معلم.

ضحك المعلم سيد ثم قال:

"بس اللى انت فيه مش فيلم يا محمد، ومش هتقدر تعيد مشهد واحد لو ماعجبكش يا برنس".

– عارف يا معلم – وهز رأسه ثم قال:

"بس يا معلم قلت إيه فى العرض اللى عرضته عليك"؟

– والله عرض ميه ميه ومية فل وعشرة كمان، وممكن يحوّل حياة أى بنى آدم.. خمس أرانب مش قليلين برده.. بس فى حاجة انت ناسيها.. اللى زى دول مابيدفعوش من غير دم.. ده إذا دفعوا.. ومش هيسيبوك حى.. حتى لو سلّمتهم الورق ببلاش.. يا محمد انت زى اخويا الصغيّر.. صدّقنى انا عارف الدنيا الوسخة دى ماشية ازاى.. مافيش حد دخل الكار ده بمزاجه، واللى دخل لازم يكمل.. واللى إيده اتعاصت بالدم مستحيل يجيب ورا، ويبقى القتل عنده أسهل حاجة.. والمكتوب مامنّوش هروب، وانت خلاص دخلت اللعبة.. يعنى انسى.

وضح لمحمد عطية أن المعلم سيد لم يكن فقط مجرمًا، بل كان حكيمًا وشهمًا أيضًا، فلم يفكر فى المبلغ الذى عرضه عليه محمد بقدر ما فكر فيه وإلامَ سيؤول الأمر، و لم يطرده مثلا عندما علم أنه معرض لكارثة تتمثل فى مواجهة رجل له نفوذه وسطوته، وأنه بالتأكيد لا يريد الدخول فى مثل هذا الأمور الذى ستعرضه للخطر بكل تأكيد، ولكن المعلم السيد كان يرى أن كلمته التى أعطاها لمحمد منذ البداية والتى تتضمن حمايته لا يمكن أن تسقط.. ففى

هذا المجال قد يبيع المرء حياته – حتى وإن كان مجرمًا – لمجرد أن يحافظ على كلمته؛ فهو يعتبرها جزءًا لا يتجزأ من رجولته، فإن سقطت كلمته سقطت رجولته.. هذا ما اعتقده محمد، ولكن الحقيقة فى صدر المعلم سيد تختلف تمامًا؛ حيث كان يرى أن الملايين الخمسة التى ستأتيه ستغير حياته، وستدفعه ليزيد حجم تجارته الممنوعة.. كما أنه لن يخسر شيئًا.

بعد هدوء استمر لدقائق تخللها التفكير من الطرفين، قال المعلم سيد:

"أكيد الحكومة هتستجوب سعد صاحبك.. وانا عارف ان سعد مش هيوصلهم لحاجة.. هو عيل جدع وراجل الصراحة، ومستحيل يبيع أصحابه، بس المشكلة مش فى الحكومة.. المشكلة فى أدهم ابو العز ورجالته".

– قصدك إيه يا معلم؟

– أى حد فى الدنيا.. حتى لو هو مين.. يجى أدام الفلوس وينخّ.. هى كده.. الفلوس ياما غيرت نفوس.

– لا لا.. ما اظنش ان سعد ممكن يبيعنى بالساهل كده – قالها مستنكرًا بحدّة.

– والله يا ابنى أتمنى.. بس عمومًا ماتقلقش؛ لأنه مش هيخونك.. مش علشان الصحوبية اللى بينكوا، بس علشان بيخاف منى وبيعمل لى ألف حساب.. وعمومًا انا قبلت عرضك.

وقام ليصافحه وكأنه وقّع اتفاقًا ثم قال:

"أما خطة التنفيذ فسيبهالى؛ لأن دول مش هيدوك حاجة من غير ما ياخدوا معاها رقبتك ورقبة أى حد يعرف موضوع الورق ده".

– للدرجادى؟!

– طبعًا للدرجادى واكتر.. إنت يا ابنى حاطط السكينة على رقبته بالورق اللى معاك ده.. وكل اللى يعرف موضوع الورق برده حاطط السكينة على رقبته؛ لأن نشر ورقة واحدة من الورق ده يوديه

فى ستين داهية، ده غير الفضايح وخلافه.. وماتنساش ان فيه ناس كتير أوى متسنيين انه يقع علشان مصالحهم طبعًا؛ لأن أدهم ابو العز عامل زى اللقمة اللى فى الزور لناس كتير.. عايزك بس تعمل زى ما هقولك، وان شاء الله خير.. تعالى بقى اقعد جنبى علشان نشرب لنا حجرين ونسلطن كده.. علشان نعرف نفكر.. خلى ربنا يكرمنا.

كان جادًّا فى كلماته، و لم يستطع محمد عطية أن يمنع نفسه عن الضحك فى هذه اللحظة رغم توتره، و لم يفهم المعلم سيد سر ضحكة محمد، و لم يبالِ أيضًا فى الوقت نفسه..

- ٤ -

فى صباح اليوم التالى جلس يوسف أباظة فى شقته وقد وضح على ملامحه القلق الشديد والتعجب أيضًا، كان وجهه باهتًا مرهقًا حيث بدا أنه لم ينل أى نوع من الراحة أو النوم، كانت السجائر الملقاة فى مطفأة السجائر تتعدى تصوره هو نفسه، فلو سألوه من دخن كل هذا لقطع جازمًا بأنه ليس هو على الإطلاق، كان الدخان يلفّ الغرفة فى شكل يبعث على الكآبة والغموض، كان يجلس أحيانًا، وأحيانًا أخرى يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، يمسك بهاتفه ويحاول الاتصال بأحدهم ثم يملكه التردد فيهز رأسه مستنكرًا الفكرة، ثم أطلق زفرة مريرة تنم عن فيض الكيل، نعم فقد فاض به الكيل من تلك الأفكار التى تتأكد له كل لحظة عن ماهية القاتل، ولكن هناك شيئًا غريبًا يجعله متعجبًا بشأن الأمر كله، فقد جزم من قبل بمعرفته بالقاتل بل ومعرفة الجميع به، ولكن ما الذى يجعله متعجبًا فى هذه اللحظات.. أخيرًا قرر أن يتصل بخالد مختار، وبالفعل قد كان..

"ألو".

– أيوه يا يوسف عامل إيه؟

– مش بخير يا خالد، مش بخير.

– إيه اللى حصل؟ قلقتنى..

– أنا عرفت مين القاتل يا خالد..

– بتقول إيه؟ أنا كنت فاكرك بتهرتل زى عادتك.. وبعدين ما تروح لفؤاد الأسيوطى.

– أنا مش قادر اتحرك من ساعة ما عرفت.. أنا لسه يدوب متأكد من شوية، وبعدين انا ماكنتش بقول أى كلام.. صدقنى انا متأكد من اللى عرفته.

– ومين هو؟

– لا، لا، الموضوع ماينفعش فى التليفون.. المسألة صعبة أوى وطويلة.. عايزك بس تتصل بفؤاد الأسيوطى رئيس المباحث.. خليه يجينى على شقتى فى الزمالك.. أنا هناك دلوقتى.. أصله ادانى الكارت بتاعه ومش لاقيه.. أنا مش عارف اركز فى أى حاجة.. وتعالى بسرعة علشان افهمك على كل حاجة.

– بس..

– أرجوك يا خالد.. اسمع الكلام ونفذه بسرعة.

– إنت فين دلوقتى؟

– ما قلت لك فى شقتى فى الزمالك.

– ماشى ماشى.. هتصل بفؤاد دلوقتى.. وانا جيلك اهو.. بس أقول له إيه؟

– قول له انى عايزه علشان اكشف له القاتل.. ماتقاطعنيش بقى واستنى.. والله هتعرف كل حاجة بس بسرعة الله يخليك.

وأغلق الهاتف ونظر خالد مختار إلى الهاتف بشىء من الريبة وسكن للحظات، ولكن سرعان ما استفاق من تفكيره واتصل بفؤاد الأسيوطى وهو

ينزل فى المصعد من شقته متجهًا إلى يوسف أباظة كما أخبره، وعندما رد فؤاد الأسيوطى قال له خالد:

"إزيك يا فؤاد بيه، أرجوك تعالى دلوقتى على شقة يوسف أباظة.. لأنه شكله عرف القاتل، وعايز يعرفك التفاصيل، هو فى حالة سيئة جدًا وكان مرتبك جدًا وهو بيكلمنى".

- ماقال لكش أى حاجة تانية..؟!
- أبدًا ماقال ليش أى حاجة.. كل اللى قاله انه عايزك تجيله دلوقتى حالًا.
- وانت فين دلوقتى؟
- أنا فى شقتى ورايح له حالًا.
- طيب رايح له حالًا
- هو فى شقته التانية
- طيب ادينى العنوان.

وأعطاه العنوان وأغلق الهاتف.. وانطلق فؤاد الأسيوطى خارجًا من مكتبه هو الآخر ومتجهًا إلى شقة يوسف أباظة.

الفصل السادس

- ١ -

كان خالد مختار واقفًا فى مكانه دون حراك، عيناه جاحظتان، مشدوهًا لا يصدق ما يراه، بل وضح كأنه جثة ميتة وهو يقف فى مواجهة جثة يوسف أباظة الذى كان منبطحًا على ظهره فوق الأرض والدماء تسيل من رأسه بغزارة شديدة، عيناه مفتوحتان عن آخرهما بشكل يبعث الرعب فى النفس، وكان بجواره مسدس ٩ ملّى.. إنه نفس نوع المسدس المستخدم فى قتل عماد عز الدين، لم يلمس شيئًا من شدة خوفه، وحينما وصل فؤاد الأسيوطى بعد دقائق لاحظ أن الباب مفتوح فدلف سريعًا ففوجئ بما رأى، ونظر إلى خالد مختار و لم يتفوه بكلمة، ثم نظر إلى جثة يوسف أباظة طويلًا واقترب منه ونظر فى عينيه للحظة؛ فبعض المحققين لديهم اعتقاد بأن عين الضحية تسجل آخر مشهد رأته قبل وفاتها، ولكن لم يكن هناك تسجيل رقمي أو فوتوغرافي فى عينى يوسف أباظة الضحية.

وبعد ثوان من مسح مسرح الجريمة بعينين دقيقتين للغاية من قبل فؤاد الأسيوطى قام بالاتصال من خلال هاتفه بأحد الضباط وأعطاه بعض الأوامر، وبعد أن أغلق الهاتف التفت ناظرًا إلى خالد مختار الذى كان كالصنم اليونانى الذى يزين أحد أركان الشقق الباهظة التكاليف، لكنه كان صنمًا مخيفًا للغاية.

واقترب منه بهدوء قائلًا:

"أستاذ خالد.. أستاذ خالد".

لكنه لم يرد؛ حيث كان فى مكان آخر لا يعلمه هو نفسه، ووضع فؤاد الأسيوطى يده على كتفه فانتفض خالد مختار من مكانه وهو ينظر إلى فؤاد الأسيوطى الذى لم يشعر بوجوده إلا في هذه اللحظة، وحاول أن يتكلم حيث تحركت شفتاه ولكن توقف كل شىء، فقال فؤاد الأسيوطى:

"إنت جيت إمتى"؟

فنظر إليه خالد طويلًا ثم قال وقد استحوذ عليه الشرود:

"دلوقتى".

– ودخلت هنا ازاى؟

– لقيت الباب مفتوح.

– ماسمعتش أى حاجة.. أى صوت؟

– لأ – كان يردّ شاردًا.

فأخرج فؤاد الأسيوطى مسدسه من الجراب الخاص به وانطلق بحذر تام يفتش فى الشقة التى كانت مرتبة بشكل جميل وراق، ولم يلاحظ أى شىء يشد الانتباه أو أى خيط يدل على وجود إنسان هنا، كانت التساؤلات تتولد وتتكاثر فى عقله بلا توقف، وحين انتهى من مسح الشقة كاملة انطلق إلى المطبخ اللعين سر شقائه فى هذه القضية، فوجد الباب مفتوحًا على مصراعيه، ففكر فى نفسه "يلعن أبو الشقق اللى ليها باب يدخل ويخرج منه القاتل وقت ما يحب.. أمال فين أهل البيت"؟!

وانطلق خارجًا وهو يقول ومازال المسدس فى يده:

– "هو ساكن لوحده"؟!

– آه.. أصل دى شقته الخاصة اللى بيحب يقعد فيها لما يحب يشتغل أو يحب ينفرد بنفسه بعيدًا عن أرف المكاتب والمشاكل العائلية.

– إم.. هو مين اللى بيخدمه؟ أصلى شايف يعنى الشقة مترتبة!

– مرات البواب بتيجى من وقت للتانى تنضف الشقة.

– إم.. هو قال لك إيه بالظبط فى التليفون؟

– زى ما قلت لك.. ماقال ليش حاجة زيادة.

– إنت عندك سلاح يا أستاذ خالد؟

نظر إليه خالد شاحبًا ومتعجبًا من السؤال ثم قال:

– لأ.. أنا مافيش عندى سلاح، ولا اعرف حتى ازاى أستعمله.

– ما اظنش انه محتاج تعليم علشان تعرف تستعمله.

– قـ.. قصدك إيه؟ – قالها بتوتر.

– ولا حاجة.

وصلت قوتا الشرطة والإسعاف حيث دوى الشارع بأصواتهم التى تبعث الخيفة والقلق فى النفس، وبعد دقيقة تقريبًا اكتظت الشقة برجال الشرطة والإسعاف وفريق البحث الجنائى.

وقف خالد مختار كنفس المشهد الأول فى ركن من الأركان، كانت تدور في عقله الكثير والكثير من الأفكار والتساؤلات، عيناه ثابتان على اللاشىء، فأحيانًا تلمح جثة يوسف أباظة المغطاة بغطاء أبيض ملطخ بالدماء من ناحية الرأس، بينما كان فؤاد الأسيوطى يتحدث إلى مجموعة من رجال الأمن بشكل جاد وقد بدا أنه يأمرهم بشىء ما ويوجههم بأمور مختلفة، وأحيانًا كان يشرح لهم بعض تكهناته عن هذا الحادث المأسوى، وبعد أن اتجه كل منهم إلى عمله أخرج علبة السجائر وأشعل لفافة تبغ وهو يرمق خالد مختار بنوع من الفحص والدراسة ثم فكر فى نفسه: "يا ترى يوسف أباظة اتصل بخالد مختار فعلًا علشان يقول له انه عايزنى؟!.. يا ترى يوسف أباظة كان عايز يقابلنى فعلًا علشان يقول لى سر الجريمة ويكشف لى القاتل؟! ولّا الحكاية كلها من تدبير خالد مختار؟! بس إيه السبب؟!.. إيه الدافع ورا قتل يوسف أباظة هو كمان؟! معقول يكون يوسف كشف خالد.. فقام خالد عامل الحدوتة دى علشان يقتله

وبالمرة يبرأ نفسه أدامى؟! جايز أوى يكون كلّمه فى التليفون وواجهه وحصل اللى حصل بعد كده.. الغريبة ان الشقة مافيش فيها أى محاولة لاقتحام، وده معناه ان المجنى عليه على معرفة بالقاتل؟.. ما هو مش معقول يوسف أباظة فى توتره ده هيفتح الباب لحد جاى يقتله!.. إممم.. القضية عمالة تكبر وكل يومين واحد يتقتل لى.. لحد دلوقتى مش متأكد ان خالد مختار هو اللى قتل، بس بعد قتل يوسف أباظة ماقدرش أقول غير ان خالد مختار يا إما قاتل ذكى جدًا، يا إما شخصية منحوسة جدًا وفى الحالتين انا لازم اتحفظ عليه.. تحفظى عليه هيبقى فى صالح القضية".

أغلق باب أفكاره ثم اتجه إلى خالد مختار وناوله لفافة تبغ وهو يقول:

"أنا آسف يا أستاذ خالد بس مضطر انى اتحفظ عليك.. وده أمر روتينى وعادى جدًا.. المرة الأولانية كانت الأدلة ضدك ضعيفة.. بس المرة دى اسمح لى.. شخص واحد يبقى شاهد فى أقل من أسبوع على جريمتين قتل وكمان لأعز اصحابه.. ده بس بيحصل فى الروايات البوليسية اللى بيضحكوا بيها على الناس".

فحملق فيه خالد مختار وقد وضح عليه الغضب قائلًا:

"انت بتقول إيه يا فؤاد بيه؟!.. بتتهمنى بقتل أعز أصدقائى؟!.. أنا ماعملتش حاجة ومش شايف ان حظى السيئ اللى رمانى مرتين علشان ابقى أول واحد موجود فى مسرح الجريمتين سبب فى إنك تشكّ فيّا وتدينّى بقتلهم؟!.. أنا ماقبلش، والبلد مش سايبة".

– أنا آسف يا أستاذ خالد، بس صدقنى المناقشة مش هتغير حاجة، أنا خدت قرارى خلاص – قالها بجدية وحزم.

امتعض خالد مختار وهو يهز رأسه مستنكرًا ما يسمعه وقائلًا بغضب وانفعال:

"أظن طبعًا انى اقدر اتصل بالمحامى بتاعى ولّا دى كمان ممنوعة.. وانا مش هسكت على الإهانة دى.. أنا شخصية معروفة ومعروف مصداقيتها بين الكل، وليّا سمعتى اللى الدنيا باللّى عليها ماتساويش جنبها حاجة".

تركه فؤاد الأسيوطى لينضم إلى فريق البحث الجنائى قائلًا وهو يدير ظهره بلا مبالاة:

– اتصل باللى انت عايزه.

امتعض خالد مختار وهو يتمتم مستنكرًا بكلمات غير مفهومة، وأخرج هاتفه ليتصل بمحاميه..

- ٢ -

وقف خالد مختار فى مواجهة فؤاد الأسيوطى فى مكتب الأخير حيث كان كان فؤاد الأسيوطى فى هذه اللحظات جالسًا يقلب فى بعض الأوراق أمامه ويقرأ بعض الملاحظات الخاصة بالقضية، ثم نظر فجأة إلى خالد مختار وهو يقول:

"اقعد يا أستاذ خالد.. لسه يومنا طويل".

جلس خالد مختار بريبة وهو يتأمل فؤاد الأسيوطى، كان يشعر بأن بركانًا يثور فى عينيه، ولكنه حتى هذه اللحظة استطاع أن يكبح جموحه، وبعد برهة من الصمت قال فؤاد:

"يوسف أباظة اتقتل هو كمان.. يا ترى بقى انت شايف يوسف أباظة اتقتل ليه"؟

صمت خالد مختار للحظات حيث كانت الصدمة تستحوذ عليه ثم قال بصوت يعكس انهياره:

"أنا مابقتش فاهم أى حاجة بجد.. كل يوم واحد من صحابى بيتقتل.. أنا تعبان أوى ومش عارف اركز".

– ما هو انت لو مركزتش يا أستاذ خالد مش بعيد تبقى ضلع أساسى فى القضية.. أنا عايزك تهدى وتركز أوى وتقول لى إيه اللى حصل

بينك وبين يوسف أباظة فى التليفون بالظبط.

أطرق خالد مختار برأسه بشكل جانبى وكأنه يقلب فى ذكرياته، وبهدوء قال بعد لحظات:

"يوسف كان متوتر أوى.. أنا أول مرة اشوف يوسف كده.. كل اللى قاله "أنا عرفت القاتل يا خالد، وعايزك تكلم فؤاد الأسيوطى علشان يجيلى وافهّمه كل حاجة واكشف له القاتل".. ولما قلت له: طيب ما تروح له، قال لى "أنا متوتر أوى ومش قادر اركز فى حاجة ولا قادر حتى ادور على الكارت بتاعه.. يقصد الكارت بتاعك اللى انت ادّتهوله".. بس مش عارف ليه حسّيته خايف من حاجة هتحصله".

– قصدك خايف من القاتل يقتله لأنه كشفه؟

– مااعرفش صدقنى.. كل اللى اعرفه إنه كان متوتر أوى وخايف.

صمت فؤاد الأسيوطى للحظات ثم قال:

"قول لى يا أستاذ خالد.. ليلة قتل عماد عز الدين.. إيه اللى حصل تانى غير الخناقة؟.. أقصد خناقة عماد عز الدين وأشرف زيدان".

رمش خالد بعينيه كثيرًا وكأنه يحاول التذكر، وكان يهمس قائلاً "ليلة قتل عماد الدين"، ثم سرعان ما قال:

"مافيش اكتر من دردشتنا العادية"– وهزّ منكبيه.

– تمام أوى، ويا ترى فى الليلة دى ماجبتوش سيرة حاجة معينة لفتت انتباهك؟.. شوف يا أستاذ خالد أى معلومة انت شايفها تافهة ممكن تكون مهمة أوى بالنسبالى.. فعايزك تفتكر وبهدوء إيه اللى اتكلمتوا فيه بالظبط يومها.

– مواضيع عادية يا فؤاد بيه.. يعنى مثلًا مجدى مااتجوزش لحد دلوقتى وكنا بنلومه على تأخيره ده زى أى صحاب.. وموضوع زعل عماد من هند وخصوصًا انه على طول مزعّلها، غير بقى المواضيع الأدبية

والفنية اللى بنتكلم فيها على طول.

ساد الصمت للحظات كتب خلالها فؤاد الأسيوطى شيئًا أمامه ثم قال:

"هو صحيح مجدى ماالتجوزش ليه لحد دلوقتى"؟

- مانعرفش، بس هو مش عايز يتجوز.
- مافيش حد مش عايز يتجوز من غير سبب. إيه.. مابيعرفش مثلًا.. اعذرنى.. أصلها غريبة أوى.. يعنى مجدى ميسّر ماديًا ومعروف إلى حد ما، وبيشتغل شغل محترم، وناس كتير بتحبه، وعنده صحاب محترمين.. يعنى مش ناقصه حاجة ولا فى حاجة تعقده مثلًا من الجواز غير انه يكون مابيعرفش أو يمكن يكون من اياهم.
- إياهم؟!
- إياهم يا أستاذ خالد.. يعنى شاذ.
- إيه؟!!..لالالا.. إنت دماغك راحت بعيد.. هو بس متعقد من أيام الكلية بسبب قصة حب ماكملتش.

صمت فؤاد الأسيوطى للحظة وهو ينظر إلى خالد مختار بعيون متوهجة، حيث دار فى عقله بعض الذكريات خلال تحقيقاته، فابتسم ابتسامة باهتة ثم قال:

"هو للدرجادى الموضوع مأثر فيه ومخلّيه متعقد بعد كل السنين دى"؟

- الصراحة آه، وخصوصًا انها أدامه دايمًا.
- قصدك إيه؟
- مجدى كان مرتبط بهند الألفى قبل ما عماد يتجوزها.

نظر إليه فؤاد الأسيوطى حيث تفاجأ مما يسمع ثم قال:

"بس دى كانت أيام زمان.. لعب عيال يعنى.. وحب الجامعة اللى بيخلص بكلمة "ماينفعش" و"الظروف" و"غصب عنى"، وما اظنش ان

حاجة زى دى ممكن تأثر عليه لحد دلوقتى.. وبعدين لو كان الموضوع كبير كده كان عماد ماالتجوزهاش بما إنها كانت مرتبطة بصاحبه".

أخذ خالد مختار نفسًا عميقًا ثم قال:

"شوف يا فؤاد بيه.. الحكاية زى ما بتقول بالظبط.. بالنسبة لعماد كانت كده، وخصوصًا ان عماد كان عقله كبير وشايف انه عادى.. ده غير انه كان بيحبها من قبل ما مجدى يصرح لها بحبه، وارتبطوا فترة بتاع سنة أيام الجامعة وبعدين سابوا بعض.. وجه من بعده عماد واتقدم لها ووافقت واتخطبوا، وأول ما خلصنا جامعة اتجوزوا".

- طيب خلينا نفرض يا أستاذ خالد ان موضوع هند الألفى هو السبب فى عدم جوازه.. هل معقول عماد مش واخد باله من الحكاية دى؟!.. ماتنساش ان عماد شخصية ذكية وشكاكة جدًا، ولو كان شاكك فى مجدى الزينى للحظة واحدة كان بعده عن حياته.. صح ولّا انا غلطان؟
- عندك حق يا فؤاد بيه.. بس ماتنساش اننا صحاب أوى من قبل حتى ما نعرف هند، ومش بنفكر بالشكل ده.
- يعنى إيه؟
- يعنى الموضوع ده اتنسى من زمان أوى.. أنا متأكد من كده، وزى ما قلت حضرتك لو عماد شاكك كان بعد مجدى عن حياته.. الحكاية وما فيها انى أقرب واحد لمجدى وعارفه كويس ومن سنين.. هو لما بيشوف هند بيتعب وبحسّه ندمان انه سابها.. إحنا طبعًا مش بنتكلم فى حاجة زى دى احترامًا لعماد قبل أى حاجة ولهند كمان.. بس ده صاحبى واعرفه اكتر من أى حد.
- إم... تمام – وهزّ رأسه بالإيجاب ثم قال:

"يوسف أباظة ليه أعداء"؟

– أبدًا يا فؤاد بيه.. يوسف بالذات محبوب من الكل، وفى حاله وشغله وبس.

– طيب.. مين يشهد انك دخلت العمارة اللى ساكن فيها يوسف وقت ما انا وصلت.. مش يمكن تكون كلمتنى من عنده لما اتصلت بيا؟

– مش معقول هسحب فى إيدى شاهد يا فؤاد بيه علشان يثبت لك انى ماقتلتش صاحبى.

– ما هو برده يا أستاذ خالد احسبها انت معايا.. آخر واحد يشوف عماد عز الدين حى، وأول واحد يكتشف موته.. وآخر واحد يكلم يوسف أباظة، وأول واحد يكتشف موته.. ومافيش شهود إثبات تثبت عدم وجودك وقت ارتكاب الجريمتين.. لو انت مكانى هتعمل إيه؟

بدا خالد مختار يحرك شفتيه بشكل عصبى ويعض عليهما من فرط الغضب و لم يجد ما يقول، وسرعان ما سمع فؤاد الأسيوطى يقول:

"يا عسكرى.. خد المتهم ده على زنزانته.. معلش يا أستاذ خالد.. لا يوجد حل آخر"– قال جملته الأخيرة بنوع من السخرية وهو يشير بيديه بما يعنى أنه لا حيلة له..

شرع فؤاد الأسيوطى فى تدوين ملاحظاته، ولا نستطيع أن ننكر بأنه كان يشعر ببعض التفاؤل بعد التحقيق الأخير رغم مقتل يوسف أباظة الذى بدا غامضًا هو الآخر.. غموض يفوق غموض مقتل عماد عز الدين، وشرع يحدث نفسه فى هدوء:

"يوسف أباظة اتقتل لأنه عرف القاتل، سواء كان القاتل خالد مختار او غيره، المهم انه اتقتل لأنه عرف الحقيقة.. الواضح كمان ان يوسف أباظة كان متوتر جدًا وخايف بمجرد انه عرف القاتل.. إمم.. طيب أكيد القاتل

عرف ان يوسف أباظة كشفه، وبالتالى كان الحل الوحيد هو الخلاص منه نهائيًا.. معنى كده ان يوسف أباظة اتصل بالقاتل وواجهه، والقاتل ماكدّبش خبر وقتله علطول.. الواضح كمان ان القاتل يعرف يوسف أباظة كويس؛ لأن مافيش أى أثر لاقتحام، وبجانب ده يوسف مش هيفتح الباب لحد وهو خايف منه.. معنى كده ان فى عشم بين القاتل والمجنى عليه، أو على الأقل سابق معرفة.. أو يمكن يكون يوسف أباظة كلم الإنسان الغلط علشان يحكي له ومتخيل انه هيساعده، وبدل ما يساعده راح وقتله؛ لأنه القاتل الحقيقي.. أظن ان الحكاية مش هتطلع بره الدايرة دى، واظن إن الأمور بدئت توضح، بس فى حاجة الأول لازم اتأكد منها.. حاجة هتوضح كل شىء".

ثم قام بالاتصال بضابط المباحث هانى وأعطاه الرقم الخاص ليوسف أباظة وأمره بأن يتقصى عن جميع الأرقام التى اتصل بها يوسف قبل مقتله.

-٣-

رغم محاولات المباحث المستمرة بالضغط والترهيب على سعد صديق محمد عطية إلا أنه لم يفصح عن مكانه قائلًا أكثر من مرة "أنا آخر مرة شفته من كام يوم كده وهو معاه لمؤاخذة شنطة فيها هدومه، ولما سألته رايح فين يا محمد؟ قالى لقيت شغل فى دمياط وبتاع، وده - والله - كل اللى اعرفه يا باشا"، وحاولوا أيضًا أن يعرفوا منه مكان تواجد محمد عطية ليلة مقتل عماد عز الدين فقال: "مش فاكر"، ورغم وابل أساليب الضغط المختلفة التى استخدمتها المباحث إلا أنهم لم يستطيعوا الحصول منه على معلومة واحدة.

وعند استجواب أمه بهذا الشأن قالت: "أنا ست مريضة وقاعدة علطول فى السرير، ولا بروح ولا باجى، ده غير انى ماعرفلوش مواعيد شغل؛ لأنه علطول بيتنقل من شغلانة لشغلانة، ولو جه متأخر مش بيحاول يقلقنى علشان عارف انى تعبانة ونايمة".

ولكن كان هناك من يراقب كل شىء عن كثب ودون أن يغفل له رمش، إنهم رجال أدهم أبو العز الذين كانوا في انتظار خروج سعد من التحقيقات فاختطفوه فى سيارة وذهبوا به إلى أحد المخازن التابعة لمصانع أدهم أبو العز، وقد لاقى منهم أشد أنواع الهوان والضرب والعذاب؛ آملين أن يحصلوا منه على شىء واحد، و لم يكن سعد غبيًا على الإطلاق فقد كان يعلم جيدًا أنه فى

كل الأحوال.. سواء تكلم أو لا، فإن النهاية ستكون وخيمة ومهلكة.

وفى هذه الأثناء، رشق أحدهم لكمة قوية فى أنف سعد الذى كانت الدماء تسيل منه بلا توقف وكأنك تقف أمام دمية يلهو بها الأطفال فى عيد "الهالوين"، دمية كل ما ينقصها هو الحرق والرقص حولها احتفالًا بانتصارهم.

دخلت ثلاث سيارات جيب يتوسطها سيارة مرسيدس سوداء زجاجها لا يُظهر من فى الداخل ثم توقفت، ورغم أن قدرة سعد على الرؤية كانت صعبة للغاية من تأثير الضرب المتواصل والدماء التى غطت وجهه، إلا أنه استطاع أن يتكهن بالقادمين، نعم إنها المسيرة التى ستحدد لحظته الأخيرة فى الحياة.

ترجل أدهم أبو العز من السيارة وسار بخطوات واثقة للغاية وبعيون غامضة لا تحمل أى معنى، لم يكن طويلًا ولا قصيرًا، منتفخ البطن، عريض المنكبين، له شعر أسود خيمت عليه بعض الشعيرات البيضاء على الجانبين، يرتدى حلة سوداء كتلك التى تراها فى الأفلام البوليسية التقليدية، ولا أعلم لَمَ ذلك الملبس دائمًا؟! ولكنه يبدو الزى الرسمى لهذه الأفلام..

اقترب أدهم من سعد درويش بهدوء وجاءه أحدهم بكرسى فجلس عليه فى مواجهة سعد الذى كان مطأطئ الرأس من أثر الضرب، ومربوطًا إلى أحد الكراسى بحرفية، وكأن هذا الفأر يمكن أن يفر من هذه الأسود الضارية التى لم تجد سوى فأر كوجبة للعشاء، وبعد أن أشعل سيجارًا غليظًا قال مستنكرًا ومتعجبًا وهو ينظر إلى سعد:

"مش فاهم انا صحوبية إيه دى اللى تعمل فى صاحبها كده"؟!

وبعد لحظات كان أدهم أبو العز فيها يتأمل سعد الذى لم يرفع رأسه للحظة ولكنه كان مازال واعيًا قال:

"يا ابنى انت ميت.. ميت، فالأحسن ليك ولينا ماتتعبناش وتتعب نفسك معانا.. الوقت عمال يمر وانا مش فاضيلك انت وصاحبك.. بلاش تعمل

لى فيها بطل؛ لأن بيك هجيبه ومن غيرك هجيبه.. ها.. قولى بقى صاحبك فين"؟

والتفت ينظر إلى رجاله وهو يضحك ضحكة شريرة قد نفد صبرها، ولكن سعدًا لم يكن يعلم سوى شيئًا واحدًا بأنهم هم الآخرين يريدون معرفة مكان صديقه محمد عطية، ولكنه لم يكن يعرف السبب الحقيقى وراء بحث هؤلاء عنه، فقال بصعوبة بالغة وقد بدا صوته مكتومًا:

"ماأعر.. ماأعرفش".

فانحنى أدهم أبو العز تجاهه وهو ينصت إلى كلماته قائلًا بشكل مخيف:

"ها.. بتقول إيه يا بابا؟.. مش سامع..".

"فرفع سعد رأسه بصعوبة بالغة وهو يردد ثانية:

"ماأعرفش".

رفع أدهم أبو العز رأسه قليلًا وزفر زفرة طويلة وقد فاض الكيل به:

"لو انت مش عارف أمال مين اللى يعرف؟! انت ممكن تضحك على الحكومة وتصدقك.. لكن مش هتعرف تضحك عليا.. قول لى مكانه فين يا ابنى وانا اوعدك اني هسيبك حى.. وده وعد شرف منى".

نظر إليه سعد طويلًا وكأنه يفكر ثم ردد قائلًا:

"ماأعرفش حاجة.. ماأعرفش حاجة".

فنهض أدهم أبو العز من مجلسه غاضبًا وحدجه بنظرة حادة ثم انطلق ناحية السيارة وهو يقول:

"اقتلوه.. الظاهر مافيش فايدة منه".

فصرخ سعد قائلًا:

"لا.. لا.. هادلّكم على مكانه بس بشرط".

فالتفت أدهم أبو العز مرة أخرى ثم عاد إليه ووقف أمامه قائلًا:

"إنت كمان هتتشرط يا روح امك.. أظن انك فى وضع ماينفعش تتشرط فيه، بس عمومًا قول اللى عندك".

– أنا عايز حقى فى العملية دى.

صمت أدهم أبو العز للحظة ثم قال:

"إم.. هديك اللى انت عايزه".

– عايز أرنب..

فاتجه أدهم أبو العز نحو سيارته مرة أخرى وهو يقول:

"هديهولك يا سعد بس بشرط يكون محمد صاحبك بين إيديّا النهارده وحىّ.. ولو ماعملتش اللى بقولك عليه يا سعد وحياة امك لاكون قاتلك انت وهو وأهاليكوا كمان.. وافتكر ان الفلوس فى انتظارك.. بس اعمل اللى عليك".

وقبل أن يغادر أعطى بعض الأوامر لعدد من رجاله وانطلق فى طريقه مرة أخرى.

-٤-

وصلت قوة من الشرطة تحت منزل هند الألفى، وترجل من سيارة الشرطة فؤاد الأسيوطى وتبعه العديد من رجال الأمن، وحين وصلوا أمام الشقة دق الباب، ففتحت دعاء فوجدت فؤاد الأسيوطى واقفًا أمامها وقد وضحت ملامح جادة وحادة على وجهه، وسرعان ما قال:

"عندنا أمر بالقبض على مدام هند الألفى".

فتقوّضت ملامحها من هول المفاجأة وصدرت عنها صرخة مكتومة وهى تقول:

"إنت بتقول إيه؟!.. ليه؟! هى هند عملت إيه علشان تقبضوا عليها"؟!

وسرعان ما جاءت هند مهرولة على صوت أختها وهى تقول:

"فى إيه يا دعاء؟! فى إيه يا فؤاد بيه"؟!

– عندنا أمر بالقبض عليكى يا مدام هند.

– إيه؟ – قالتها بعيون جاحظة غير مدركة لما يقول.

و لم تستفق إلا وهى فى عربة الشرطة ورجال الأمن يحاصرونها من كل جانب، وحينما وصلت إلى قسم الشرطة أجلسها فؤاد بكل هدوء ثم قال لها:

"إزيك يا مدام هند.. عاملة إيه؟.. إحنا مش عايزين نضيّع وقت بعض، فياريت تكونى صريحة معايا فى كل حاجة".

– أنا مش فاهمة أنا هنا ليه أساسًا، ومش فاهمة ليه قبضتوا عليا.

– معقول يا مدام هند مش فاهمة ليه اتقبض عليكى؟ إنتى متهمة يا هانم بقتل جوزك وقتل يوسف أباظة.

– إيه.. إنت بتقول إيه؟

– أقول لك يا هانم بقول إيه.. أولًا آخر حدّ اتصل بيه يوسف أباظة قبل قتله بالظبط كان انتى بس وخالد مختار.. وواضح كمان ان علاقتك القديمة عماد مانسيهاش، ومن كتر معاملته السيئة ليكى مااتحملتيش وقتلتيه، ولما يوسف كلمك وقال لك انه عرف القاتل.. وعلى ما يبدو انه كان بيكلمك بحسن نية لأنه مش متخيل ان هند البريئة الطيبة والمقهورة هى اللى قتلت جوزها.. رحتى وقتلتيه هو كمان ببرود اعصاب.. مش دى الحكاية يا هند هانم؟

– لأ طبعًا – قالتها بتوتر وحدة.

– أمال إيه.. تفسرى بإيه قتل يوسف أباظة بعد ما كلّمك وبعد ما قال لك انه عرف القاتل؟

– يوسف فعلًا كلمنى وقال لى انه عرف القاتل واننا لازم نتقابل علشان نشوف هنعمل إيه، ولأنه كمان ماكانش متأكد..

– حد سمعك وانتى بتكلميه؟

– مجدى الزينى كان قاعد، بس كلامى ماكانش واضح بكلم مين ولا بقول إيه.

– مجدى كان قاعد؟!

– أيوه كان جاى يعزينى.

– متأكدة انه معرفش انتى بتكلمى مين؟

– أيوه متأكدة.

- طيب حكيتى لحد تانى عن المكالمة دى؟
- ماما وأختى دعاء.
- وإيه اللى قالهولك بالظبط؟
- كل اللى قاله ليا انه شاكك فى حد معين بس مقالش أسماء، وكان عايزنا نتقابل علشان نتناقش، لكن والله انا لا قتلته ولا قتلت عماد.
- وعلاقتك بمجدى الزينى قبل الجواز وكره عماد ومعاملته السيئة ليكى بسبب ومن غير سبب.. تفسريها بإيه؟

ذهلت هند فى هذه اللحظات مما يقوله فؤاد الأسيوطى؛ فلم تتخيل ولو للحظة أن يكون على علم بهذه المعلومة، كان فؤاد الأسيوطى يواجهها بحدّة بالجرائم التى ارتكبتها ولكنها لم تكن تسمعه على الإطلاق بل كانت فى عالم آخر، عالم الماضى اللعين الذى ظل شبحًا يطاردها طول حياتها، وفجأة انتبهت من غفوتها حين سمعت فؤاد الأسيوطى يقول:

"المسدس جبتيه منين يا هند؟.. اعترافك ممكن يدعم موقفك فى المحكمة".

فنظرت إليه لوهلة قصيرة ثم قالت:

"أنا ومجدى كنا مرتبطين ببعض.. علاقة محترمة زى أى علاقة بين اتنين، كنت بحبه أوى أوى وماكنتش شايفة حد غيره رغم انى كنت عارفة ان عماد بيحبنى.. بس القلب وما يهوى.. وفى يوم اسود كنا خارجين سوا وحصل اللى حصل فى شقتهم، وبعدها مجدى بدأ يتهرب منى، وكل شوية يقول لى ماتقلقيش هتجوزك، لحد ما زهقت ومابقتش عارفة اعمل إيه، ووقتها عماد كان بيحاول يتقرب منى على أد ما يقدر، رغم انه كان عارف انى بحب مجدى.. ولما قلت لمجدى لقيت رد فعله غريب أوى وقال لى اننا مش هنقدر نكمّل مع بعض، وان ظروفه ماتسمحش بالجواز دلوقتى، وللأسف بقيت بين نارين، وسبت مجدى وبقيت مرعوبة من اللى جاى، ووقتها ماكانش أدامى أى حجة ارفض بيها عماد اللى كان مستعجل، وبعدها اتجوزنا واكتشف

انى مش بـ.. ب.. بنت، وطبعًا الحكاية ماكانتش محتاجة ذكاء علشان يعرف مين اللى عمل كده، وستر عليا ومافضحنيش، بس ماقدرش يكتم غضبه اللى اتحوّل بعد كده لكره ليا ولمجدى".

وسكتت للحظات وهى تكفكف دمعها ثم قالت:

"عماد ماكانش وحش زى ما الناس متخيلة.. وانا عمرى ما فكرت انى أأذيه لا من بعيد ولا من قريب.. إزاى هأذى اللى ستر عليا.. وكنت بستحمل أى حاجة بيعملها فيّا.. ويمكن ده السبب اللى ناس كتير مستغربة بسببه.. وبتسأل انا ازاى مكملة معاه رغم كل اللى بيعمله فيا"!

تنهد فؤاد الأسيوطى تنهيدة طويلة ثم قال:

"طيب بعد ما عرف.. إزاى بَقى على مجدى من ضمن صحابه"؟!

- عماد كان شكاك أوى، وكان شايف ان وجود مجدى أدام عينيه أحسن مليون مرة من إنه يكون بعيد عنه، وكان علطول بيضايقه وبيحاربه فى شغله لحد ما تقريبا مجدى مابقاش موجود فى الصورة.. تقدر تقول انه قضى عليه ككاتب وكإنسان كمان.
- طيب.. وإيه اللى يخلى مجدى يستحمل ده كله؟
- ماعرفش بس أكيد مجدى حس ان عماد عرف اللى حصل بينى وبين مجدى.. وبكده مجدى خان صداقته فمكنش قادر يتكلم..
- لأ فى حاجة تانية؟
- إيه..
- إن مجدى لسه بيحبك وعلشان كده مستحمل رزالة عماد، وإلا ليه مجدى لحد دلوقتى ماتجوزش؟!
- مش عارفة بس والله انا ما قتلتش حد، وبعدين مجدى بالنسبالى شخص عديم الضمير.

- تقدرى تروحى يا هند هانم.
- إيه؟!
- زى ما بقول لك كده.. تقدرى تروحى.
- مش فاهمة حاجة!
- إنتى ماكانتش مقبوض عليكى ولا حاجة، بس الاعترافات بتاعتك دى ماكانتش هتطلع غير بالشكل ده.. اعذرينى.. أنا بشوف شغلى.

حاولت هند أن تعبر عن غضبها بشتى الطرق، ولكنها شعرت بأن هناك شيئًا يلجم فمها، فآثرت الصمت وهى تنظر إليه بعينين تقذفان شررًا، أما هو فكان فى هذه اللحظات يجلس باردًا يطالع بعض الأوراق أمامه دون أدنى اهتمام.

خرجت هند تجر ساقيها غير مصدقة لما جرى، بينما رفع فؤاد الأسيوطى رأسه مبتسمًا ابتسامة غامضة وهو يهز رأسه بهدوء.

- ٥ -

كانت دعاء فى هذه اللحظات فى حالة مزرية للغاية، تبكى بعنف هستيرى، مطأطأة الرأس، وجهها محمر كسيخ احترق فى بؤرة من نار، ويقف فى مواجهتها مجدى الزينى صامتًا لا يعلم ماذا يفعل أمام هذا المشهد، متوجسًا وقلقًا للغاية ومقتضبًا أيضًا، هكذا كانت تبدو ملامحه، كان يشعر بأن أية كلمة لن تحل شيئًا بل ستزيد الأمر سوءًا، كان ما يجب عليه فى هذه اللحظات هو مجرد الصمت؛ حيث إنه الحل الوحيد فى مثل هذا المواقف، وبعد دقيقة تقريبًا مرت كعام رفعت دعاء رأسها ونظرت إليه بعينيها المحمرتين ولونهما الأبيض الذى تحول للأحمر من شدة البكاء وقالت له:

"أنا مش عارفة بأى حق كده دايمًا كده بتقرر مصيرى، وفى كل مرة بسمع الكلام زى العبدة على أمل انك تفهم إنى بعمل كده مش علشان أنا ضعيفة.. أبدًا يا مجدى.. لازم تفهم انى بعمل كده بس لأنى بحبك".

ولم يعرها جوابًا بل ظل صامتًا وقد أشاح بوجهه قليلًا ممتعضًا وكأنه لم يعجبه الكلام، بينما استرسلت في حديثها وهى تنهض من مجلسها:

"أنا عايزة افهم دلوقتى.. اللى بينا ده هيفضل سر لحد إمتى؟!.. لامتى يا مجدى؟! فهّمنى"!

- ماعرفش يا دعاء.
- ومين اللي يعرف إن شاء الله؟!
- كل اللى أعرفه ان الوقت مش مناسب دلوقتى يا دعاء - قالها بعصبية وهو يعطى ظهره لها.
- ويا ترى بقى إيه هو الوقت المناسب؟ ها.. قول لى.. جاوبنى يا مجدى.. إيه هو الوقت المناسب؟!.. ما انت مش فى مكانى.. وبصراحة انا مابقتش فاهمة انا إيه بالظبط!.. اللى بعمله ده صح ولا غلط؟!.. انا مابقتش طايقة ابصّ لوشّى فى المراية.. كرهت نفسى.. أنا خلاص بقيت خاطية.. اللى بنعمله ده حلال ولا حرام؟!.. إحنا مابيجمعناش غير السرير - وصمتت للحظة ثم أردفت تقول بعصبية:

"أنا مابقتش احس بيك وانت فى حضنى.. بصراحة بقيت حاسة انى مجرد بت وسخة بتفكّرك بذكريات زمان".

فاحتدم وجهه وهو يستدير نحوها قائلًا:

"إنتى بتقولى إيه"؟!

- بقولك اللى كان لازم يتقال من زمان يا مجدى.. بقول اللى حابساه بين ضلوعى وبتعذب بسببه كل يوم وانت ولا حاسس بأى حاجة.. أقول لك انك بتدوّب جسمك فى صورة ذكرى.. ذكرى شايفها فيّا يا مجدى.
- بالله عليكى كفاية يا دعاء، الموضوع مش زى ما انتى فاهمة خالص.
- طيب إيه هو الموضوع يا مجدى؟!.. ده انت رافض الاعتراف بيّا.. يا ترى هترفض الاعتراف باللى فى بطنى كمان؟!

كان الذهول المصحوب بالمفاجأة يخيم على كل ملامح مجدى الزينى، شعر وكأن الأرض تبتلعه، غاب عن الوعى للحظات وغاص فى أفكاره،

أفكار مشتتة متناقضة، نعم كانت مخيفة، فلم يتخيل للحظة أن يصل الأمر إلى هذه الصورة، طالع ذكرياته بألم وخوف معًا، شعر بالاستياء، وفجأة انتزعه من كل ذلك صوت دعاء التى كانت تتكلم دون توقف، فسمعها تقول فى هذه اللحظة:

"سكوتك ده مش معناه غير حاجة واحدة بس".

فنظر إليها دون وعى ولم يتفوه بكلمة؛ حيث كانت الأفكار مازالت مسيطرة على رأسه، فأردفت قائلة:

"بس انا مش هسكت يا مجدى.. فاهم".

فاستفاق من شروده قائلًا وهو يبتسم ابتسامة غريبة:

"دعاء.. إنتى بجد حامل، يعنى انا هبقى أب".

فنظرت إليه ولم يعنها أى شىء آخر فى ملامحه ثم ابتسمت وهى دامعة العينين:

"أيوه هتبقى أب.. وأنا هبقى أم".

ساد الصمت للحظات وهو يحتضنها ثم قال:

"لازم فى أقرب فرصة نعلن جوازنا، بس لازم نرتب الأمور الأول".

فمالت بصدرها للخلف وهى تنظر له بريبة:

"يعنى إيه نرتب الأمور؟! وأمور إيه اللى بتتكلم عنها؟!.. الموضوع مش محتاج ترتيب يا مجدى.. أنا حامل انت مش فاهم ولا إيه؟!.. إنت مش حاسس بالمصيبة اللى انا فيها"؟!

فقال وهو يفك ذراعيه عنها:

"بس الموضوع مش سهل زى ما انتى متخيلة يا دعاء".

فانكمش ما بين عينيها وكأنها تحاول أن تفهم ثم قالت:

"مش فاهمة.. يعنى إيه"؟!

- أنا مش قصدى حاجة بس الموضوع محتاج شوية وقت، وخصوصًا فى الظروف اللى احنا فيها دى

فقالت غاضبة وبطريقة حادة وهى تشير بسبابتها فى وجهه:

"إسمع بقى اللى هقولهولك ده، إنت ممكن تخدع أى بنى آدم فى الدنيا بس مش هتعرف تخدعنى يا مجدى وانت عارف ده كويس أوى.. وخليك عارف كويس انى مش هسيب حقى فى الاعتراف بالطفل اللى فى بطنى ده.. إخرس واسمعنى كويس.. أنا الشيطان نفسه لما بيغضب، واظن ان دى كمان انت عارفها.. أنا معايا ورقة جوازنا العرفى وعايزاك تتخيل بقى الفضايح اللى هتبقى على عينك يا تاجر.. ده غير انى ممكن ادخّلك السجن وده مش صعب.. إياك تلعب بيا يا مجدى.. أنا مش ذكرياتك.. أنا الحاضر بتاعك ومستقبلك كمان.. سواء قبلت ده أو رفضته.. أدامك أسبوع تحدد فيه مصيرك.. ياإما تنقذ نفسك، ياإما تستنى بقى السجن والفضايح.. فاهم.. السجن يا مجدى".

فنظر لها وهو يحاول أن يتفوه بكلمة ولكنها لم تعط له الفرصة وهى تنتشل حقيبة يدها من على إحدى الأرائك، وسرعان ما صفعت الباب خلفها وتركته وحيدًا تنهشه أفكاره، وبعد لحظات من الذهول حاول جاهدا أن يجمع شتات نفسه وفكر: "إيه الحظ الوسخ ده بس؟!، مش فاهم بجد إيه اللى وقّعنى فى ده كله؟! أنا كان ناقصنى المشكلة دى كمان؟!.. إن كيدهن عظيم.. كل واحدة فى الأول تعمل ضعيفة وغلبانة لحد ما تتمكن من اللى هى عايزاه.. وآه لو فكرنا نخدعهم.. يحرقوا بينا الدنيا من غير تفكير ولا رحمة.. بقى هى دعاء بتاعة الحريات؟!.. مش دى دعاء اللى مابتخافش من الناس ولا فارق معاها حد؟!.. مش دى اللى مش مؤمنة بأى دين؟!.. دى ملحدة.. دى بتعتبر ان الدين ضعف.. مش ده كان تفكيرها برده؟!..

فجأة كده بقت بتتكلم عن الخطيئة والحلال والحرام!.. وفجأة برده بقت خايفة من ربنا!.. مش دى اللى كانت بتقول ان الإنسان لازم يشتغل ويتعب علشان يحقق اللى هو عايزه ومافيش حاجة اسمها الانسان مسيّر؟!.. وان الإنسان مخيّر فى كل حاجة.. إمم.. يعنى كانت لابسه توب واحدة ساقطة علشان توصل لى.. يلعن أبو النسوان كلها.. كلهم مش بييجى من وراهم غير المشاكل والأرف.. ماشى يا دعاء.. ده انا اخترتك انتى بالذات لأنك بتحبينى بجد ومتمسكة بيا..

خليك صريح مع نفسك شوية يا مجدى.. إنت عارف كويس أوى انك كنت واخد دعاء جسر علشان تحقق بيها اللى انت عايزه.. مش هنكر انها بتفكرنى بكل حاجة فى هند اللى مش عارف اخلص منها ومن حبها.. هند اللى بغباوتى اتنازلت عنها..

أنا عارف كويس أوى ان رقم اتنين وتلاتة واربعة كلهم بييجوا بعد رقم واحد.. وأى رقم بييجى بعد رقم واحد بالنسبالى هو الرقم الأخير، وانا دايمًا الأخير فى كل حاجة.. الأخير فى حياتى، والأخير فى شغلى.. ودايمًا بتنازل لحد ما بقت حياتى سلسلة تنازلات.. أنا بقيت حاسس انى مجرد حجر فى وسط بركة ميه.. كل اللى عايز يعدى لازم يدوسه الأول علشان مايقعش.. ودلوقتى إيه اللى جاى؟!.. حتة بت مستهترة سابت نفسها للشيطان جاية تقضى على اللى باقى منى.. بس إيه العمل؟!.. هتتصرف ازاى يا مجدى؟!.. هتخرج من الورطة دى ازاى؟!.. إزااى؟".

-٦-

كانت الشرطة فى هذا التوقيت تكثف جهودها فى جميع الاتجاهات بلا توقف، وقد شعر فؤاد الأسيوطى بأن هناك أشياء لا بد من فهمها حتى يمكن الوصول إلى أطراف الخيوط التى تحل ألغازها المعقدة، واكتفى باتهام خالد مختار وفى انتظار استجواب أشرف زيدان الذى تم القبض عليه بعد اكتشاف جثة يوسف أباظة بساعة ونصف تقريبًا، كان قد عاد ليلة الجريمة الثانية، ولكن فؤاد الأسيوطى كان يدرك جيدًا أنها لم تكن جريمة ثانية بل استكمالًا للجريمة الأولى، ويعلم جيدًا أن هناك رابطًا قويًّا بين الجريمتين، كانت إفادة هند فيما يخص القضية هامة جدًّا ومفاجئة إلى حد ما؛ فلم يعد فؤاد الأسيوطى بعد تلك الأيام الماضية يتعجب كثيرًا كلما سقط قناع من أقنعة أبطال قضيته المشؤومة التى يغلفها الغموض.

كان يفكر: "خالد مختار اتصل بيا علشان يقول لى ان يوسف أباظة عرف القاتل، وفى الآخر يوسف أباظة اتقتل بالطريقة نفسها وبالسلاح نفسه اللى اتقتل بيه عماد عز الدين.. مسدس ٩ ملّى.. معنى كده ان القاتل مش بعيد وعارف خطوات الكل كويس أوى ودارسها كمان.. ده على اعتبار ان القاتل مش خالد مختار رغم شكى فى الحكاية دى.. خالد مختار ماعندوش أى دافع لقتل عماد أو يوسف.. يا ترى مين؟ يا ترى الأوراق ليها صلة باللى بيحصل

ده كله؟! واشمعنى الأوراق بس اللى اتسرقت من الشقة؟! يا ترى محمد عطية كان فعلًا أداة..؟! فى خيوط لازم تترابط ببعض.. لو حسبتها بالعقل هلاقى القاتل أدامى وواضح، بس لما باجى اراجع تفكيرى واربطه بالأوراق بلاقى الموضوع بيزيد صعوبة وغموض.. عمومًا هانت وكل شىء هيوضح قريب أوى".

دق جرس هاتف فؤاد الأسيوطى فى هذه اللحظات:

"ألو".

- أنا ماقتلتش حد.
- مين معايا؟!
- أنا محمد عطية المتهم بقتل عماد عز الدين، ومش بعيد كمان اكون متهم بقتل يوسف أباظة.

جمع فؤاد الأسيوطى أفكاره و لم يعنيه كيفية حصول محمد على رقمه الخاص للحظات ثم قال:

"إنت فين يا محمد؟ ولو انت فعلًا ماقتلتش.. ليه هربان"؟!

تنهد محمد تنهيدة مريرة ثم قال:

- أنا شاب عادى جدًّا مافيش حيلته أى حاجة، وقّعته ظروفه السودة فى الكارثة دى، وكل اللى كنت بدوّر عليه تكاليف عملية امى العيانة اللى بتموت كل يوم أدام عينيا.. وانا واقف متكتّف وبتفرّج عليها ومش عارف اعمل لها أى حاجة.. اللى زيّنا يا فؤاد بيه اتخلقوا علشان يتفرجوا على الدنيا من بره بس.. ومش مسموح لهم انهم يشاركوا فى المسرحية الكبيرة اللى اسمها الدنيا.. إحنا اللى بندفع التمن علشان غيرنا يتسلى.. واحنا علينا نسقفلهم بعد ما ندفع التمن، ومش مهم بقى المسرحية تعجبنا ولّا لأ.

- أفهم من كلامك ده انك قررت تشارك فى المسرحية ويبقالك دور.. ودور كبير كمان.. الحكاية كده بقى؟
- ماتظلمنيش يا فؤاد بيه.. أنا ماقتلتش حد.. والله العظيم ما قتلت حد.. كل الحكاية انى سرقت صندوق مجوهرات مافيش فيه أى مجوهرات.

صمت فؤاد الأسيوطى للحظات وأمسك بقلم ووضعه فى حالة الاستعداد على إحدى الأوراق أمامه ثم قال:

"الأوراق اللى معاك فيها إيه يا محمد؟!.. أنا اقدر اخلّصك من ده كله بس ساعدنى علشان اقدر اساعدك".

- أنا مايهمنيش اخلص من اللى انا فيه.. أنا كل اللى يهمنى انى اكون برىء أدام أى حد وخصوصًا منكم انتم يا رجالة الحكومة.. نفسى تكون زمّتى بريئة أدام أى حد علشان لو حصل لى أى حاجة.
- وإيه اللى مخلّيك تقول كده.. يحصل لك حاجة ليه يعنى؟!
- المهم.. انت مصدّق انى ماقتلتش؟

صمت فؤاد الأسيوطى لوهلة ثم قال بصوت هادئ متردد:

"أيوه.. مصدقك".

- إنت فكّرت قبل ما ترد يا فؤاد بيه.. يعنى بتلعب بيّا ومش مصدقنى.. إنت زيك زيهم.. ماتفرقش عنهم فى حاجة.. مع إنهم قالوا لى إنك غير كل رجالة الحكومة.. راجل بتدوّر على الحقيقة مهما كلفتك.. حتى لو كلفك الوصول ليها حياتك.. الظاهر انى كنت غلطان.
- يا محمد.. الحكاية مش زى ما انت فاهم..

و لم يكمل فؤاد الأسيوطى كلماته حتى انقطع الخط فشرد للحظات، وسرعان ما عاود الاتصال بالرقم نفسه فوجد الهاتف مغلقًا و لم يحاول أن

ينادى أحدهم للتقصى عن صاحب الرقم؛ لأنه يعلم جيدًا أن الرقم بلا عقد؛ فمثل هؤلاء دائمًا لا يمكن أن تفوتهم تفصيلة كهذه، وشرع يفكر مرة أخرى فى هذه المحادثة غير المتوقعة على الإطلاق، فعندما أخبره محمد ببراءته كان يصدقه ولا يعرف لمَ!، فإن حدسه لم يكذبه قطّ و لم يخطئ مسعاه يومًا، بل كان دليله دائمًا لفك شفرات الغموض فى كل جريمة كانت تواجهه، هناك شيء ضائع من هذه الدائرة التي لم تكتمل بعد، أدرك فؤاد الأسيوطى أن اللعبة تكبر يومًا بعد يوم، والدائرة تتسع لتشمل العديد من الأحداث والشخصيات، فخرجت القصة كاملة عن عالم الرواية، وصارت مجرد آلة حادة تتخبط فى حجر لا يمكن أن يلين تحت أية قوة وأى ضغط. ولعن غباءه حيث لم يستطع الحصول على معلومة واحدة تفك شفرة من شفرات قضيته المعقدة، ولكنه فى قرارة نفسه كان يعلم أنه اهتدى إلى طريق ما وكان يؤمن بلا سبب أو دافع بأن محمدًا سيتصل به ثانية، ربما كانت حاسته سببًا وراء هذا الإيمان غير المبرر.

-٧-

"أهلًا يا أستاذ أشرف".

– أهلًا يا فؤاد بيه.

– كنت اتمنى اننا نتقابل فى ظروف أحسن من كده.. لكن ما باليد حيلة.

ابتسم أشرف زيدان ابتسامة عصبية دون أن يرد على فؤاد الأسيوطى بكلمة بينما قال الأخير:

"إنت عارف طبعًا انت هنا ليه"؟

– طبعًا عارف، بسبب قتل الزميل عماد عز الدين.

– ويوسف أباظه كمان..

جحظت عينى أشرف زيدان حيث وضحت عليه الصدمة حيث بدا جاهلا بأمر مقتل يوسف أباظة، بينما قال فؤاد الأسيوطى الذى لم يهتم كثيرًا بتعبيرات أشرف زيدان:

– بس من اللى اعرفه يا أستاذ أشرف ان عماد عز الدين بالنسبالك ماكانش زميل وبس.. ده كان تقريبًا المنافس الوحيد ليك..

– ده شىء عادى.. المنافسة دايمًا بتكون بين الزملا أو أبناء المهنة الواحدة،أما الحرب فبتكون بس بين الأعداء.

– واظن برده ان التهديد بيكون بس بين الأعداء؟! صح ولّا انا غلطان؟

– قصدك إيه؟! – قالها بدهشة.

– قصدى انك هددت عماد عز الدين ليلة قتله؟! – قالها بنبرة متحدية وحادة.

– أنا ماهددتوش.. انا كنت بردّ على عجرفته وقلة أدبه اللى مالهاش حدود.. الله يرحمه بقى.. وبعدين الحكاية دى بتحصل عادى يعنى فى أى موقف بالشكل ده.. وانت عارف الموضوع ده كويس يا فؤاد بيه.. وفى الآخر كله كلام.. مش أكتر من كلام بيخرج ساعة غضب من غير ما نحسّ.. وبعدين انا مش غبى أوى كده.. هو فى بنى آدم فى الدنيا بيهدد حدّ وبعدين يروح يقتله علطول؟!

– كل شىء وارد.. نسبة كبيرة أوى من التهديدات دى بتصدق..

– ما اظنش يا فؤاد بيه، وخصوصًا لو الحكاية مرتبطة بالقتل.. وإلا بقى كنا عشنا فى غابة.. كل واحد قال له كلمتين فى وقت غضب بقى متهم بجريمة قتل.

– إنت عندك سلاح شخصى؟

نظر إليه أشرف زيدان بتأمل وهو يخلع عويناته السوداء التى تضفى عليه نوعًا من الوقار ثم قال:

"أيوه".

– نوعه إيه؟

– مسدس عيار تسعة..

– ٩ ملّى يعنى؟

– أيوه.

– استخدمته قبل كده؟

- لا أبدًا، عمرى ما استخدمته..
- ومحتفظ بيه فين..؟
- ليّا شقة فى اسكندرية.. سايبه هناك فيها.
- مفهوم.. إنت آخر مرة رحت اسكندرية إمتى؟
- من حوالى تلت أسابيع تقريبًا.
- إنت إمتى مشيت من القهوة ليلة قتل عماد عز الدين؟
- حوالى الساعة اتناشر وربع بعد نص الليل.
- وكنت فين ليلة الحادثة؟
- خرجت علطول بعد خناقتى مع عماد.
- أيوه يعنى رحت فين؟
- روّحت البيت – قالها بتردد.
- قصدك الفيلا؟!
- بالظبط كده.
- يا ترى فيه حد يشهد على كده؟
- ما اظنش.. البواب كان نايم لما رجعت، والمدام كمان كانت نايمة.
- ماحصلش أى حاجة غريبة ليلة الحادثة؟ أو قبلها مثلًا.. لو تفهم انا اقصد إيه؟ أصلها غريبة.. إيه السبب اللى خلّاك تدخل فى خناقة مع المجنى عليه ليلة الحادثة.. أكيد فيه سبب – وأشعل لفافة تبغ وهو يقول:
- أصل مش معقول هتروح القهوة وتدخل علطول على عماد عز الدين، وفجأة توجه له الكلمات دى من غير سبب.. وبعدين يرد عليك بطريقته المعروفة.. فترد عليه انت بعصبية وتهدده.. فى حاجة مش فاهمها.

لم يتفوّه أشرف زيدان بكلمة ثم قال بعد لحظات من التفكير:

"أيوه.. فى حاجة حصلت".

فانحنى فؤاد الأسيوطى بعيون لامعة وهو يقول:

"إيه هى بقى الحاجة دى"؟

- أنا جانى اتصال ليلة الحادثة.. حوالى الساعة ١١ بالليل.
- من مين؟
- ماقالش اسمه.
- وقال لك إيه؟
- قال لى حاجات كتيرة ودقيقة جدًا عن أفكار كتبتها قبل كده فى مفكرتى، وكنت ناوى اكتب عنها فى الفترة اللى جاية.. الغريبة إنه قالها بالتفصيل.. وقال لى ان عماد عز الدين ناوى يكتب من خلال نفس الأفكار دى وبنفس النص والطريقة تقريبًا.. أنا دايمًا بسجّل أفكارى فى مفكرة خاصة بيّا.. معظم الكتاب والصحفيين بيعملوا كده.. المشكلة بقى ان المفكرة دى اتسرقت من حوالى شهر ونص..
- وازاى اتأكدت ان عماد هو اللى سرقها؟
- بصراحة ماكنتش مصدقه، بس كلامه كان منطقى، وده اللى خلّانى بسرعة ابصّ فى الجرنال اللى بيكتب فيه عماد.. وقريت خبر بيقول "انتظروا تحقيق صحفى عن الفساد الإدارى يجريه الصحفى الكبير عماد عز الدين"، وده التحقيق اللى انا شغّال عليه دلوقتى.. لأن بعد ما اتسرقت المفكرة قعدْت بسرعة وجمعت أفكارى وحاولت افتكر اللى كنت كاتبه فيها.
- وازّاى اتسرقت منك؟
- كنت فى محل بشترى علبة سجاير.. وحطيت شنطتى جنبى علشان

اطلّع فلوس احاسب بيها صاحب المحل.. وبعد ما حاسبته بمد إيدى اخد الشنطة.. مالقتهاش.. والمشكلة ان المحل كان زحمه..

– وكان إمتى الكلام ده بالظبط؟

– زى ما قلت لحضرتك من شهر ونص.

– أفهم من كده انك رحت لعماد وانت متنرفز وعصبى، وقررت انك تواجهه؟

– أيوه..

– وإيه اللى حصل؟

– بصراحة فى الأول ماكانش عندى الجرأة الكافية انى اتكلّم معاه فى حاجة زى كده ادام الناس.. أنا بطبعى مابحبش الفضايح.. ولو ان عماد كان يستاهل.. المهم انا كنت عارف كويس أوى انه بيتردد على القهوة دى، ولما دخلت ولقيته قاعد فى وسط صحابه اللى اعرفهم كلهم معرفة شخصية.. قررت انى اأجل الموضوع للصبح.. بس للأسف طريقته فى الكلام هى اللى خلّتنى اقول له كده.. وخصوصًا انى كنت متعصّب جدًا بسّ انا مسكت أعصابى بالعافية ومشيت..

– بس انت مش عارف طبعًا ان القاتل استخدم مسدس ٩ ملّى فى قتل عماد؟ وان القاتل ماسرقش غير شوية أوراق، ومش بعيد تكون مفكرتك مع الأوراق دى.. عمومًا الكلام اللى بتقوله ده كلام مهم جدًا – وصمت للحظات وقد نفذت عيناه وهو ينظر بتحد إلى أشرف زيدان، ثم قال بهدوء وثقة:

"والمفاجأة بقى ان يوسف أباظة اتقتل بنفس السلاح اللى اتقتل بيه عماد عز الدين"!!

صمت لوهلة وهو ينظر إلى أشرف زيدان الذى بدا واجمًا غير مصدق لما يقوله فؤاد الأسيوطى، الذي أكمل:

"مش صعب عليك تثبت انك كنت فى البيت.. على حدّ اعترافك.. بتقول ان البواب كان نايم والمدام كمان كانت نايمة.. بس بقى اللى انا متأكد منه.. إنك ماكنتش فى البيت تحديدًا فى التوقيت اللى اتقتل فيه عماد عز الدين.. والسؤال اللى بيلحّ عليّا دلوقتى.. إيه اللى رجّعك ليلة قتل يوسف أباظة بالذات.. ده لو ماكنتش انت اللى قتلته؟!.. رغم إنه كان باقى يوم على الأقل علشان ترجع القاهرة يا أستاذ أشرف!.. إحنا عرفنا من المجموعة اللى كانت مرافقة ليك فى الأقصر انك فجأة قررت انك ترجع لأمر مهم.. يا ترى بقى يوسف أباظة كلّمك وواجهك بقتل عماد عز الدين فرجعت بسرعة علشان تلحق نفسك وتمسح أى دليل يدينك..؟!.. أظن ان الحكاية كده.

– إنت بتقول إيه ؟! – قالها بحدة.

– إنت متهم بقتل عماد عز الدين ويوسف أباظة.. كل الشواهد ضدك يا أستاذ أشرف.

– مستحيل إنى اعمل حاجة زى كده.. مستحيل – قالها منهارًا.

– مافيش فايدة يا أستاذ أشرف.. تقدر تجيب شاهد إثبات على وجودك فى البيت ليلة قتل عماد عز الدين زى ما بتقول؟! تقدر تقول لى ليه رجعت بالذات وفجأة من الأقصر ليلة قتل يوسف أباظة؟!.. طبعًا مافيش إجابة.. إنت هتكون ضيفنا لحدّ ما اعرضك على النيابة، بس قبل أى حاجة.. عايزين ناخدك فى رحلة معانا لاسكندرية علشان تجيب لنا سلاح الجريمة، رغم إنى عارف ان مافيش سلاح فى الشقة.

نكّس أشرف زيدان رأسه قائلًا بامتعاض:

"أنا برىء وماعملتش حاجة يا فؤاد بيه، بس عمومًا أنا عايز اكلّم المحامى بتاعى".

– آه طبعًا طبعًا بكل سرور.. ده حقك.. علشان بس ما تقولش اننا بنعامل المواطنين بشكل سيئ ولا حاجة.

وبعد دقيقة جاء أحد رجال الأمن واصطحبه إلى الزنزانة.

جلس فؤاد الأسيوطى فى مكانه يرتب أوراقه وهو يدخن بهدوء ويفكر فيما توصل إليه، كان يشعر بشيء غريب، شيء ناقص لا يفهمه على الإطلاق، بدا فى رسم دائرة وكتب فيها بعض الأسماء:

محمد عطية

شخصية مرتبطة بالأوراق

أشرف زيدان

مجدى الزينى

دعاء الألفى

خالد مختار

طرف نسائى لم يظهر بعد..

ثم أشعل لفافة تبغ أخرى وشرع يفكر فى نفسه:

"دايرة الشك عماله تكبر وكلهم عندهم دوافع للقتل.. محمد عطية.. علاقته بعماد لحد دلوقتى مش فاهمها.. إيه اللى كان بيعمله عند عماد فى وقت زى ده؟!.. ويا ترى الأوراق اللى معاه دى تخص مين؟! وإيه معنى كلامه ليا فى التليفون لما قال لى.. لو حصل لى حاجة؟!.. وأشرف زيدان اللى فجأة قلب لى القضية من فوق لتحت.. ما هو مافيش حد بيهدد وينفذ تهديده علطول.. مافيش نظرية من نظريات الجريمة ممكن تقنعنى بعكس ده.. وأشرف زيدان مش بالغباء ده.. إحساسى بيقول لى إنه كبش فدا.. عمومًا أنا هخليه فى الوضع ده.. يمكن اكون غلطان! أما بقى خالد مختار المنحوس.. فمافيش عنده أى دافع، ولا ظهر أدامى أى سبب يخليه يقتل أعز صحابه.. بس برده مافيش نحس بالشكل ده.. واحد يبقى أول شاهد على قتل اتنين من صحابه.. عمومًا الاتنين فى الحبس، لو واحد منهم هو القاتل فعلًا يبقى

انا الكسبان، ولو الاتنين فعلًا مالهمش علاقة بالجريمة فده هيفيدنى فى إنى أدى مساحة للقاتل الحقيقى انه يقع فى الغلط بعد ما يطّمن انه بقى فى أمان.. الغلطة المعروفة اللى لازم كل قاتل يقع فيها بعد ما يحسّ انه فلت بعملته.. الغرور.. كل المجرمين لما يحسّوا انهم قدروا يفلتوا من العدالة بيحسوا بالغرور.. والغرور دايمًا بيوقّع صاحبه فى الغلط..

وأخذ نفسًا ثم دفن سيجارته فى المكان المخصص لها وهو مازال يفكر:

"دعاء الألفى بقى.. البت دى لازم تتراقب.. البت دى غريبة.. كانت فرحانة جدًا بقتل عماد.. يمكن تكون فرحانة ان اختها خلصت من راجل غبى وقاسي؟!.. بس هو فى حد يبين فرحته أوى كده بقتل حد؟ وأدام مين؟!.. ظباط الشرطة!.. مااعتقدش.. ده غير ان كان واضح من لهجتها كرهها الشديد لعماد.. أما بقى الفيلسوف الكبير مجدى الزينى.. اللى عماد كان بيعذب فيه بعد اللى عمله مع مراته.. يا ترى هو اللى عمل كده؟.. وخصوصًا انه كان مستعد يقتل عماد..

بتمنى محمد عطية يتصل بيّا تانى.. عايز افهم الأوراق دى مرتبطة بمين؟! وإيه علاقته بعماد؟ وإيه اللى ودّاه فى الليلة دى بالذات؟!.. موضوع الأوراق ده أكيد هيكشف حاجات كتير أوى.. يا خوفى لو الموضوع كله ينتهى بواحدة من عشيقات عماد.. قتلته فى لحظة غضب.. بس مش معقول.. أمال يوسف أباظة اتقتل ليه بقى.. مالك يا فؤاد؟! فين ذكاءك؟!..

وأسند مرفقيه إلى المكتب واضعًا رأسه بين كفيه ومفكرًا بعمق، وقد شعر أن معركة دامية تدور فى رأسه بلا توقف.. وبلا رحمة.

الفصل السابع

- ١ -

كان القلق يعتصر سعد رغم هذيانه الذى بدا واضحًا من أثر الضرب المبرح الذى لاقاه، و لم يكن يفكر فى شىء آخر سوى محمد صديقه، وما طمأنه قليلًا هو أن هؤلاء الرجال لا يسعون لقتله بقدر ما يسعون إلى ما فى حوزته، فقد لعب لعبة الموت معهم ولكنه كان على ثقة فى أعماقه أنه من المستحيل أن يقتحم أحدهم عالم المعلم سيد بهذه السهولة، فهو لم يبع صديقه ولكنها المماطلة التى لا يملك غيرها فى هذا الوقت العصيب.. ولكن ماذا إذا وصلوا إلى ما يسعون إليه؟ وما هى التعليمات التى تلقاها هؤلاء الرجال القساة الذين ينفذون الأوامر دون تفكير؟ إنهم آلات بشرية قاسية.

فى هذه اللحظات وبينما كان رجال أدهم أبو العز ينتشرون قرابة المكان الذى يختبئ فيه محمد عند المعلم سيد، ذهب المعلم سيد سريعًا إلى الشقة التى يختبئ فيها محمد وقد كان مستلقيًا على أريكة فقال له بحدة وتوتر:

"قوم بسرعة.. عندنا ضيوف".

فاقتضب ما بين عينى محمد غير فاهم فقال المعلم سيد:

"جايين بعدد كبير.. ومش ناويين على خير.. ومش هيمشوا من هنا من غيرك.. يا قاتل يا مقتول".

– وإيه.. إيه العمل يا معلم؟! – قالها محمد بتوتر.

– ولا حاجة، ههرّبك من هنا، وانا مظبّط الدنيا زى ما قلت لك.. المكان اللى هتروحه ده مش هيخطر على بالهم ولا حتى على بال الحكومة، ومش عايزك تتحرك.. لا تروح هنا ولا هنا لحد ما الأمور تهدا شوية، وانا هبقى اطّمن عليك.. يعنى مش عايزك تتصل بيا.. أنا اللى هتصل بيك.

– يعنى هروح فين مش فاهم؟ – قالها مرتعدًا.

– يا عم قلت لك ماتخافش واهدى كده، أنا مجهز لليوم ده من زمان، وكنت مستنيه واهو جه.. يلّه بسرعة بقى..

هرع محمد يلملم حاجياته، واطمأن بسرعة على الأوراق التى معه، بينما وقف المعلم سيد بجانب الشباك وهو يطالع الأمر فى الخارج خلسة ثم قال بخفوت:

"يلّه يا محمد.. مافيش وقت".

وبالفعل انطلق محمد مع المعلم سيد من باب خلفى للمنزل، ونزلا إلى شارع ضيق للغاية واستمرا فى طريقهما عدوًا حتى بلغا طريقًا ترابيًا، وكانت فى انتظارهما سيارة ربع نقل اتجها ناحيتها، ثم ركب محمد ونظر إليه المعلم سيد نظرة طويلة قائلًا:

"قبل ما تمشى عايزك تفهم ان اللى باعك هو أعز صحابك".

فجحظت عينى محمد وهو يقول هامسًا بتعجب "سعد" بينما استرسل المعلم قائلًا:

"مافيش وقت للزعل دلوقتى.. لأنه لا هيودّى ولا هيجيب.. علطول اللعبة بالشكل ده.. يا قاتل يا مقتول.. ومش عايزك تثق فى أى حد خالص وانا لسّه على عهدى معاك.. ماتقلقش.. بس عايزك تعمل اللى قلت لك عليه بالظبط.. فاهم يا محمد.. بالظبط".

فأومأ محمد برأسه ممتنًا ثم قال:

"حاضر.. حاضر يا معلم".

– انفد بجلدك من هنا وانقذ امك.. ماتفكرش غير فى كده.. وافتكر كلامى ده كويس.. آخر ناس بتفكر فيهم هما أول ناس ممكن تساعدك..

– مش فاهم؟ – قالها متحيرًا وغير فاهم.

– فكّر كويس وانت هتعرف انا قصدى إيه، بس أهم حاجة اعمل الصح.. واحنا كده كده كنا عارفين ان اليوم ده هيجي.

أومأ محمد برأسه بسرعة خائفًا وكأنه يؤكد كلمات المعلم سيد، بينما فجأة دوّت أصوات طلقات نارية فصاح المعلم سيد فى السائق قائلًا:

"يله اطلع بسرعة للمترح اللى قلت لك عليه.. وعايزك تأمن لى عليه لما توصل، واوعى ترجع هنا غير لما الأمور تهدى.. أمان".

– أمان يا معلم – ردّ السائق.

وبمجرد خروج السيارة من مرمى بصر المعلم سيد أخرج مسدسًا كان محشورًا بين حزام البنطال ووسطه ثم انطلق يعدو تجاه مكان دوى الأعيرة النارية واختبأ في مكان يستطيع من خلاله أن يرى كل شيء، وتبادل الجميع ضرب الأعيرة النارية من الجهتين.. رجال أدهم أبو العز وكذلك رجال المعلم سيد، ستشعر فى هذه اللحظة بأنك أمام حرب لا نهاية لها إلا بخسارة جميع الأرواح وتحويلهم إلى جثث.. الرجال يتساقطون من الجانبين؛ فمنهم من يصاب فى رأسه، والآخر فى ذراعه، وأحدهم فى قلبه، لم يكن أيّ من الطرفين يدرى لمَ هذه المعركة الدامية؟! فرجال المعلم سيد لا يفهمون شيئًا سوى أن بعض الرجال يحاولون اقتحام مملكتهم ربما للحصول على شحنات من الحشيش أو الأسلحة المخبأة بالمخازن – حرب عصابات – بينما رجال أدهم أبو العز يعلمون أنهم فى حالة بحث عن شخص ما قد يكلفهم حياتهم،

ولكن لم يكونوا على علم بأن ما يبحثون عنه لا يعنى لولى نعمتهم سوى بضعة أوراق.. لكنها أوراق تعنى له الحياة.

بعد نصف ساعة تقريبًا من تبادل ضرب النار صرخ أحد رجال أدهم أبو العز قائلًا:

"يا معلم سيد، إحنا معانا واحد من رجالتك.. "سعد" هنا معانا.. فمافيش داعى للعنف يا معلم.. إدينا اللى احنا عايزينه واحنا نمشى من هنا، ويا دار ما دخلك شر".

وكرر كلماته مرة أخرى فأمر المعلم سيد بوقف ضرب النار، ثم نزل إلى الساحة رافعًا سلاحه وهو يقول:

"اللى بتدوروا عليه مش هنا".

– يا معلم سيد مافيش داعى للمماطلة، إحنا عارفين انه عندك وانت مخبيه، سلّمه لينا نسلمك سعد.

– أشوف سعد الأول..

فقال أحدهم بلهجة آمرة:

"هاتوا سعد".

وبعد ثوان كان سعد يمشى بصعوبة تامة مكبل اليدين يترنح من أثر الضرب فى اتجاه المعلم سيد الذى كان ينظر إليه بنظرات ثاقبة متخيلًا ما قاموا به، ثم قال أحدهم وهو يصوب مسدسه على سعد:

"فين بقى محمد عطية؟ أنا نفّذت اللى انت طلبته، دورك بقى يا معلم تنفذ انت كمان وإلا والله اقتل لك سعد.. اقف مكانك يا سعد.. ماتمشيش أكتر من كده".

ساد الصمت للحظات كانت فيها أسلحة رجال أدهم أبو العز مصوبة نحو سعد، بينما ظل المعلم سيد ناظرًا إلى سعد القادم نحوه ثم قال بلهجة

صارمة وقذف له سلاحًا:

"حاسب يا سعد..".

وقتها تردد رجال أدهم أبو العز مما قاله المعلم سيد حيث لم يكن متوقعًا، ولكن سرعان ما قام المعلم سيد بالجرى ناحية سعد وهو يضرب النار على رجال أدهم أبو العز، وقام بسحب سعد بسرعة فى أحد الأركان حيث كانت النيران تلاحقهما حتى أصابت رصاصة ساق المعلم سيد فأصدر أنينا قائلًا بغضب وألم أيضًا:

"يا ولاد الكلب".

بينما استمر ضرب النيران، ولم يجد رجال أدهم أبو العز سبيلًا وهم يتساقطون واحدًا تلو الآخر، فانسحبوا إلى سياراتهم بسرعة تاركين المكان غارقًا فى بقعة من الدم، وخرج من نجا من رجال المعلم سيد وكل منهم قلقًا ينظر حوله وهم يتبادلون النظرات ويمعنون النظر فى أصدقائهم الذين لاقوا حتفهم، بينما خرج المعلم سيد فى هذه اللحظات وهو يعرج قائلًا:

"لازم نسيب المكان ده دلوقتى حالًا.. لازم نروح أى حته تانية نداری فيها لحد ما الليلة دى تخلص.. لأنهم أكيد هيرجعوا، بس المرّادى هيرجعوا ومش هيخلّوا فينا ولا واحد حى على ضهر الأرض".

فقال أحدهم متهكمًا:

"بس مين دول يا معلم؟!.. ماتقولّيش ان رجالتنا ماتت كده علشان واحد غريب مانعرفوش".

فاقترب منه المعلم سيد وهو يقول بحدة:

"إنت اتجننت يا روح امك.. نسيت نفسك ولّا إيه؟! إحنا هنا بندافع عن نفسينا يا حبيبى.. مافيش بنى آدم خلقته امه ينفع يتهجم علينا لأى سبب وإلا هيبتنا هتروح.. فاهم يا كلب، وبعدين انا مش فاهم انت بتتكلم

معايا كده ازاى؟! إنت نسيت أنا جبتك منين وحميتك من مين؟ مش كانوا برده كلاب زى الكلاب دول.. إمشى من وشى دلوقتى وماتورّينيش وشك تانى".

ثم نكس رأسه ممتعضًا حيث كان الجميع يخشاه حتى وهو مجروح، ثم قال وهو يشير بيديه:

"مش عايزكوا تقلقوا يا رجاله، دمّنا مش هيروح ببلاش كده.. وحقّنا هناخده بالقوة لو ماكانش هييجى بالحسنى.. بس هى حكاية وقت مش أكتر"، ثم نظر الى سعد والشرر يتطاير من عينيه قائلًا بغضب:

"وانت بقى بعتنا بالساهل كده يا كلب يلّى مائمرش فيك الخير"؟!

- والله أبدًا يا معلم.. ماتظلمنيش.. دول كانوا هيقتلونى.

- تقوم تجيبهم يقتلونا احنا علشان تنفد انت بجلدك؟!

- يا معلم أنا طول عمرى خدّامك وانت عارف انى جدع وعمرى ما ابيع ابن كارى لأى حد أبدًا.. وكنت عارف انكم هتردّوهم فى اتنين كلام.. يعنى من الآخر كده محدّش يقدر على المعلم سيد.. واهو.. كله تمام.. وبعدين يا معلم أنا بين إيديك أهو.. عايز تخلص عليّا.. خلص وتنقطع الإيد اللى تمنعك حتى لو كانت إيدى..

نظر إليه المعلم سيد وهو يتأمله ومازال الغضب مستحوذًا عليه ثم قال:

"غور من وشى دلوقتى".

- أمرك يا معلم.

وبعدما ابتعد الجميع وهم يسحبون أرجلهم ليتفقدوا الجثث وينقذون ما يمكن إنقاذه، وقف المعلم سيد يتأمل المكان الذى تلون بالدم وابتسم فى نفسه ابتسامة ساخرة وفكر: "بيضحى برجالته علشان شوية ورق.. وموّتلى كمان رجالة.. الموضوع مابقاش موضوع فلوس يا أدهم بيه.. والله ما يتشفى غليلى غير لما اشرب من دمك يا أدهم الكلب".

- ٢ -

"فى واحدة برّه عايزك يا فؤاد بيه".

- واحدة؟!.. ماقالتش عايزة إيه؟

- كل اللى قالته إنها جاية بخصوص قضية عماد عز الدين.

- خليها تدخل بسرعة.

دخلت امرأة ثلاثينية العمر تملك جمالًا أخاذًا، كانت طويلة القامة لها عينان حادتان لا تخلوان من جاذبية خاصة، وشعر أسود طويل يغطى ظهرها، وتطلعت فى فؤاد الأسيوطى للحظات ثم قالت:

"حضرتك فؤاد الأسيوطى رئيس المباحث"؟

- أيوه يا فندم.. اتفضلى.

- أنا ياسمين الجوهرى.

- أهلًا وسهلًا.. حضرتك قلتى بره إنك عايزانى بخصوص قضية عماد عز الدين؟

- أيوه.

- إيه الموضوع بقى؟

- أشرف زيدان.

- ماله؟!

- أنا مراته.
- أهلًا وسهلًا..
- أقصد مراته التانية.
- مش فاهم.
- إحنا متجوزين عرفى ودى قسيمة الجواز - وناولته القسيمة.

شرع فؤاد الأسيوطى ينقل بصره ما بين القسيمة وياسمين الجوهرى بريبة وتأمل، ثم سرعان ما قال وهو يضع القسيمة أمامه:

"وإيه علاقة ده بالقضية؟!"

- علاقة كبيرة أوى.
- إزاى بقى؟
- ليلة ما اتقتل يوسف أباظة.. أشرف كان عندى فى البيت فى مدينة نصر وماخرجش خالص.
- قصدك إيه؟
- قصدى ان أشرف ماقتلش يوسف ولا حاجة.
- وإيه اللى يثبت انه كان عندك ليلتها وماخرجش خالص لحد ما وصلنا وقبضنا عليه؟
- كتير أوى.. البواب والجيران يشهدوا بكده.
- إم، مفهوم.. طيب تبررى بإيه رجوعه من الأقصر فجأة كده بدون أى مقدمات؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم أطرقت برأسها وقد ظهرت فى عينيها لمحة من الذكريات ثم قالت:

"فى الفترة الأخيرة كنا بنتخانق كتير أوى.. لأنى عايزة أعيش فى النور، وكان بيطلب منى انى أصبر شوية لحدّ ما يلاقى الوقت المناسب اللى يعلن فيه

جوازنا ويسوى أموره مع مراته الأولانية.. وكنت باضطر اسكت واصبر.. لحدّ ما الشيطان فى اليوم ده اتملّك منى وقلت له: لو ماجتش دلوقتى حالًا وأعلنت جوازنا هتلاقينى بكره فى الجريدة اللى انت بتشتغل فيها وهطلّع قسيمة جوازنا وافضحك واقول انك متجوّزنى عرفى.. وفعلًا أخد أول طيارة وكان عندى، وماخرجش خالص، وتانى يوم اتقبض عليه.. وماكنش يعرف أساسًا ان الأستاذ يوسف أباظه - الله يرحمه - اتقتل".

تطلع إليها فؤاد الأسيوطى ساكنًا دون حراك، لا يتكلم، بل يفكر، لم يشعر بمفاجأة كبيرة؛ ففى أعماقه كان يشعر بأن أشرف زيدان برىء، ولكنه لم يتوقع أن يكون الأمر على هذه الشاكلة، سقطات الرجال قد تعرضهم للفناء، هكذا بدا الأمر بالنسبة له، ثم ابتسم قائلًا:

"إحنا هنتأكد من كلامك ده كله بطريقتنا، ولو اتضح ان كلامك ده كله صحيح.. هنخلى ذمته فى الحال وبدون أى ضمانات".

- متشكرة جدًا.
- بس ليا سؤال.
- إتفضل.
- إشمعنى دلوقتى؟
- اعترفت يعنى؟
- أيوه.
- يعنى قلت اسيبه شوية علشان يعرف قيمتى، وكمان كنت مترددة إنى آجى.. بصراحة حسيت للحظة إنه مايستحقّش.

هز رأسه مبتسمًا ابتسامة باهتة وهو يقول فى نفسه "الستات".. وبعدما ذهبت جلس فؤاد الأسيوطى على كرسيه واتصل بالضابط هانى وأعطاه بعض الأوامر ثم قال فى نفسه "دلوقتى أشرف زيدان برىء.. إمّم".

-٣-

كان محمد عطية يجلس فى إحدى الغرف على سطح أحد المنازل بوسط البلد، يفكر في كل شيء وقد انتابته العديد من المشاعر المتناقضة، كان مرتعدًا ولكن لا وقت للخوف الآن؛ فقد دخل المرحلة النهائية من تلك اللعبة، اتصل بأحد أصدقائه واطمأن على والدته، وبعد لحظات من التفكير كانت كالصراع الدامى فى رأسه قرر أن يتحدث إلى أدهم أبو العز، وبالفعل اتصل به ثم قال بنبرة حادة:

"والله لأدفعك التمن غالى أوى يا أدهم بيه.. لا انت ولا غيرك هيقدر يمنعنى.. يا انا يا انت فى البلد دى".

فرد أدهم أبو العز غاضبًا بشدة:

"لا عاش ولا كان اللى يهدد أدهم أبو العز يا حيوان يا ابن الكلب".

- كفاية أنزحه بقى واسمعنى كويس، أدامك فرصة واحدة بس.. وإياك تلاعبنى المرادى وإلا وحياة أمى لاكتب شهادة وفاتك بايديا.
- وفاة مين يا...
- إخرس واسمعنى كويس، هتحط الفلوس اللى اتفقنا عليها فى شنطة وتسيبها فى أمانات فندق رمسيس اللى فى وسط البلد.. وأول ما استلم الفلوس وابقى فى أمان اقول لك على مكان الأوراق.

ضحك أدهم أبو العز بعصبية وهو يقول:

"إنت اللى بتحطّ الشروط دلوقتى، إم.. بس إيه اللى يضمن لى ان مافيش معاك نسخة من الأوراق"؟

- أنا مش غبى يا أدهم بيه علشان اضيع نفسى تانى بسبب شوية ورق.
- إنت كده كده ضايع يا ابنى.. ماتحاولش.. بس واضح انك عارف كويس أوى انت بتتحدى مين، وواضح انك بدأت تفهم اللعبة كويس.
- تلميذك يا كبير..
- إم.. طيب بص بقى واسمعنى كويس.. أنا سمعت شروطك، ودلوقتى عايزك تسمع شروطى.. يا إما تقبلها يا إما تبلّ الورق اللى معاك وتشرب ميته.
- إيه هى الشروط دى؟! - قالها متعجبًا ومستنكرًا أيضًا.
- شرط واحد مافيش غيره.. تسلم نفسك وتعترف انك قتلت عماد عز الدين ويوسف أباظة.

تفاجا محمد عطية مما سمع وغاب فى عالم آخر؛ حيث لم يتصور أن يكون الشرط على هذه الشاكلة، فشرط كهذا سيكلفه حياته كاملة، ودار بعقله الكثير من الأفكار، وسرعان ما سمع صوت أدهم أبو العز يقول بهدوء وبلهجة ماكرة:

"إنت هتضحى علشان أهلك يعيشوا يا محمد.. تخيل الفلوس اللى هيتمتعوا بيها من بعدك، ده غير انك هتنقذ أمك العيانة من الموت.. وافتكر الفقر والذل اللى ممكن يعيشوا فيه لو مانفّذتش اللى انا عايزه.. أنا مش عايز حاجة أكتر من إن القضية دى تتقفل بعيد عنى.. يبقى انت أمّنت أهلك، وانا كمان أمّنت نفسى..".

– قصدك انك عايز تقتل القتيل وتاخد عزاه؟
– أحبك وانت فاهمني.. إيه رأيك بقى يا بطل؟
أخذ محمد نفسًا عميقًا حزينًا ثم قال بعد لحظات من الشرود:
– موافق.
أومأ أدهم أبو العز برأسه راضيًا ثم قال:
"تمام أوى يا حماده يا حبيبي.. معادنا بكره الساعة عشرة بالليل.. أديك الفلوس وتديني الأوراق.. وبعدها يا كبير تسلمني نفسك بقى علشان اطّمن انك هتسلم نفسك للحكومة.. وبعدها انت براءة.. ماليش عندك أي حاجة.. ولا كأننا قابلنا بعض في يوم من الأيام.. وانا من ناحيتي هقوّم لك محامي كبير يدافع عنك.. بس بقى لو حاولت انك تماطل أو تلعب بديلك.. والله لأقتلك حتى لو كنت في بطن امك.. فاهم"؟
– هستناك بكره يا أدهم بيه.. أستلم الفلوس.. بعدها أنا تحت أمرك.
– وهو كذلك.. قول لي العنوان بقى؟
– بكره يا أدهم بيه.
ابتسم أدهم أبو العز بعدما أغلق محمد الهاتف وهو يقول لأحد رجاله بطريقة غريبة:
"أنا حبيت الواد ده أوى ، جرىء وذكي.. ومتهور كمان، ويمكن ده اللي مخلّيني احبه. التهور النادر اللي قليل أوى لما تلاقيه في الطبقة دي بالذات.. أد إيه انا حزين ان نهايته هتكون بالشكل ده".

-٤-

كانت دعاء تجلس في منتصف غرفتها على الأرض وهي تقلب على حاسوبها المحمول "اللاب توب" الصور التي تجمعها مع مجدي الزيني، رجعت بذاكرتها للوراء قبل ذلك بسنوات عديدة حينما كانت مجرد صبية في الثانوية العامة وقبل أن تدخل إلى كلية الطب ، كانت مشدوهة به وبقوامه الممشوق وعينيه العسليتين وملامحه التي تشبه نجوم السينما، لقد أحبته منذ رأته لأول مرة حينما كان صديقًا لعماد عز الدين وأختها هند إبان أيام الجامعة، و لم تتخيل نفسها مع رجل غيره، وحينما كبرت وأصبحت فتاة جميلة يطلب ودها كل الشباب صارحته بحبها، ورغم رفضه في البداية إلا أنه وبعد مدة انصاع لها ووافق على الأمر على أن يكون في الخفاء، و لم تر في هذا عيبًا ما دامت ستكون مع فارس أحلامها، وحطمت كل عقيدة تؤمن بها لأجله، وفعلت من أجله المستحيل ليرضى عنها، ولاقت منه جميع أنواع اللامبالاة والتسلط و لم تتذمر، لكن لكل بركان خامد ثورة، وقد جاءت ثورتها؛ فقد حملت منه مرتين قبل ذلك وأجهضت نفسها و لم تخبره بذلك حتى لا تعكر صفوه، ولكنها كانت تسأل نفسها دومًا: لَم تفعل ذلك؟! لَم لَمْ تصارحه بحمليها الأولين؟! هل كان خوفًا من ردة فعله أن ينكر الأمر؟ أم خوفًا من أن

يتنصل منها؟ أم لأنها تدرك فى أعماقها بأنه بالفعل لا يحبها وتخاف مواجهة هذه الحقيقة؟! فكم تكره أن يكون مرغمًا على أن يكون أبًا لطفل يكرهه، طفل سفاح! إنها أخيرًا ليست أكثر من شابة ساذجة وقعت فى حب ذئب آثر مصّ دمائها واستغلالها بلا توقف تحت اسم الحب.

شرعت دموعها تنهمر بغزارة وهى تفكر فى الأمر، كانت الأسئلة تتخبط فى عقلها فتهرب منها بلا جدوى، أى عقل يمكنه الهرب من كارثة كهذه؟! فقدان الابن والحبيب!..

وبعد ثوان لاح على ملامحها غضب شديد واقتضاب ينفّر أى إنسان من النظر إلى وجهها وقالت فى تحدٍّ:

"يا ويلك يا مجدى لو حاولت بس تفكر انك تلعب بيّا.. يا ويلك".

كانت تدرك جيدًا أن مجدى يفكر بكل طريقة شريرة للتخلص منها، ولكن فى جزء منها كانت تتشبث بالأمل.. الأمل الذى لا ينضب من قلب أية امرأة وخصوصًا إن كان الأمر يتعلق بمن يحببن، فأحيانا تدخل بعض الفتيات قصص حب مع علمهن بفشلها منذ البداية، ولكن برغم هذا هناك ذلك الأمل الديكتاتور العالمى الذى لم يخسر هيبته ولا مكانته المرموقة أبدًا رغم خسارته لجميع قضاياه.

ومع كل ذلك بدأت تخطط فى عقلها أن تأخذ حذرها من كل شىء، عاد إليها الهدوء، وببراءة الإناث كشفت عن بطنها ولمستها بحنان وكأنها تطمئن طفلها الذى ينتظر المجهول.

-٥-

كان محمد عطية يجلس فى هذه اللحظات فى صمت غريب، يحاول أن يجد مخرجًا مما هو فيه، وشعر ببعض الاطمئنان بعد مكالمة المعلم سيد الأخيرة له، كان العنكبوت ينسج خيوطه فى هدوء على أحد الجدران، شعر بأنه فخ يحمل معنى خاصًا جدًا فى نفسه، كان عليه أن يفكّ خيوط العنكبوت، ولكن تلك الخيوط لم يكن لها وجود إلا فى مخيلته، هكذا كان الأمر فى هذه اللحظات، وخلال تفكيره تذكر كلمات المعلم سيد له حينما كان على وشك الهروب من قبضة رجال أدهم أبو العز:

"انفد بجلدك من هنا وانقذ أمك.. ماتفكرش غير فى كده.. وافتكر كلامى ده كويس.. آخر ناس بتفكر فيهم هما أول ناس ممكن تساعدك" فانتشل هاتفه بسرعة.

دق جرس الهاتف وسرعان ما انتشله فؤاد الأسيوطى قائلًا:

"الو".

- أنا محمد عطية يا فؤاد بيه.
- كنت عارف انك هتتصل.
- فؤاد بيه، أنا مش قادر أثق فى أى حد.. يا ترى أقدر أثق فيك ولّا برده لسه مش مصدقنى؟

- أنا عايزك تكون متأكد يا محمد انك مش هتندم.. وانا مصدق كل كلمة قلتها لى – كانت لهجته صادقة.

- أنا لا قتلت عماد عز الدين، ولا قتلت يوسف أباظة.

- عارف يا محمد.

- عارف؟!

- أيوه عارف ومش عايزك تسألنى عن التفاصيل دلوقتى.. فى حاجات مش مفهومة.. فى أكتر من حاجة ضايعة.. الأوراق اللى معاك دى تدين مين؟ وإيه اللى فيها بالظبط؟

- الأوراق اللى معايا تخصّ رجل أعمال مشهور اسمه "أدهم أبو العز".

- وفيها إيه الأوراق دى؟

- كلها أوراق تثبت فساده وفساد ناس ليها تقلها فى البلد.. ومش فاهم الصراحة ازاى الأوراق دى وصلت لعماد عز الدين.

- خلينا نتقابل واخدها منك وانا أنهى الموضوع ده كله بالكامل.

- الحكاية مش بالبساطة اللى انت متخيلها يا فؤاد بيه.. رجالة أدهم أبو العز زمانهم فى كل حتة بيدوروا عليّا، ده غير الحكومة اللى زمانها قالبة الدنيا علشان تجيبنى.

- شكلك نسيت انى واحد من الحكومة – قالها باسمًا ابتسامة خفيفة.

- لأ مش ناسى يا فؤاد بيه.. بس اللى بيدوروا عليّا حكومة تانية لابسة ميرى لكن شغلها فى الضلمة، ودول لو وقعت فى ايديهم قول عليّا السلامة... أنا متأكد.. وأكيد انت عارف أنا بتكلم فى إيه كويس.. الناس دى مش سهل تقع.. مش بالبساطة اللى انت متخيلها.

- استنى، استنى.. فيه حاجة مهمة مش واضحة.. إيه علاقتك من الأساس بعماد عز الدين؟

تنهد محمد بمرارة ثم قال:

"أنا مش هقدر احكيلك كل حاجة دلوقتى، بس ببساطة.. أنا شاب ربنا وهبه موهبة جميلة.. موهبة الكتابة.. وزى ما انت عارف انى فقير وماقدرش ادخل المجال ده من غير ما يكون معايا فلوس علشان اقدر انشر الكتب والروايات اللى بكتبها.. وفى يوم سمعت ان فى كاتب كبير اسمه عماد عز الدين بيتبنى المواهب.. واتقابلنا أنا وهو.. بعدها الأستاذ عماد حسّ انى عندى أفكار كبيرة أوى ومميزة.. فعرض عليا انى أديله أفكارى.. يعنى أفكار الكتب والروايات والتحقيقات اللى ممكن يكتب فيها.. ومن وقت للتانى كنت بديّله الأفكار اللى كانت بتيجى على بالى أو بكتبها ليه مخصوص.. وأصاد ده كان بيدينى مبلغ محترم.. وزى ما انت عارف يا فؤاد بيه.. إنك علشان تشتهر لازم يكون عندك مقومات كتير وكلها مش عندى.. أنا يدوب حتة واد موهوب وده كل اللى بملكه.. وعماد عز الدين يعتبر علامة تجارية.. فأنا أكتب وهو يحطّ اسمه علّى انا بكتبه.. وحضرتك متخيل الباقى".

تنهد فؤاد الأسيوطى ممتعضًا ثم قال:

"وليه رضيت بكده.. ليه رضيت تتسرق؟ حتى دماغك بعتها يا محمد.. هو ده الرد على إحسان ربنا ليك"؟

- أرجوك يا فؤاد بيه.. أنا مش قادر والله ولا ناقص أى كلام.. إحنا الفقرا مابنحسبهاش بالشكل ده.. كل اللى بنفكر فيه هو الفلوس.. إزاى نجيبها.. إزاى يبقى جيبى مليان علشان إخواتى مايتذلوش ولا يتهانوا.. أنا عندى كوم لحم محتاج ياكل ويشرب ويلبس ويتعلم وغيره وغيره.. أما بقى حكاية الشهرة والأضواء ماكنتش تهمنى من الأساس.. الفلوس بالنسبالى هى أهم حاجة وكل حاجة.. وكنت مستعد إنى اقدم أكتر من كده لو كان انطلب منى.. وبعدين الأفكار

دى أنا لا بشتريها ولا بتعب فيها.. يعنى كانت تجارة مابتخسّرش ولا بتكلفنى حتى قرش واحد.. وبعدين أنا كنت شايف ان عماد عز الدين ده راجل مجنون أو معتوه علشان يدينى فلوس أصاد شوية أفكار.. لو كان فعلًا موهوب زى ما هو معروف يا فؤاد بيه.. ليه مايفكرش إنه يتعب ويعمل نفسه بنفسه بجد.. حتى على الأقل يحترم نفسه وهو بيبص لخلقته فى المراية.. ده عالم فاسد يا فؤاد بيه.. واللى انت شايفهم نجوم مجتمع دول مش أكتر من شوية تعابين مستخبية فى بدل وفساتين بالشيء الفلانى.. شوية أقنعة يا باشا – أنهى كلماته بمرارة شديدة.

– وإيه اللى وداك فى الليلة دى لعماد؟

سكن محمد للحظات ثم قال:

"كنت رايح اقتله واسرق أى حاجة تساعدنى".

– يعنى ماكنتش رايح تسرق بس.

– أنا باكره عماد عز الدين.. إزاى يبقى معاه كل حاجة.. الفلوس والشهرة وحب الناس، وانا ولا حاجة.. مع إنه من غيرى مايسواش أى حاجة.. الفرق بينى وبين عماد عز الدين إنه عرف يلعبها صح.. وصدقنى يا فؤاد بيه أنا أول ما وصلت شقته اترعبت، وكل اللى فكرت فيه انى أسرق أى حاجة واهرب..

– إنت ناوى على إيه دلوقتى؟ إنت كده كده نهايتك قربت يا محمد وانا خايف عليك.. يا إما هتقع فى إيدينا يا فى إيدين رجالة أدهم أبو العز.. ولو وقعت فى إيده مش هيسيبك تعيش لحظة واحدة بعد ما ياخد اللى هو عايزه.. أدهم أبو العز مستحيل هيرحمك، ولو كان وعدك بحاجة إوعى تصدقه.. هيقتلك يا محمد، وساعتها القضية هتتقفل ولا حد هيسأل عنك.. وكأنك أساسًا ماتولدتش ولا كنت موجود على وش الدنيا.

– أنا مستعد اسلّم نفسى، مستعد كمان انى اعترف بقتل عماد عز الدين ويوسف أباظة، بس تتعهد أدامى انك تنقذ أمى من الموت.

تفاجأ فؤاد الأسيوطى بما سمع فقال بحدة:

"إنت مجنون، رايح للموت برجيلك علشان تنقذ أمك اللى كده كده هتموت سواء دلوقتى أو بعدين؟!.. وللأسف انت بتحمى مين..؟! بتحمى راجل فاسد اسمه أدهم أبو العز.. الراجل اللى لابس عباية الأخلاق والتقوى والدين.. وهو يدوب حشرة نتنة بتمصّ فى دمى ودمك ودم كل غلبان فى البلد دى كل يوم".

– مافيش أدامى حل تانى.

– لأ أدامك.

– إيه هو؟ – قالها بلا مبالاة.

– إنك تسلمنى الأوراق وتسلم نفسك، وقتها أقدر أدين أدهم أبو العز بقتل عماد عز الدين ويوسف أباظة؛ لأنه المستفيد الوحيد من قتلهم.. ده غير قضايا الفساد اللى فى الأوراق.

– وانت متخيل بقى انى هقدر أفلت من الحكاية بالبساطة دى يا فؤاد بيه؟!.. حتى لو كنت بينكم انتم يا رجالة الحكومة؟ وانت متخيل انك تقدر تقبض عليه أو تحاسبه على اللى عمله أو حتى على الأقل تدينه.. يا فؤاد بيه انت عارف أصول اللعبة فى بلدنا، وعارف كويس هى ماشية ازاى.. لازم اسلم له الأوراق علشان احمى أهلى على الأقل – أنهى كلماته بمرارة.

– يعنى تسلمه الأوراق أصاد عمرك اللى لسه ماعشتوش.. إدينى الأوراق وانا هأمن لك الحماية انت وأهلك – قالها راجيًا.

– ماتخلنيش اندم على اتصالى بيك يا فؤاد بيه.. أنا عارف انى مش

هأمن شره.. ولو ضمنت الحماية دلوقتى مش هضمنها بعدين..

– أمال انت اتصلت بيا ليه؟

– اتصلت بيك لأنك الوحيد اللى هيصدقنى، والوحيد اللى ممكن أثق فيه.

– عايزنى أوافق على المدبحة دى.. تسلمه الأوراق بالسهولة دى أصاد انك تلبس الأحمر وتنقذ أمك.. إنت أكيد مجنون.

– لأ مش مجنون.. أنا واحد دخل النار برجليه.. ولو ماعملتش اللى بطلبه منك فى إنك تعمل العملية لامى هحمّلك ذنبى.

– هتسلمه الأوراق إمتى؟ قالها محاولًا الحفاظ على هدوئه.

– لما هسلمه هقول لك.. أكيد هتعرف يا فؤاد بيه.

– هتقولى!.. ده لو كنت لسه حى – قالها ساخرًا بمرارة – محمد.. قولى على مكان التسليم والميعاد.. هيقتولك يا غبى.

– كل اللى أقدر اقوله إن الميعاد الساعة عشرة بالليل بكره.. وصيتك أمى يا فؤاد بيه – وأغلق الهاتف.

جلس فؤاد الأسيوطى على كرسيه محاولًا أن يجمع أفكاره المشتتة، ثم نهض من مجلسه بسرعة وأمر أحد الضباط بالتقصى عن هذا الرقم، لم يكن يريد صاحبه، بل كان يريد موقعه بالضبط ربما يوصله ذلك لشىء ما، فقد كان فى حاجة ملحة لطرف خيط.. مجرد طرف خيط لينقذ ما يمكن إنقاذه، فكّر فى إلقاء القبض على أدهم أبو العز أو حتى إعاقته.. ولكن بأية تهمة؟! فليس لديه – حتى الآن – أى شىء يدينه، كما أن اقتحام عوالم هؤلاء الأشخاص ليس بالشىء الهين، وقد تكون نهايته هو في حد ذاته وخيمة، فمن هم مثل أدهم أبو العز قد يفعلون أى شىء وكل شىء ليحافظوا على أنفسهم.

في هذه الأثناء كان محمد عطية واجمًا وقلقًا للغاية؛ فقد كان اتصاله تمهيدًا

لشىء يدور فى رأسه، فلقد أعطاه الله نسبة من الذكاء تساعده على حل تلك المشكلات التى تشبه الكوارث، كان هناك مخطط يتمنى فى أعماق قلبه أن يتحقق كما رسمه، لكنه كان وحيدًا بلا حماية، وفى أية لحظة قد تهاجمه إحدى الفرقتين التى تمشط كل الشوارع بحثًا عنه بأسنان ضارية وبلا رحمة؛ فإن وقع فى أيدى رجال أدهم أبو العز الذى لن يهدأ له بال حتى موعده به ستكون نهايته بلا رحمة، وربما سيتمنى الموت فلا يناله، وإن وقع فى أيدى رجال الشرطة التى تسعى لإغلاق ملفى جريمتى القتل سيكون مصيره حبل المشنقة، ولن يكلف أحدهم نفسه بالدفاع عنه.. نعم قد يكون سقوطه فى أية لحظة.

-٦-

كان ضابط المباحث هانى فى هذه اللحظات يدق باب فؤاد الأسيوطى الذى كان يرسم بعض الخطوط ويكتب بعض الأسماء على صفحة أمامه، كانت الغرفة معبأة بدخان السجائر، وكان المنظر موحشًا وغامضًا، وحين دخل هانى قال فؤاد الأسيوطى بهدوء:

"طبعًا مالقتوش السلاح فى شقة أشرف زيدان".

– أيوه يا باشا.. إنت شكلك مانمتش خالص يا فؤاد باشا؟

لم يُعر كلماته اهتماما وقال:

– كنت متأكد.. الحكاية مش محتاجة لنباهة.. السلاح اللى لقيناه فى مسرح الجريمة هو نفسه سلاح أشرف زيدان.

– وده اللى بيثبت التهمة عليه يا باشا.

ابتسم فؤاد الأسيوطى ابتسامة باهتة وهو يرفع عينيه لأول مرة منذ دخول هانى ثم قال:

"قصدك دليل على براءته".

– إنت بتقول إيه يا فؤاد بيه؟! – قالها جاحظًا عينيه.

– إنت راقبت البت اللى قلت لك عليها؟

– دعاء.. طبعًا يا باشا.

– ها..

– البت دى غريبة فى كل تصرفاتها.. بس فى حاجة غريبة لسة عارفينها النهاردة يا باشا.. جاى أقول لك عليها، بالإضافة طبعًا لموضوع السلاح..

– إيه هى؟

– من خلال مراقبتنا لقينا البت دى خارجة من عمارة، وبعد كده لقيناها اترددت على نفس العمارة مرتين تلاتة فى يومين ورا بعض.. المفاجأة بقى يا باشا اننا اكتشفنا انها على علاقة بمجدى الزينى؛ لأنه جه مرة لنفس العمارة اللى البت دى بتتردد عليها.. وواضح انها علاقة مشبوهة.

فنظر إليه فؤاد الأسيوطى طويلًا وكأنه يفكر ثم قال:

"قصدك إيه من كلمة "مشبوهة" بالظبط"؟

– قصدى يا باشا ان الشقة دى مفروشة واتأجرت من سنة تقريبًا.. ومن تحرياتنا عرفنا انهم بيتقابلوا من وقت للتانى فيها.. يعنى مرة ولّا مرتين كل أسبوع..

– أنا مايهمنيش إذا كانت علاقة مشبوهة ولّا مش مشبوهة.. كل اللى يهمنى دلوقتى انك تراقب لى الاتنين كويس أوى.. واضح ان القضية دى فتحت أبواب مقفولة كتير – قال جملته الأخيرة وكأنه يحدث نفسه.

– واضح يا باشا، بس إيه حكاية أشرف زيدان؟.. مافهمتش سيادتك تقصد إيه!

أطرق فؤاد الأسيوطى برأسه مفكرًا للحظات ثم قال:

"أشرف زيدان قال انه مشى من القهوة ليلة قتل عماد عز الدين وراح

على بيته علطول، وان البواب ومراته كانوا نايمين.. وفعلًا ماكانش بيكدب.. ومن التحريات اللى عملناها بعد كده.. ظهر إن أشرف زيدان كان عند مراته التانية فى مدينة نصر ليلة قتل يوسف أباظة.. الأستاذ متجوز عرفى، واحنا قبضنا عليه بعد الحادث، والواضح انه ماكانش يعرف بموضوع قتل يوسف أباظة.. مراته التانية كانت هنا وأقرت بالكلام ده.. ده غير اننا استجوبنا البواب وعدد من الجيران وأكدوا فعلًا إنه كان عندها ليلة قتل يوسف أباظة وماخرجش خالص.. واضح ان المسكين بيخاف من مراته.. شكلها مسيطرة أوى (وابتسم)..

– ده غبى.

– وماتقولش ليه انه عالم وسخ.. الكل فيه لابس قناع الطهارة، والحقيقة إن الكل نجس ووسخ من جواه؟!

أومأ هانى برأسه موافقًا، بينما قال فؤاد الأسيوطى وهو يشير بيديه:

"وبما إن أشرف زيدان ماقتلش يوسف أباظة يبقى بالتأكيد ماقتلش عماد عز الدين.. يوسف اتقتل لأنه عرف مين اللى قتل عماد.. وده اللى يثبت ان أشرف زيدان برىء من كل التهم".

– طيب ولسه حابسه ليه يا باشا؟

– لأنى محتاجه ليومين بس.. عايزه بس جوه فى الزنزانة مش أكتر.. والصحافة بقى هتقوم بدورها.. إنت عارف شغل الصحافة وتكبير المواضيع.. يعنى البهارات.. بس المرّادى بالذات البهارات دى هتساعدنا.. فاهم انت طبعًا أقصد إيه.. الكاتب أشرف زيدان متهم بقتل غريمه عماد عز الدين، والمانشتات السخنة دى.. هى اللى هتحل قضيتنا.. أشرف زيدان كارت خاص جدًا.. مش ممكن أخسره.

– مش فاهمك يا باشا.

– هتفهم كل حاجة قريب أوى.

ساد الصمت للحظات معدودة تخللها إشعال فؤاد الأسيوطى سيجارة ثم قال هانى:

"طيب وخالد مختار"؟

ضحك فؤاد الأسيوطى ضحكة قصيرة وهو يقول:

"ده فقرى ومنحوس، ده يا سيدى واحد معدوم الحظ، كان موجود فى المكان الغلط والمعاد الغلط.. ومرتين.. وحتى بصماته مش موجودة غير فى المطبخ لما دخل شقة عماد".

– بس فيه أدلة تدينه!

– كلها أدلة ممكن تتنسف من جذورها لو جاب محامى شاطر.. لا فى بصمات ولا فى دافع ولا حتى كان عنده سلاح فى يوم من الأيام.. ده غير ان واحد زى ده مش هيغلَب فى إنه يبوّظ القضية كلها.. وانا مش عايز أضيع وقت، ولا عايز امشى فى السكة دى.

أومأ هانى برأسه موافقًا ثم قال:

"طيب وبعدين؟! لحد دلوقتى ماوصلناش لحاجة يا باشا، حتى العيل الهربان اللى اسمه محمد عطية.. الوحيد اللى ليه بصمات فى مسرح جريمة عماد عز الدين.. والوحيد اللى عليه شاهد إثبات.. لحد دلوقتى مانعرفش إيه قصته بالظبط ولا وصلنا ليه"!

ابتسم فؤاد الأسيوطى وهو يقول:

"محمد مش بعيد يا هانى بيه.. عايزك تكون متأكد من الحكاية دى.. وعايزك تكون مستعد فى كل لحظة واى لحظة؛ لأن القضية دى هتتقفل قريب أوى.. ده غير انى عرفت القاتل.. ومش عايز أسئلة..".

– مش عايز أسئلة ازاى يا باشا؟! – قالها باسمها ثم استرسل يقول:

"ده أنا لازم اعرف الحكاية كلها وافهم.. ومنكم نستفيد يا باشا..

القضية دى بجد مش شايف لها مدخل، ودلوقتى جاى تقولى سيادتك عرفت القاتل، وكمان مش عايزنى اسأل.. طب تيجى ازاى دى"؟!

شعر فؤاد الأسيوطى بالزهو ثم قال:

"عايزك تركز فى الكلام اللى هقوله دلوقتى وتسمعه كويس؛ لأن اللى هقولهولك ده هو حل رموز القضية بالكامل".

– سامعك كويس أوى يا باشا.. اتفضل.

أشعل لفافة تبغ أخرى ورمى الأولى من يده ثم نظر إلى هانى وقد لمعت عيناه ثم قال:

"دلوقتى لو بصينا للقضية اللى أدامنا هنلاقى انها متفرعة أوى وداخلة فى بعضها.. يعنى عندنا بصمات لواحد مالوش أى علاقة بعماد عز الدين، أو هنقول انها علاقة مشبوهة، بالإضافة لسلاح استخدم فى الجريمتين.. مسدس ٩ ملّى.. يملكه أشرف زيدان اللى أساسًا ماقتلش، ده غير ان فيه أوراق مهمة ماتعرفش طبعًا تخص مين ولا تعرف تخص إيه؟.. تمام".

– تمام يا باشا.

– تمام أوى.. بالنسبة لمحمد عطية.. حكايته غريبة شوية.. الواد ده حتة شاب موهوب.. عماد عز الدين كان بيستغل دماغه علشان يجدد من نفسه.. وطبعًا الواد ده غلبان؛ يعنى أى لقمة هترمى له هياخدها ويحمد ربه عليها كمان.. مش بس كده.. ده كمان هيفتكر ان عماد عز الدين راجل مجنون وغبى لأنه بيديله شوية فلوس على شوية كلام فارغ من وجهة نظره.

ثم أخذ نفسًا عميقًا من لفافة التبغ واسترسل فى حديثه قائلًا:

"يبقى الواد ده يا هانى بيه.. كان موجود فى المكان الغلط والمعاد الغلط".

– تقصد يا باشا ان الواد ده راح كده وفى الساعة دى بالذات بالصدفة؟!

– بالظبط.

أطرق هانى برأسه مفكرًا ثم قال:

"كمّل يا باشا".

– أشرف زيدان بقى هو مربط الفرس.. أشرف زيدان يجيله اتصال تليفونى ليلة قتل عماد عز الدين.. الاتصال من مجهول بيقول له إن عماد عز الدين سرق مفكرتك.. واضح جدًا ان المتصل عارف إن أشرف زيدان هو العدو اللدود.. أو هنقول بيكرهه.. وولاد الكار الواحد لا يمكن يحبوا بعض.. وكمان عارف ان أشرف ماعندوش أغلى من أفكاره.. فيروح أشرف زيدان بعصبية ويهدد عماد عز الدين فى وسط الناس ويقول له "نهايتك قربت أوى يا عماد".. ولما روّح أشرف للأسف ماحدّش شافه، ومافيش حد ينفى وجوده فى مكان الحادث.. ولو افترضنا انه حصل فمافيش غير البواب ومرات المتهم اللى أكيد هيتشكك فى أقوالهم، ده غير ان ماحدّش تانى يثبت وجوده فى مكان تانى غير مكان الجريمة، وهيدخل فى دوامة، ومش بعيد فعلًا يلبس القضية.. وبما إن صاحبنا مراقب أشرف زيدان كويس فعارف انه عنده سلاح ومخبيه فى اسكندرية.. واللى أكيد اتسرق قبل الجريمة علشان تبان أدّامنا ان أشرف زيدان هو اللى قتل.. وبكده يلبس أشرف الليلة كلها..

– إممم..

– يعنى دافع وأداة.. قضية جاهزة وواضحة وضوح الشمس..

– يعنى يا باشا أشرف زيدان اتسرقت مفكرته قبل الجريمة، وبعدها اتسرق المسدس بتاعه، وماكانش ناقص غير انه يشعل الفتيل فى الوقت اللى القاتل عايزه؟

– بالظبط كده.. وفعلًا القاتل اختار الوقت المناسب.

– طيب والجريمة التانية؟!

- الجريمة التانية دى بقى كان فيها جانب كبير من الحظ.. للأسف أشرف زيدان ليلة قتل يوسف أباظة اتخانق مع مراته التانية.. اللى متجوزها عرفى.. وهددته انها هتفضحه.. فخاف من الفضيحة ورجع فورًا.. وقتها القاتل كان انكشف ليوسف أباظة اللى كان واضح انه تحت تأثير الصدمة.. وللأسف مافاقش منها خالص لأن القاتل ماادالوش مساحة وقتله.

- طيب يا باشا مين اللى عمل ده كله.. وليه؟

- اللى عمل ده كله.. أنا عارف مين.. ليه بقى؟!.. دى مش واضحة أدامى بالظبط، بس لو حسبناها بالعقل هتلاقيها بالشكل ده.

- إزاى يا باشا بقى؟

- اللى عمل ده كله مش بعيد يا هانى.. ده قريب جدًّا وعارف خطوات الكل بدقة متناهية ودارسهم كويس.. لأ والأكتر من كده انه عايش فى وسطيهم.

- مين يا باشا؟

- مجدى الزينى.

- إيه؟!!

- زى ما بقولك كده.. مجدى الزينى.

- طيب ليه؟

- مجدى الزينى لما كنت بحقق معاه وقع أكتر من مرة من غير ما يقصد.. لما سألته عن الأوراق وعماد بيخبيها فين.. قال لى بيحطّها فى بنك.. رغم ان مراته أكدت إن كل صحابه عارفين مكان الأوراق المهمة، وانهم عارفين انه مش بيشيلها غير فى البيت.. ده غير انه قال لى جملة للأسف ماخدتش بالى منها غير متأخر.. قال لى إن الفرصة مابتجيش

غير مرة واحدة، والغبى بس هو اللى فاكر ان الفرصة ممكن تيجى مرتين.

- طيب ليه مجدى الزينى يقتل أعز صحابه؟

- مجدى الزينى مش صاحب عماد ولا حاجة.. الاتنين مش بيطيقوا بعض، بس بيربطهم شيء غريب جدًّا.. الست..

- الست؟!

- أقصد هند الألفى زوجة المجنى عليه.. مجدى كان مرتبط بيها قبل ما عماد يتجوزها، وواضح ان مجدى غلط مع هند وعماد اكتشف الحكاية بعدين، وبدأت شرارة الكره تكبر بين الاتنين، لكن واضح ان عماد كان شايف انه تعذيبه ليهم هما الاتنين هو أنسب انتقام منهم.. هند كان بيذلها كل يوم.. ومجدى مابقاش ليه وجود على الساحة تقريبًا.. تقدر تقول ان عماد دمره كإنسان وككاتب وصحفى.. ده غير التكبر عليه وإذلاله..

- أفهم من كده يا باشا ان مجدى استعان بدعاء علشان ينفذ مخططه ده؟

- مالهاش حل تانى؛ لأن يوسف لمّا عرف القاتل اتصل بهند، ووقتها كان مجدى موجود، ولما سألها بالمتغطى كده مين اللى بيكلمك مقالتلوش.

- أمال عرف ازاى؟

- عرف من دعاء.. لأن هند قالت لدعاء على المكالمة.. مالهاش تفسير تانى..

- مش يمكن يوسف أباظة قال لخالد مختار وخالد قال لمجدى إن يوسف عرف القاتل؟

- لأ.. خالد ماقالش لمجدى أى حاجة..

- طيب ليه يا باشا ماقبضتش عليه لحد دلوقتى؟
- لأن مافيش دليل قاطع ضده يا هانى بيه.. لا بصمات ولا أداة .. ده غير إنه مأمن نفسه كويس، وليه حجج غياب.
- والحل؟
- الحل سهل جدًا..
- إزاى؟!
- دلوقتى مجدى فاهم انه نفد، وخصوصًا بعد ما عرف ان خالد مختار هيفرج عنه.. وان أشرف زيدان متهم بالجريمتين.. لازم تكون متأكد يا هانى انه هيغلط وغلطه ده مش بعيد، وماتنساش ان معانا دعاء.. وهى كارت مهم، واظن بشوية ضغط هتعترف بكل حاجة.
- طيب ما نجيبها ونخليها تعترف.
- خليك صبور لأنى حاسس ان الموضوع مش كده بس.
- يعنى؟
- يعنى ان مجدى الزينى مش هيعمل ده كله لمجرد انه ينتقم والسلام.. مجدى الزينى مش الشخصية اللى ممكن تقتل ببلاش.. فيه حاجة خلته يدبر ده كله، واظن ان الحكاية دى مرتبطة كلها بموضوع الأوراق.
- وسيادتك عرفت الأوراق تخص مين؟
- أدهم أبو العز.
- رجل الأعمال؟!
- أيوه.
- إمم.. قصد سيادتك تقول ان ممكن يكون أدهم أبو العز استغل مجدى الزينى علشان يوصل للأوراق اللى مع عماد.. يعنى أكيد عرف طبيعة العلاقة اللى بينهم.

- وماتقولش ليه إن مجدى الزينى هو اللى استغل أدهم أبو العز وعمل المخطط ده، وفى الوقت نفسه يطلع بمبلغ يعيّشه ملك بقية حياته؟!
- يعنى وجود محمد عطية وقت وقوع الجريمة بالظبط خلّى مجدى يهرب وماياخدش الأوراق؟
- بالظبط.. ودلوقتى بقت المساومة بين محمد عطية وأدهم أبو العز.
- إيه؟!.. سيادتك بتقول إيه؟
- زى ما بقولك كده.. عايزك بكره تحضّر لى قوة على الساعة تسعة؛ لأن الساعة عشرة بالظبط هنقبض على محمد عطية وأدهم أبو العز.
- مش فاهم يا باشا؟
- محمد عطية كلمنى وكل اللى قاله ليا.. إن الساعة عشرة هيسلم أدهم أبو العز الأوراق.. أنا متأكد انه كان متصل علشان يوصل لى الرسالة دى.. مش علشان حاجة تانية.. وخصوصًا لما وصانى على امه.. الواد ده عايز يخلص، وفى نفس الوقت يخلص من أدهم أبو العز اللى بيشكِّل خطر عليه طول ما هو بره السجن.. يعنى عايزه يتمسك متلبس..
- يا ابن اللعّيبة – قالها شاردًا.
- بتقول إيه يا هانى بيه؟!
- لا، ولا حاجة سيادتك.
- يلّه روح بقى ونفّذ اللى قلت لك عليه، وماتنساش بطل قضيتنا.. إوعى تشيل عينك من عليه.

نظر إليه هانى بتأمل ثم قال:

"أقدر أقول دلوقتى انى مابقتش فاهم أى حاجة.. بس تحت أمرك يا باشا، وهنفذ اللى قلت لى عليه.. أستأذنك أنا علشان اروح اشوف شغلى".

- إتفضل انت وفتّح عينيك.

وانطلق هانى خارج الغرفة مفكرًا، بينما دهس فؤاد الأسيوطى سيجارته بحذائه مبتسمًا ابتسامة المنتصر وهو يقول فى نفسه: "دلوقتى بقى نقدر نبدأ العد التنازلى".

الفصل الأخير

- ١ -

كان مجدى الزينى فى هذه اللحظات يجلس فى مواجهة دعاء فى منزلهما، كان مبتسمًا تلك الابتسامة الساحرة التى تأسر القلوب. كان الحنان يقفز من عينيه ليحتضنها، بل كان كل شىء فيه يناديها بحب ولكن بصمت تحتار الأقلام فى وصفه، بينما كانت دعاء مشدوهة غير مصدقة لما تراه أمام عينيها، عشاء فاخر، أضواء الشموع تزين الشقة فى كل مكان وكأنهما زوجين فى أول يوم من شهر العسل، ورغم كل هذا كانت الريبة تملؤها وهى تنظر إليه من وقت لآخر بتعجب وحذر دون أن تتكلم، وقد لاحظ ذلك فقال مبتسمًا:

"هى غريبة انى أعامل حبيبتى ومراتى وأم ابنى بالطريقة دى يعنى"؟!

وصمت للحظة وهو ينهض من مجلسه ليقبّل جبينها ثم نظر فى عينيها وهو يقول:

"بجد انتى مش عارفة أنا سعيد أد إيه.. أخيرًا هبقى أب.. عايزك تعذرينى يا دعاء.. أنا عارف انى كنت سخيف أوى معاكى آخر مرة.. وعارف انك اتحملتى كتير أوى معايا.. وعمرك ما خنتينى وكنتى سرى.. مش عايزك تزعلى منى أرجوكى".

نظرت إليه وقد رق قلبها قليلًا – فالنساء هم النساء – يدخل الحب قلبهم

دائمًا عن طريق الأذن – ثم قالت:

"ماكنتش متخيلة انك ممكن تسيبنى"!

– إنتى اتجننتى؟!.. ده مستحيل يحصل.

– عارفة.. إحنا قدرنا واحد يا مجدى، وانت عارف كويس أنا اقصد إيه – قالتها بثقة.

فابتسم ثانية وهو يجلس ثم قال:

"خلينا دلوقتى ننسى خلافاتنا اللى مالهاش أى تلاتين لازمة.. وخلينا نبتدى من جديد.. ويلّه بقى ناكل قبل ما الأكل يبرد.. ده انا عامله كله بإيدى".

– ماكنتش عارفة انك بتعرف تطبخ يا مجدى! – وضحكت ضحكة قصيرة.

فابتسم لها وهو يشير بيديه ثم قال بلهجة مرحة:

"وحياتك عمايل إيديا وحياة عينيا.. وبعدين ماتنسيش انى عايش لوحدى، وكتير أوى باضطر أطبخ لنفسى.. عيشة العزاب زى ما انتى عارفة".

– خلاص بقى ما انت هتودع حياة العزوبية قريب أوى..

– أكيد – وابتسم.

شرعا فى تناول الطعام وهما يتسامران ويتبادلان النظرات من آن لآخر، كان كل منهما ينظر للآخر فى هدوء، كان الأمل يحلق فى قلب دعاء، بل كان قلبها كالطائر الذى ظفر بالسماء بعدما أعاد له صاحبه حريته من خلف قضبان القفص الذى طالما عاش فيه، وبّخت نفسها على كل تلك الأفكار السوداء التى فكرت فيها، بل وبّخت نفسها لمجرد التفكير.

كان مجدى لا ينفك يشهر ابتسامته التى لا تقاوم، بل كان مراقبًا لها بشكل غريب، عيناه لا تنزل عنها وهو يتناول طعامه، وبعد قليل انتهيا من تناول

الطعام، ثم جلسا لبعض الوقت يتسامران فى مختلف الأمور، وبعد لحظات أخبرها أن لديه موعدًا هامًا وقد أجّله لأجلها، والآن عليه أن يغادر، فقالت له:

"إنت هتجيلنا إمتى البيت؟ إنت عارف الموضوع مش متحمّل أى تأخير".

– بكره.

نظرت إليه بعيون لامعة اغرورقت بالدموع من فرط الفرحة، ثم احتضنته بشدة قائلة بحرارة:

"بحبك يا مجدى، بجد أنا بموت فيك".

– وأنا كمان بحبك أوى يا دعاء..

انطلقا سويًا خارج المنزل، وودعها على الباب وظل ينظر إليها حتى ركبت سيارتها وانطلقت، فابتسم بطريقة غامضة وانطلق إلى سيارته وغادر هو الآخر، لم يكن مجدى الزينى يعلم أن هناك من يراقبه ويراقب دعاء أيضًا عن كثب دون أن يغفل لهم رمش.. إنها الشرطة؛ حيث انطلقت سيارة خلف دعاء، وانطلقت سيارة أخرى خلف مجدى.

- ٢ -

كانت الساعة تدق العاشرة مساء عندما دخل أدهم أبو العز وبعض رجاله غرفة محمد عطية فوق إحدى سطوح العمارات بوسط البلد، كانت الليلة قارسة البرودة مع بدايات شهر فبراير، وقف محمد عطية ينظر لهم جميعا بشك وريبة، تتنقل عيناه فيما بينهم، وشعر بالخوف الشديد وارتجف جسده من هيئتهم التى تبدو غامضة وجادة أيضًا، فهذا المشهد بالنسبة له لا يمكن رؤيته إلا فى الافلام البوليسية التى أدمن رؤيتها، وسرعان ما سمع أحدهم يقول وهو يشعل سيجاره الغليظ:

"إنت بقى محمد عطية"؟

فقال متلعثمًا:

"آه.. أأيوه.. أنا.. أنا محمد عطية".

فابتسم أدهم أبو العز ابتسامة غامضة وهو يقول:

"أهلًا يا محمد، تعبتنا معاك يا راجل.. وتعبتنى أنا بالذات.. بس مش مشكلة.. أنا مسامحك ولسة عند كلمتى ومش هخلف وعدى معاك".

نظر إليه محمد دون أن ينطق، بينما أردف أدهم أبو العز قائلًا وهو يقترب منه:

"قولى بقى.. فين الأوراق يا بطل"؟

حاول محمد أن يجمع رباطة جأشه ويحصل على أقل قدر من القوة، ثم قال بصوت لا يخلو من الخوف:

"وفين الفلوس"؟

ابتسم أدهم أبو العز ثم هز رأسه واستدار لأحد رجاله الذى كان يحمل حقيبة، وأشار إليه إشارة برأسه تعنى "ضع المال"، وبالفعل قام الرجل بوضع الحقيبة أمام محمد عطية وفتحها.

نظر محمد عطية للمال بعيون متوهجة غير مصدق لما يرى؛ فقد كانت من فئة الدولار أيضًا، فقال أدهم أبو العز:

"الفلوس أهى ودولارات كمان.. علشان بس أثبت لك إنى بحبك.. وكمان علشان أثبت لك حسن نيتى.. فين بقى الأوراق"؟

– وإيه اللى يضمن لى انكوا مش هترجعوا علشان تقتلونى؟

– نقتلك ليه يا ابنى؟!.. إنت كده كده ميت.. فالحكومة تقتلك أحسن.. لكن أنا عن نفسى مش ناوى اوسّخ إيدى.

فنظر له محمد بتوجس وخوف ثم قال:

"عايزنى إمتى أسلم نفسى"؟

– بمجرد ما تكون جاهز يا بطل.

وفجأة دوت طلقات نارية اخترقت المكان من كل جانب، فاحتمى أدهم أبو العز فى رجاله وقد أصابه الذعر، بينما احتمى كل منهم بحائط، وصاح أحدهم وكان صوته معروفًا لمحمد حيث ميزه بسهولة فقال صائحا:

"معلم سيد، أنا هنا".

صاح المعلم سيد قائلًا:

"أدهم باشا.. محمد يخرج سليم ومعاه الفلوس.. نسلمك الورق.. غير كده.. محدش هيخرج من هنا غير على الأرافة".

صاح أدهم أبو العز قائلًا:

"ماشى ماشى، بس إيه اللى يضمن لى انك هتنفذ كلامك لو اديّتكوا الفلوس"؟

– وعد شرف يا باشا.. وعد بجد مش زى وعودكوا الإزاز اللى بتتكسر من أقل طوبة.

– ده على كده انتوا هنا من زمان؟

– إنت شايف إيه يا باشا؟

– ماشى.. ماشى، موافق.

– اخرج يا محمد – صاح المعلم سيد.

أمسك محمد بحقيبة النقود وبحذر شديد مشى خطوات وئيدة محاولًا ألا يصطدم بالمنبطحين أرضًا على أرضية الغرفة التى انقطعت الكهرباء عنها لإصابة الأضواء بها بأعيرة نارية، وحينما وصل إلى الباب قام أدهم أبو العز من مجلسه وأطلق عيارًا ناريًّا عليه وهو يقول:

"مش هتعيش يا محمد، تبقى مجنون لو كنت فاكر انى هسيبك تعيش.. يا انا يا انت".

فأصابه فسقط وهو يتأوه، وبدأ ضرب النار بقوة بين الجانبين، وفجأة احتشد الشارع بالناس بسبب صوت طلقات الرصاص، بينما كانت قوات من الشرطة تخترق المكان وتصعد تباعًا، وفى ثوانٍ معدودة كانت الشرطة تطوّق المكان ويتوسطهم فؤاد الأسيوطى وهو يصيح:

"عايز أدهم أبو العز حى".

وبدأت أفراد من قوات الشرطة تتوافد وصيحات فؤاد الأسيوطى فى الميكرفون تأمرهم بوقف إطلاق النار حيث سقط معظم رجال أدهم أبو العز، وسرعان ما توقف ضرب النار أمام قوات الشرطة التى قتلت العديد من الرجال

بينما استسلم البعض الآخر خوفًا على حياتهم، وقد أصيب المعلم سيد وأيضًا أصيب أدهم أبو العز فى أعلى صدره، وانطلق فؤاد الأسيوطى سريعًا حيث وجد محمد عطية ملقى على الأرض وحوله بركة من الدماء، فجثا على الأرض بركبتيه ورفعه إلى صدره وهو يقول:

"ماتمتش يا محمد، أنا قلت لك تسلم نفسك.. ليه؟.. ليه تعمل فى نفسك كده"؟

فقال محمد بصعوبة بالغة وهو يحاول تجميع أنفاسه حيث بدت إصابته بليغة:

"فؤاد بيه"؟

– أيوه أنا فؤاد يا محمد..

– وصيتك أمى.

– ماتقلقش يا محمد.. مش هتموت.. قول لى فين الأوراق؟

– فى صدرى.

تعجب فؤاد الأسيوطى للحظات، ثم فتح السترة السوداء "الجاكت" التى يرتديها محمد فوجد الأوراق وقد أغرقها الدم، فقال محمد باسمًا ابتسامة مفعمة بالوجع تُبكى من يراه:

"حمتها بدمى يا باشا، ماتقلقش، بيتشال.. ما احنا دمنا رخيص.. وبيتمسح بسرعة".

فابتسم فؤاد الأسيوطى ابتسامة باهتة ومريرة وهو يقول:

– ماتقلقش من حاجة يا محمد.. وماتتكلمش.

وفجأة سقطت رأس محمد على ذراع فؤاد الأسيوطى الذى امتعض وهو ينظر إليه صائحًا:

"الإسعاف بسرعة".

ونقلوا من نجا إلى عربات الشرطة، بينما نقل الإسعاف الباقيين تحت حراسة مشددة حيث كانت تحيطهم قوات الشرطة من كل مكان، وفجأة دق هاتف فؤاد الأسيوطى فوجد هانى يقول:

"بسرعة يا فؤاد بيه".

– فى إيه يا هانى؟

– دعاء بتموت فى المستشفى.. واضح انها حالة تسمم.. أكيد مجدى الزينى اللى عملها.. اتنقلت للمستشفى بعد ما كانت معاه بحوالى ساعة.

– هتعيش؟

– مش عارف يا باشا، بس واضح ان الحالة خطيرة.

– اقبض على مجدى الزينى بسرعة قبل ما يحاول الهرب.

– تمام يا باشا.

-٣-

كان مجدى الزينى يجلس فى إحدى أركان الزنزانة فى ركن خيم عليه الظلام، جامدًا بلا حراك، وجهه مبيضًا كبياض من باتوا فى ثلاجة الموتى، تم القبض عليه بهدوء تام فى مطار القاهرة حيث كان مغادرًا إلى لندن بحجة العمل.

كانت الأفكار تتخبط فى عقله، لم يجب على أسئلة أشرف زيدان وخالد مختار رفيقا حياة ما خلف القضبان، كان هناك شىء ما يسرى فى أعماقه يجعله يرتعد بل ويرتجف من آن لآخر، تلك الرجفة التى تأتيك فى الشتاء بلا سابق إنذار وبلا مبرر، قد تكون بالنسبة لك ممتعة ولكنها خلف القضبان قد تختلف كثيرًا فى متعتها وقوتها التى تهز جسدك.

مرت ساعة تخللها حديث دار بين أشرف زيدان وخالد مختار عن موقفهما الحرج، كان كل منهما يحاول طمأنة الآخر، ولكن كان هناك سؤال حرج للغاية، سؤال يحوم كالغراب الذى ينذر بالشؤم، ولكن لم يصرح أحدهما به، كان كل منهما يوجهه للآخر فى صمت:

"لو ماكنتش انت اللى قتلت.. يبقى مين اللى قتل"؟!

وبعد هدوء ثقيل مرّ عليهم قال خالد مختار مستنكرًا وموجهًا كلامه

لمجدى الزينى:

"طبعًا مالقيوش دليل ضدك.. فقالوا يقبضوا عليك من باب الاحتياط.. بس يا ترى بقى المرادى اخترعولك إيه علشان يبقى مشتبه فيك انت كمان؟! إيه.. كنت بتبعت لعماد جوابات سرية ولّا حاجة"؟!

ولم يرد مجدى الزينى ولم يلتفت حتى لخالد مختار أو يعيره انتباهًا، حيث كان مستندًا برأسه إلى أحد حوائط الزنزانة، فسار خالد حتى وقف فى مواجهته وقال:

"مالك يا مجدى؟!.. إنت مانطقتش من ساعة ما جيت.. ماتنساش اننا كلنا على نفس المركب، واللى صايبك صايبنا".

نظر إليه مجدى الزينى فى هدوء ثم قال بخفوت:

"وإيه الفايدة من الكلام يا خالد"؟!

فقال أشرف زيدان محاولًا أن يهوّن عليه قائلًا:

"ماتزعّلش نفسك يا مجدى، وبعدين مافيش حاجة ضدك.. كلها إجراءات روتينية.. إن شاء الله هتخرج قريب.. ماتزعلش نفسك انت بس، وقول يارب".

نظر مجدى الزينى إلى أشرف زيدان ثم قال بلهجة متهكمة:

"يا أخى اللى يسمعك كده.. مايقولش انك متهم زيّنا وفى نفس القضية".

نكس أشرف زيدان رأسه ثم قال بعد لحظة شعر فيها بالمرارة:

"ربنا اللى عالم انى ماقتلتش حد.. ولا عمرى حتى فكرت فى حاجة زى كده".

– طب ليه محتفظ بمسدس فى شقتك فى اسكندرية؟

نظر له أشرف زيدان متعجبًا من سؤاله ثم قال:

"صدقنى والله ما اعرف.. أنا اشتريته لأنى حسيت للحظة ان حياتى

فى خطر.. إنت عارف فوبيا الخوف.. ولما اشتريته مالقتش ليه أى أهمية.. فسبته فى شقتى فى اسكندرية.. ربنا وحده اللى عالم انها الحقيقة".

– وليه مابعتوش أو اتخلصت منه؟

– عارف انت طبعًا نظرية حب الامتلاك.. يا ترى يا مجدى هتبيع حاجة اشتريتها؟ حتى لو مش عايزها!.. مستحيل طبعًا.. ماتبصليش كده.. صدقنى دى الحقيقة.. إحنا عمرنا ما هنبيع حاجة ملكناها حتى لو كانت مالهاش أى تلاتين لازمة.. وممكن نحارب كمان بكل قوتنا لو حسينا انها هتروح من ايدينا رغم انها يا أخى لا هتقدم ولا هتأخر لو خسرناها.. بس احنا البشر كده.. جشع وطمع وأنانية.. دايمًا بنحس ان قوتنا بتزيد مع كل حاجة بنملكها.

قال خالد مختار محاولًا تغيير دفة الحديث:

"بس انت ماقلتليش برده إيه الحجة اللى خلقوهالك علشان تبقى متهم معانا"؟

– ولا حاجة – قالها بغموض.

– ولا حاجة! إزاى يعنى ولا حاجة؟! – قالها خالد مختار متهكمًا ومتعجبًا أيضًا.

– يعنى ولا حاجة يا خالد – رد مجدى الزينى بحدة.

– أول مرة أشوفك عصبى كده يا مجدى!

– أنا مش عصبي يا خالد، بس الوضع كله زفت فى زفت، واديك شايف – قالها بنفور وهو يقف مبتعدًا فى آخر الزنزانة.

مشى خالد مختار حتى وقف خلفه وهو يقول:

"ما انت لو قلت لنا اللى حصل ممكن نلاقي لك مخرج".

– ماحدش يقدر يخرجنى من اللى انا فيه.. القدر بس اللى يقدر

يخرجنى من المصيبة اللى انا فيها.

رفع أشرف زيدان رأسه قائلًا بخفوت:

"القدر"!

بينما رفع خالد مختار حاجبه الأيمن متعجبًا:

"القدر!.. قصدك إيه"؟!

– القدر يا خالد، إيه ماسمعتش عنه؟ – قالها صائحًا بغضب.

– فاهم يا سيدى، بس انت تقصد إيه بالظبط؟

– الموت يا صاحبى.. الموت – قالها بغموض.

– قصدك ان الموت هو الحل الوحيد للى انت فيه؟

– أيوه.. الموت بس هو اللى ممكن يخرجنى من اللى انا فيه.

– أنا مش فاهمك.

– ولا أنا – قالها أشرف زيدان.

ساد الهدوء للحظات حيث كان خالد مختار وأشرف زيدان فى حالة ترقب لما سيقوله مجدى الزينى الذى رفع رأسه متنهدًا تنهيدة عميقة، ثم نظر إليهما وابتسم بغرابة وقال:

"دى الحقيقة يا أصدقائى، لو مات حد معين.. ممكن أخلص من كل اللى انا فيه.. ولو ماحصلش يبقى قولوا عليّا السلامة".

– إم.. طيب سيبك من ده كله دلوقتى بما إننا مش فاهمين حاجة.. إنت رحت لهند واديت لها مفكرة عماد الله يرحمه زى ما قلت لك؟.. دى حاجة مهمة يا خالد وممكن تساعد الحكومة علشان يوصلوا للقاتل الحقيقى.. دول متخيلين انها اتسرقت.. بس الظاهر ان عماد نسيها معايا وسط ورقى فى آخر ليلة واحنا قاعدين مع بعض على القهوة.. المشكلة انى مالقيتهاش غير ليلة القبض عليا.. فجأة لقيتها

ظهرت وسط الورق – أنهى كلماته متعجبًا وشاردًا أيضًا.

فقال أشرف زيدان بلهفة:

"إنت إمتى لقيت المفكرة دى بالظبط".

– قبل قتل يوسف أباظه – الله يرحمه – بيوم .. كنت رايح لهند الألفى علشان اديهالها بنفسى بس اتصال يوسف هو اللى أخرنى، فسبتها فى البيت، وقلت لمجدى وانا فى طريقى ليوسف انه يعدّى وياخدها ويدّيها بنفسه ليها.

– أكيد دى مفكرتى اللى سرقها عماد من مدة.

– سرقها عماد؟! دى إهانة. عماد عمره ما سرق حاجة من حد – قالها خالد بحدة.

– وإيش عرّفه انى هاعمل تحقيق صحفى فى الفساد الإدارى؟.. وفجأة كده بقدرة قادر ألاقيه سابقنى وعامل نفس التحقيق!!

– دى فكرة مجدى مش فكرتك.. مجدى قال له عليها قبل الحادثة بأسبوع تقريبًا أو يمكن عشر تيام.. وعلطول عماد ابتدى يكتب فى الفكرة دى.. أيوه افتكرت.. قبل ما يموت عماد بعشر تيام فعلًا.. حتى الإعلان كان فى الجريدة ليلة قتله.

– إستنى.. استنى – قالها أشرف زيدان بريبة وهو ينظر إلى مجدى الزينى الذى بهتت ملامحه أكثر، ثم قال:

"قصدك تقول ان عماد عز الدين أخد الفكرة دى من مجدى"؟!

– أيوه يا سيدى.. أمال انا بقول إيه من الصبح؟!.. حتى كلنا كنا موجودين لما مجدى قال الفكرة دى.. أنا وعماد ويوسف – الله يرحمهم – ومجدى.. إحنا ساعات كده بنتبادل الأفكار، وفيها اللى بيعجبنا فنقوم نوظفه فى مجالنا.. وفى الليلة دى بالذات مجدى كان

بيتكلم عن الفكرة بحماس كبير أوى، وده اللى خلى عماد يعتمد الفكرة.

- طيب لما هو كان متحمس أوى كده للفكرة.. ماكتبهاش هو ليه؟ ويا ترى بقى جتلك الفكرة دى منين يا مجدى؟ – قالها أشرف زيدان بتحدٍ.
- فكرة زى أى فكرة – ردّ مجدى الزينى متلعثمًا.
- بس الاتصال اللى جانى ليلة قتل عماد.. قال لى ان مفكرتى اتسرقت، وان عماد هيكتب فى الفكرة اللى انت كنت متحمس ليها وقلتها لعماد.. مش شايف انها غريبة شوية؟!

ثم رمش بعينيه وكأنه تذكّر شيئًا ثم قال:

"وبعدين انت عرفت منين انى عندى مسدس فى اسكندرية؟ إزاى ماخدتش بالى؟! ده انا غبى أوى"!

نظر خالد مختار بريبة إلى مجدى الزينى وهو يقول:

- ليه ماادتيش لهند المفكرة يا مجدى؟!.. اللى بيتكلم فيه أشرف كلام منطقى جدًا.. وخطير.. فهمنا انت".
- أنا ماكنتش مستعد لمواجهتها يا ناس.. ما انت عارف يا خالد..
- إنت كداب – قالها أشرف زيدان بحدّة.

فاحتدم وجه مجدى الزينى وهو يصيح بغضب:

"أنا كداب يا ابن الكلب يا سفاح.. أنا مش عارف انت بأى وش بتكلمنى؟! إزاى تتجرأ أساسًا وتتكلم معايا وانت قاتل أصحابى، ولّا عايز تقتلنى انا كمان"؟!

أمسكه خالد مختار وهو يقول بحدة:

"إهدا يا مجدى.. إحنا مش عايزين أكتر من حقايق وكلام منطقى يتعقل..

أشرف متهم بقتل عماد ويوسف، وسلاح الجريمة هو نفسه السلاح اللى عنده.. والمفكرة اللى اتسرقت دى هى مفتاح كل حاجة.. والواضح من كلام أشرف إنها مفكرته وفعلا عماد مش بيسجل حاجة .. إزاى فاتتنى حاجة زى دى ! .. والحكومة فاكرة ان مفكرة عماد اتسرقت مع الأوراق اللى اتسرقت من الشقة.. ده غير انهم فاهمين ان يوسف عرف حقيقه القاتل.. فقام القاتل قتله.. وللأسف اشرف ليلتها كان رجع من الأقصر.. يعنى هو لابس الحكاية كلها.. فطبيعى انه يشكّ فى كل حاجة.. قول لى بقى يا صاحبى إيه الحكاية بالظبط؟!.. فى حاجات كتير واضح اننا مش فاهمينها هنا".

- وانا مافيش حاجة عندى اقولها يا خالد.. مادام انت شاكك فيّا انا.. صاحبك.. وواقف جنب الكلب ده – قالها مجدى بنفور.
- إياك تحاول حتى تفكر تسبنى تانى – قالها أشرف زيدان هائجًا.
- إهدوا بقى.. اهدوا بقى ارجوكوا.. الموضوع خطير بجد.. وبالطريقة دى مش هنوصل لأى حاجة.. لازم نساعد بعض علشان نطلع من الأزمة اللى احنا فيها دى.
- وانا مش هتكلم فى وجوده – قالها مجدى الزينى غاضبًا.
- ماشى.. زى ما تحب، بس كفاية أوى اللى سمعته.. وعمومًا الحقيقة هتبان قريب أوى.. وهنشوف مين فينا السفاح.

نظر لهما خالد مختار بريبة، كان يشعر بأن هناك شيئًا غير مفهوم على الإطلاق، لم ير مجدى غاضبًا أو هائجًا بهذه الطريقة، كما أن موضوع المفكرة يدعو بأكمله للريبة، وهناك شيء مفقود، أو ربما شيء لا يريد أن يصدقه.

-٤-

"دعاء ماتت"؟!

– للأسف كمية السم اللى دخلت جسمها اتمكنت منها بسرعة واتوفت.. بس فى حاجة يا فؤاد بيه".

– إيه يا دكتور؟

– دعاء كانت حامل.

– إيه؟

– زى ما بقول لسيادتك كده.. حامل تقريبًا فى الشهر التالت.

وقف فؤاد الأسيوطى مشدوها وشردت عيناه وهو يتأمل الطبيب ثم قال بعد لحظات من التفكير:

"تقدر تحددلى السم اللى خدته ده أخدته إمتى"؟

– آه طبعًا.. نوعية السم اللى خدتها دعاء نوعية قوية جدًا، وأرجح أنها أخدتها قبل وفاتها بساعة.. ده بالكتير أوى.. نوعية السم دى خطيرة ومش بتاخد وقت كتير على ما تنتشر فى الدم.

– معنى كده يا فؤاد بيه ان مجدى الزينى هو اللى حطّ لها السم زى ما قلت لسيادتك؛ لأنها كانت معاه فى التوقيت اللى بيتكلم فيه الدكتور – قالها هانى وهو يشير بيديه موضحًا.

أوماً فؤاد الأسيوطى برأسه ثم قال للطبيب:

"مش عايز أى حد يعرف إنها توفت ولا حتى أهلها".

– إزاى يا فؤاد بيه؟ إذا كان أهلها هنا.. هقول لهم إيه بالظبط؟!.. حسب تعليمات هانى بيه.. أنا ماتكلمتش مع حد لحد دلوقتى.. وواضح انها جريمة قتل.. إزاى هقدر أخبّى حاجة زى كده؟!

ابتسم فؤاد الأسيوطى ثم وضع يده على كتفه وهو يقول بهدوء:

"يا دكتور.. إحنا أدام قضية مهمة جدًّا ولازم تساعدنا.. المعلومة دى لو خرجت بره الأوضة اللى فيها دعاء دلوقتى.. القضية كلها هتبوظ، وبعدين لو أهلها سألوك.. قول لهم انها فى العناية المركزة وممنوع عنها الزيارة، وصدقنى.. الموضوع مش هياخد وقت.. اتفقنا"؟!

نظر إليه الطبيب، وأطرق برأسه مفكرًا ثم قال:

"اتفقنا".

– وهستنى تقريرك المفصل.

– تمام يا فؤاد بيه..

اتجه فؤاد الأسيوطى بصحبة هانى وبعض رجال الأمن نحو باب الخروج وقال موجهًا حديثه لهانى وهو يشير بيديه بحزم:

"عايز حراسة مشددة على المستشفى.. لا حد يدخل ولا حد يخرج.. كل اللى عايزه محدش يعرف حاجة عن موت البت دى.. القضية على كف عفريت.. أى غلطة الحكاية كلها هتبوظ".

– ماتقلقش يا فؤاد بيه.. كله تحت السيطرة.

– مجدى فين؟

– زى ما قلت لسيادتك.. فى الحبس يا باشا..

– تمام أوى.. أنا رايح احقق معاه، وروح انت شوف شغلك.. واستنى

منى تليفون.. آه قول لى.. أخبار محمد عطية وأدهم أبو العز إيه؟

– أدهم أبو العز خرج من أوضة العمليات، والدكاترة بيقولوا انه هيبقى كويس، أما بقى محمد عطية.. فبين الحيا والموت..

أومأ فؤاد الأسيوطى برأسه ثم قال بحزم:

"شددلى الحراسة على الاتنين يا هانى.. وممنوع الزيارة لأى حد فيهم.. هانى.. مش هوصيك".

– مفهوم يا باشا مفهوم.. ماتقلقش سيادتك.. روح انت واطمن.

أومأ فؤاد الأسيوطى برأسه ثم انطلق فى طريقه حتى بلغ سيارة الشرطة وبحزم قال للسائق:

"اطلع يا ابنى بسرعة على القسم".

-٥-

كان فؤاد الأسيوطى جالسًا على كرسيه يطالع بعض الأوراق أمامه حينما دخل عليه مجدى الزينى بصحبة أحد رجال الأمن، وبعد ثوانٍ معدودة أشار بيده لرجل الأمن بأن يذهب ويترك المتهم، ثم أشار إلى مجدى الزينى بيده بالجلوس، أومأ مجدى الزينى برأسه شاكرًا دون أن ينطق بكلمة ثم نظر لفؤاد الأسيوطى وهو يشعل لفافة تبغ ثم أخرج لفافة أخرى أعطاها له وهو يقول:

"مشرّفنا يا مجدى باشا".

لم ينطق مجدى وسرت قشعريرة فى جسده؛ حيث بدت طريقة فؤاد الأسيوطى غريبة وغامضة، وسرعان ما سمع فؤاد الأسيوطى يقول:

"معلم.. والله معلم".

– قصدك إيه؟! – قالها بريبة.

– يعنى فلسفتك وقعتك يا أستااااذ.. يا أستاذ يا كبير.. آخر حاجة كنت تتخيلها انك تقع طبعًا.. أنا عايز اعرف الدماغ دى جبتها منين؟!.. تقتل اتنين من أعز صحابك وعلشان إيه يا أخى.. شوية فلوس.. وشوف جشعك يا أخى تحاول كمان تقتل شريكتك فى الجرايم دى كلها.. ده إيه الجبروت اللى انت فيه ده؟!

تلعثم مجدى الزينى وتغيرت ملامحه ثم قال:

"أنا.. أنا مش.. فاهم.. سيادتك بتتكلم عن إيه"؟!

– إمم.. مش فاهم.. افهمك.

دفن سيجارته وهو يقول:

"عايزنى افهمك إيه بالظبط بقى.. تحب نبتدى منين؟!.. ها.. نبتدى من زمان من أيام ما كنت مرتبط بهند الألفى مثلًا.. ولما.. ها.. فاهمنى طبعًا.. يقوم بقى عماد يعرف انك انت اللى فتحت الباب وعليت الجواب.. يقوم يذلّك ويعمل منك مضحكة فى كل حتة.. ولّا أفهمك بقى مثلًا ليه ماااتجوزتش وانت أساسًا مقضيها مع اختها.. اللى ضحكت عليها واستغلتها باسم الحب وخليتها شريكة ليك فى كل جرايمك.. ها قول لى يا مجدى باشا.. قول لى يا أستاذ.. عايزنى افهمك إيه كمان".

اضطرب مجدى بشدة وشرعت يداه ترتجفان وهو يدخن لفافة التبغ بنهم وينفخ بشدة، بينما استكمل فؤاد الأسيوطى حديثه وهو ينهض من مجلسه ويضع يده على كتف مجدى الزينى:

"أفهمك مثلًا انك اتفقت مع أدهم أبو العز فى إنكوا تخلصوا من عماد وتجيب له الأوراق وتطلع بقرشين محترمين.. تحب افهمكَ كمان إن يوسف أباظة.. صاحبك.. اللى أكلت معاه عيش وملح.. عرف الحكاية كلها فمكدّبتش خبر ورحت قتلته.. تحب أقول لك إنك لمّا حسيت ان دعاء بقت عبء عليك قررت تقتلها هى كمان.. كنت مسافر ليه بقى يا مجدى واحنا فى الظروف دى.. هربان من إيه"؟

قال مجدى محاولًا أن يدافع عن نفسه:

"أنا.. أنا مش عارف انت بتقول إيه وبتتكلم عن إيه"؟

– يا مجدى خلاص كل حاجة انكشفت، ودعاء اعترفت بكل حاجة.

– اعترفت بكل حاجة! – قالها دون وعى.

– اللى يكون سبب فى موت ابنها.. لازم تولع فيه.

– دعاء؟!

– أيوه دعاء اللى حاولت تقتلها هى كمان، بس عناية ربنا بقى.. وعلى فكرة هنعتبرها شاهد ملك.

– إيه؟!

– زى ما سمعت كده..

– بس انا ماكنتش فى وعيى.. عماد كان لازم يموت، ويوسف ماكانش لازم يشغّل دماغه.. أنا..

– كنت إيه بقى.. قول لى علشان اساعدك؟

وعاد مجدى بذكرياته للوراء شاردًا.

<u>قبل قتل عماد عز الدين بسنوات</u>

"مجدى أنا تعبانة بجد.. مش عارفة اعمل إيه؟ وانت حاطط إيدك فى المية الباردة.. ارحمنى.. لازم تتقدم لى.. إزاى اداري اللى حصل لى وكل يوم عماد بيضغط عليّا وعايز يتقدم لى، خصوصًا بعد ما الكل حسّ ان فى حاجة غلط بينا.. هو انت قلت لعماد حاجة"؟

– أنا؟!.. لا أبدًا يا حبيبتى.. هو ازاى يتجرأ ويكلمك فى حاجة زى كده وهو عارف انى مرتبط بيكى؟

– يا مجدى ما انت بقالك مدة محدّش بيشوفك فى الجامعة، ومن يوم اللى حصل بينا مابتردش على تليفوناتى.

– إسمعينى كويس يا هند.. أنا.. أنا بصراحة مش هقدر اتقدم لك دلوقتى.

– إيييه؟!.. إنت بتقول إيه؟!

– يا هند افهمينى.. أنا ظروفى ماتسمحش بالارتباط دلوقتى..

– أنا مش مصدقة اللى انا بسمعه.. معقول يكون انت البنى آدم اللى انا حبّيته.. معقول؟!

– يا هند صدقينى.. أنا لسه بحبك.. بس..

– بس إيه بقى.. أنا قلبى كان حاسس من الأول انك ندل وجبان..

– هند؟!

– أنا مش عايزة اشوفك تانى ولا حتى صدفة.. حسبى الله ونعم الوكيل فيك.

قبل الحادث بشهرين ونصف

"الصحفى الكبير مجدى باشا هنا؟!.. منور مكتبى والله يا أستاذ".

– ده نورك يا أدهم باشا.. قالوا لى ان حضرتك عايزنى.

– آه.. أنا فعلًا عايزك، بس قول لى الأول: حد يعرف انك جايلى؟

– لا أبدًا.. أنا ماقلتش لحد، وبعدين هو كان فيه فرصة أقول لحد؟!.. ده يدوب سيادتك طلبتنى وانا ماكدّبتش خبر وجيت علطول.

– شوف يا مجدى.. أنا راجل وقتى مش ملكى، وهادخل فى الموضوع علطول.. عماد صاحبك؟

– ماله؟

– ما انت عارف ماله.. مش عايز يخف اللعب، ومفتح العيون علينا اليومين دول.. أنا لو عايز أفعصه كنت فعصته من زمان.. بس برده انا مايخلصنيش كده.

– اعذرنى يا أدهم بيه.. أنا مش غبى أوى كده.. إنت لو كنت عايز تفعص عماد من زمان كنت فعصته.. أكيد فى حاجة.. ده غير ان سيادتك عارف ان الدنيا كلها لو اتجمعت علشان عماد يرجع عن

حاجة مقتنع بيها مش هيرجع..

– إمم.. طيب أقول لك انا بقى على اللى فيها.. بصّ.. عماد صاحبك معاه أوراق مهمة جدًا بيهددنى بيها.. كارت بيلعب بيه، والواضح ان كل الطرق بتاعتنا مش نافعة معاه وخصوصًا انه هددنى لو حصل له حاجة من بعيد أو قريب.. الأوراق هتتنشر فورًا.. أنا بصراحة وثقت فيك انت بالذات بعد ما عرفت حقيقة العلاقة اللى بينك وبينه.

– قصدك إيه؟! – قالها متهكمًا.

– قصدى انت عارفه كويس.. وهجيبلك من الآخر.. تعرف تجيبلى الورق ده ولّا اشوف غيرك؟

– بس الأوراق دى هتكلفك كتير يا أدهم بيه؟

– مش هنختلف يا مجدى..

– خمسة مليون.

– موافق.. هتسلمنى إمتى؟

– لأ.. إهدى عليا شوية لما أتكتك صح، واعرف أنا هعمل إيه؟

– خد وقتك، بس ماتطولش.

– تمام يا باشا.

قبل قتل عماد عز الدين بشهر ونص

"معلش احنا هنتعب شوية.. بس أديكى شايفة عماد دمر حياتى كلها ولازم انتقم لنفسى".

– يا مجدى اللى انت بتتكلم فيه ده مستحيل.. عايزنا نقتله؟!

– وهو انا بقول لك انك هتقتلى!.. إنتى هتساعدينى بس.. كل اللى عايزه نسخة من مفتاح الشقة.. بحكم ان هند على طول عندكوا.. أرجوكى يا دعاء.. أنا عارف انك بتكرهى عماد زى ما انا بكرهه..

خلينا على الأقل نخلّص هند من ظلمه..

– بس يا مجدى..

– مافيش بس.. إنتى مابتحبنيش؟

– هو انا لازم أقتل يا مجدى علشان أثبت لك انى بحبك؟!

– خلاص يا دعاء.. انا هتصرف.

– خلاص خلاص.. أعمل إيه ما انا بحبك.. بس انا خايفة عليك.

– ماتخافيش عليا.. أنا دارس كل حاجة كويس.. والحكاية كلها هيلبسها أشرف زيدان.

– إزاى بقى؟

– شوفى يا ستى.. أشرف زيدان من مراقبتى ليه الكام يوم اللى فاتوا عرفت انه متجوّز واحدة تانية، وماحدش يعرف الحكاية دى.. ماتنسيش ان أشرف بيكره عماد وعماد بيكره أشرف..كل اللى احنا عايزينه بس خيط رفيع يخلّى عماد وأشرف يقعوا فى بعض.

– مافيش غير اننا ندور ورا أشرف ونشوف إيه اللى ممكن يخليه يقلب على عماد؟

– بالظبط.. يا ترى ممكن تكون إيه الحاجة دى؟

– شوف.. أنا اعرف إن الصحفيين والكتّاب مافيش حاجة عندهم أغلى من أفكارهم.

– قصدك إيه؟

– يعنى لو عرفنا نوصل لأفكار أشرف ونسرّبها لعماد، وبعدين نعرّف أشرف ان عماد اللى عمل كده، يبقى كده وصلنا للى احنا عايزينه.

– إيه الدماغ دى..!

– عيب عليك.. تلميذتك..

– غير ان أشرف ليه شقة فى اسكندرية.. عمومًا هبقى احاول أشوف أى حاجة يمكن تنفعنا..

– خلاص تمام.. وأنا فى أقرب فرصة.. هجيب لك نسخة من مفتاح شقة عماد..

– خلاص تمام..

بعد قتل عماد عز الدين بيوم

"إحنا ماأتفقناش على القتل يا مجدى".

"أنا مش عايز اسمع كلمة من حد وإلا والله العظيم اروح ابلّغ واقول انى قتلته بالاتفاق معاك".

– طيب اهدى كده واسمعنى.. جبت الأوراق؟

– لأ.

– بتقول إيه؟!

– بقول لك لأ يا أدهم بيه.. دخلت الشقة وقعدت ادوّر عليها ومالاقيتش حاجة، وكنت هتكشف لولا ستر ربنا.. فهربت من المطبخ.

– طيب حد شافك؟

– ماتقلقش.. ما اظنّش ان حد شافنى.

– طيب وهتعمل إيه؟

– ماتقلقش.. الأوراق هتكون عندك قريب أوى، وبعدين اللى انت كنت قلقان منه مات.

– وانا إيه يضمن لى انه ماكانش عاطى الأوراق لحد؟

– يا أدهم بيه ماتقلقش بقولك.

بعد قتل عماد عز الدين بأربعة أيام

"مجدى.. فى حد تانى كان معاك ساعة لما قتلت عماد"؟

- أبدًا ليه؟
- أمال ازاى يا أستاذ فيه واحد بيهددنى بالأوراق؟
- إنت بتقول إيه يا أدهم بيه؟
- زى ما بقولك كده.. شكلك غرّقتنا كلنا..
- يا أدهم بيه أنا قتلت أعز صحابى علشان خاطر الأوراق دى..
- يا حبيبى انت قتلت علشان الفلوس.. أدامك فرصة واحدة يا مجدى.. غير كده مالكش حاجة عندى.. وانا لا شفتك ولا اعرفك..
- بقى كده يا أدهم بيه!!
- معلش بقى يا حبيبى.. ما هى كده تبقى فى إيدك وتقسم لغيرك..

استفاق مجدى الزينى على صوت فؤاد الأسيوطى وهو يقول:

"وقد أمرنا نحن رئيس مباحث قسم العجوزة.. بإحالة المتهم مجدى محمد الزينى إلى سرايا النيابة بتهم القتل العمد لـكل من: عماد عز الدين ناصر، ويوسف عبد المجيد أباظة، ودعاء حسن الألفى".

- قتل دعاء؟!!!!
- آه نسيت اقول لك.. دعاء ماتت.

-٦-

بعد يومين وقف فؤاد الأسيوطى فى مواجهة محمد عطية الذى كان مستلقيًا على ظهره على أحد الأسرة فى أحد المستشفيات مبتسمًا ابتسامة عريضة، نظر إليه وأومأ برأسه ثم قال بود:

"حمدًا لله على سلامتك يا محمد.. مش هطول عليك.. فيه حاجات صغيرة عايز أعرف إجابتها علشان أقفل القضية".

- تحت أمرك يا فؤاد بيه - قالها محمد عطية بوهن لكنه بدا أكثر نشاطًا رغم جرحه الخطير .

جلس فؤاد الأسيوطى على أحد الكراسى بجانب السرير ثم قال:

"ماتقلقش على سيد.. هو طبعًا ضلع فى القضية، وهيتسجن، بس ده مش جديد عليه.. هو متعود على كده..".

أومأ محمد برأسه مبتسمًا ابتسامة باهتة دون أن يتكلم، بينما أردف فؤاد الأسيوطى قائلًا:

"اتوجهت لأدهم أبو العز اتهامات كتير منها: الفساد، والتجارة غير المشروعة، ده غير ان فى ناس كتير أوى هتقع معاه.. من الآخر أدهم أبو العز خلاص بقى منتهى الصلاحية وأيامه بقت معدودة هو واللى معاه.. حتى

اللى بيحموه يا محمد.. وانا عارف انك ذكى.. وأكيد عارف اللى انا بقوله ده أو على الأقل متوقعه بعد ما الأوراق وقعت فى إيدينا.. بس بقى اللى انت ماتعرفوش لحد دلوقتى مين اللى قتل عماد عز الدين ويوسف أباظة".

– مين اللى قتلهم؟

– أدهم أبو العز مش بالغباء ده علشان يقتل عماد عز الدين وهو عارف إن الأوراق معاه؛ لأنه ماكانش يضمن إيه اللى هيحصل بعدها، ولا كان يضمن إذا كان للأوراق نسخة تانية أو لأ، بس هو ليه يد فى قتل عماد عز الدين.

– ومين قتله؟.. أقصد.. مين اللى قتلهم؟! – قالها بلهفة.

– ماتقلقش.. أكيد مش انت – قالها مازحًا ثم أردف قائلاً:

"دى حكاية يطول شرحها ومسيرك هتعرفها.. أنا جاى النهارده كمان علشان اقول لك إن والدتك هتعمل العملية إن شاء الله قريب.. أنا أعرف ناس كتير ليها فى الخير وكلمتهم ووافقوا علطول يعملوا لها العملية.. الدنيا لسة بخير يا محمد".

ابتسم محمد ابتسامة عريضة ثم قال وهو يحاول أن ينحنى على يد فؤاد الأسيوطى:

"إيدك ابوسها يا فؤاد بيه".

طبطب عليه فؤاد الأسيوطى وهو يقول:

"أنا ماعملتش حاجة، بس انت طبعًا عارف انك متهم بتهمة السرقة"؟

– عارف يا فؤاد بيه – قالها بحزن.

– بس فى حاجة تانية.

– إيه هى؟

– أنا اتكلمت مع مدام هند مرات عماد عز الدين ووافقت انها تتنازل

عن بلاغ السرقة، وهنعتبرك شاهد ملك طبعًا على أدهم أبو العز.

– إيه؟!

– زى ما سمعت كده.. وانا هرتب الحكاية كلها معاك لما تقوم بالسلامة.. دلوقتى يا بطل انت حر، بس أهم حاجة توعدنى انك متيأسش تانى.. إنت عندك موهبة جميلة يا محمد.. موهبة بجد.. اتعب علشان تظهر للنور.. مافيش حد وصل للى هو عايزه فى يوم وليلة".

أومأ محمد برأسه ممتنًا وقد بدا عليه الخجل ثم قال:

"مش عارف اقول لك إيه ولّا أشكرك ازاى يا فؤاد بيه"!

– ماتشكرنيش.. اشكر ربنا لأنك لسه حىّ لحد دلوقتى.. إصابتك ماكانتش هينة.

– الحمد لله – قالها برضا وهدوء.

– قولى بقى وانت فى شقة عماد عز الدين مالاحظتش حاجة غريبة؟

– آه.. سمعت صوت بس كنت فاكره من وحى خيالى.. زى ما انت عارف الواحد لما بيبقى مرعوب بيتهيأ له حاجات كتير.. أنا فاكر كويس انى سمعت صوت مرتين.. ممكن يكون صوت عماد عز الدين قبل ما يتقتل.

– لأ ماكانش هو.. ده كان صوت القاتل الحقيقى، وغالبًا لما اكتشف وجودك اتلخبط وماكانش عارف يعمل إيه.

– ها..!

– زى ما بقول لك كده.. بس انت أكيد ماشفتش حاجة.

– أبدًا، أنا زى ما قلت لحضرتك كنت مرعوب، ومن رعبى غلطت وأخدت الصندوق اللى وصّلنى للى انا فيه ده.

أومأ فؤاد الأسيوطى برأسه ثم قال:

- ماتنساس اللى قلته.. محدش بياخد من الدنيا كل اللى هو عايزه.. ساعات بنتخيل اننا مسيّرين.. ومافيش أى مجال للاختيار.. بس الحقيقة يا محمد اننا مخيّرين فى كل تصرفاتنا.. واللى مع ربنا عمره ما بيخسر.. وافتكر كويس انك انت اللى ظلمت نفسك.. ورحت برجليك وبعت دماغك لعماد عز الدين.. بعتها بالرخيص.. وانت برده اللى قررت تقتله، ولما لقيت انك مش أدها قررت تسرقه.. كل دى كانت اختياراتك انت.. وبإرادتك انت.. وماحدّش ضربك على إيدك.

أومأ محمد عطية موافقًا وقد بدا عليه الأسى والحزن متأثرًا بكلمات فؤاد الأسيوطى الذى قال قبل خروجه:

"أسيبك دلوقتى.. وانا هارتّب الأمور علشان القضية وماتقلقش من حاجة.. أنا عايزك بس تركّز كده لأن مشوار القضية مش سهل.. اللى زى أدهم أبو العز ممكن يحرق الدنيا علشان مايحصلّوش حاجة، واحنا فى بلد.. ماحدش عارف فيها الكويس من الوحش.. كله لابس قناع.. مع السلامة يا محمد".

أومأ محمد برأسه وهو يقول بخفوت وشرود:

"مع السلامة".

فى هذه الأثناء كان كل شىء هادئًا للغاية، حتى أصوات المارة كان لها وقع غريب على أذنى فؤاد الأسيوطى، كان عقله شاردًا ولكنه راض بهذه النهاية، مازالت هناك أسئلة تحلق فى عقله ومع ذلك لم يحاول جاهدًا ليفك طلاسمها بل أبقى عليها لعلمه باستحالة حلها فى الوقت الراهن، وفى قرارة نفسه كان يؤمن بأن هناك دائمًا أشياء فى الحياة لا بد أن تبقى على هذه الصيغة

وإلا انحدر العقل بأفكاره إلى بئر من الجنون، كان يعلم ذلك جيدًا و لم يرهقه هذا العلم؛ فقد كان عاقلًا بالقدر الكافى الذى يجعله يتقبل ذلك، فلكل شىء نهاية، وأحيانًا تتشابك الأحداث وتتفرع فى طرق مختلفة، وبعض الطرق تتهدم وتسقط ليتكون لدينا فى النهاية سلسلة من السقوط.

كان يدرك جيدًا أنه مجتمع ساقط، ولكن هناك ذلك البصيص من الأمل، ربما لم يره فى أى من شخصيات قضيته الأخيرة المشؤومة ولكنه كان يراه دائمًا بين هؤلاء المارة والتائهين فى الشوارع المختلفة، فمنهم من لا يستطيع أن يبلغ وجهته، ومنهم من شرد عن وجهته، وبالتأكيد هناك من يعلم طريقه جيدًا، كان يدرك تمامًا بأن هذا الشخص هناك بين هؤلاء من حوله، لا يهمه من هو، ولا يهمه وجهته، الأهم من كل ذلك أنه موجود و لم يكن يعينه شىء آخر، هكذا انتهت الحكاية التى قتلت ثلاثة: عماد ويوسف ودعاء، وكادت أن تودى بحياة آخرين لتستمر سلسلة الدم بلا توقف.

"هل كانوا يستحقون القتل؟!.."- كان ذلك هو السؤال الأخير الذى ردده فؤاد الأسيوطى فى قرارة نفسه، ولكن اكتفى بابتسامة هادئة كإجابة وهو ينظر لهاتفه الذى كان يرن دون انقطاع فرد قائلًا:

"ألو".

وجاء صوت على الجانب الآخر يقول :

"فؤاد بيه.. فيه جريمة قتل فى الزمالك".

أغلق الهاتف ونكس رأسه وأخذ نفسًا طويلًا ثم قال بهدوء وغموض:

"انتهت حكاية.. ودلوقتى نبتدى حكاية جديدة".

تمت بحمد الله